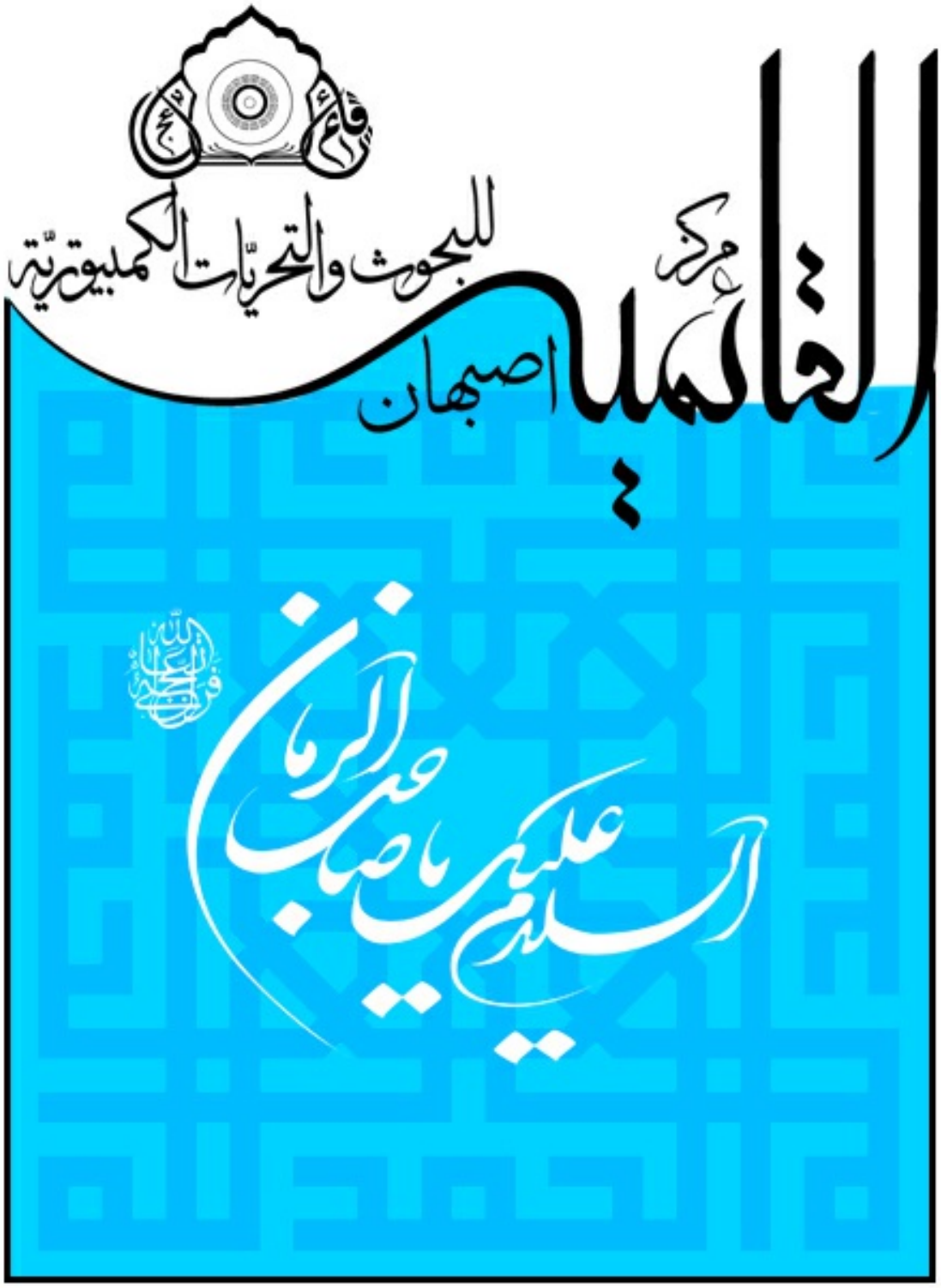

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

الدين و عملية العولمة

مهدي سامعي

تعريب: عبدالعزيز الهويمي

بسم الله الرحمن الرحیم

الدين و عمليۀ العولمۀ

كاتب:

مهدى سامانى

نشرت فى الطباعۀ:

جامعۀ المصطفى (صلى الله عليه وآله) العالميۀ

رقمى الناشر:

مركز القائميۀ باصفهان للتحريات الكمبيوتريۀ

الفهرس

الفهرس ----- ۵
الدين و عمليه العولمه ----- ۱۲
اشاره ----- ۱۲
الإهداء ----- ۱۳
كلمه الناشر ----- ۱۷
الفهرس ----- ۱۹
أوّل المقال ----- ۳۰
توطئه ----- ۳۲
اشاره ----- ۳۲
۱. إيضاح المسأله ----- ۳۴
۲. أهميّه البحث وضرورته ----- ۳۷
۳. مفاهيم أساسيّه ----- ۳۸
مفهوم العولمه ----- ۳۸
المقصود من (التّعولم) ----- ۴۰
۴. أسئله البحث ----- ۴۳
۵. فرضيه التحقيق و البحث ----- ۴۴
۶. أسلوب البحث ----- ۴۶
اشاره ----- ۴۶
أسلوب المعرفه الدّينيّه (معرفه الدّين) ----- ۴۷
۷. تاريخ العولمه ----- ۴۹
۸. ممهّدات العولمه ----- ۵۱
أ) الممهّدات الفكريّه ----- ۵۱
ب) الممهّدات السياسيّه والاجتماعيّه ----- ۵۴
ج) الممهّدات التاريخيّه للعولمه ----- ۵۵

۹. سوابق البحث ---- ۵۷
اشاره ---- ۵۷
عولمه العصرنه حسب رؤیه غینز ---- ۵۹
عملیه العولمه من وجهه نظر الوین تافلر ---- ۶۰
أبعاد العولمه ---- ۶۲
۱. البُعد الاقتصادیّ ---- ۶۲
۲. البُعد السّیاسی ---- ۶۴
۱۰. الخطّه العامه للبحث ---- ۶۶
القسم الاوّل: التّعرّف علی عملیّه العولمه ---- ۶۸
اشاره ---- ۶۸
۱. تعریف العولمه (مناقشه التّعاریف) ---- ۷۰
اشاره ---- ۷۰
نقد ومناقشه التّعاریف ---- ۷۲
خلاصه الفصل الأوّل ---- ۷۵
۲. مطالعه للآراء والاتّجاهات ---- ۷۶
اشاره ---- ۷۶
نقد ومناقشه الآراء ---- ۷۹
مناقشه النّظریّه الأولی ---- ۷۹
مناقشه النّظریّه الثّانیه ---- ۷۹
مناقشه النّظریّه الثّالثه ---- ۸۰
معارضو العولمه ---- ۸۱
خلاصه الآراء ---- ۸۴
خلاصه الآراء والاتّجاهات ---- ۸۶
۳. نظرّیه عولمه العصرنه ---- ۸۸
مناقشه النظریّه الأولی (عولمه العصرنه) ---- ۸۸
اشاره ---- ۸۸

١. مفهوم العصرنه ---- ٨٨
٢. أسس وجذور العصرنه ---- ٩٠
٣. نقد العصرنه ---- ٩٣
اشاره ---- ٩٣
أزمات العصرنه ---- ٩٣
٣-١. نقد العقلانيّه الحديثه ---- ٩٣
٣-٢. التّمرّد على التّراث ومحو القداسه ---- ٩٤
٣-٣. الأزمه المعرفيّه للعصرنه ---- ٩٧
اشاره ---- ٩٧
نقد وتحليل ---- ١٠١
٣-٤. أزمه العدميّه (النهلستيّه) ---- ١٠١
٣-٥. الأزمات الثّقافيّه والأخلاقيّه ---- ١٠٤
٣-٦. الأزمات الاجتماعيّه للعالم المتقدّم (العصرنه) ---- ١٠٦
٣-٦-١. الأزمات الاجتماعيّه ---- ١٠٦
٣-٦-٢. فقدان الانسجام وتخلخل العلائق الاجتماعيه ---- ١٠٦
٣-٧. أزمه الهويّه ---- ١٠٧
٣-٨. نقد العصرنه حسب رؤيه ما بعد الحداثه ---- ١١٠
العصرنه مشروع غير متكامل ---- ١١١
٤. تنقيح علاقه العالميّه بماوراء الحداثه ---- ١١٤
اشاره ---- ١١٤
مفهوم ما بعد الحداثه ---- ١١٥
نقد العصرنه حسب رؤيه ما بعد الحداثه ---- ١١٧
عولمه ما بعد العصرنه ---- ١٢٢
ثقافه ما بعد العصرنه ومسارها العولمیّ ---- ١٢٤
العلائم ما بعد الحداثويّه للعولمه ---- ١٢٦
حصيله الفصل الرّابع ---- ١٢٩

۵. علاقه العولمه والثّقافه ---- ۱۳۲
عولمه الثّقافه ---- ۱۳۲
تعارض الثّقافات ---- ۱۳۹
مناقشه نظریّه صراع الثّقافات والحضارات ---- ۱۴۱
نقد نظریّه صراع الحضارات ---- ۱۴۵
علاقه الشّرق والغرب ---- ۱۴۷
الحصیله ---- ۱۴۹
القسم الثّانی: إفرازات العولمه ---- ۱۵۲
اشاره ---- ۱۵۲
إفرازات العولمه ---- ۱۵۴
اشاره ---- ۱۵۴
العولمه و التعولم ---- ۱۵۴
۱. آثار العولمه علی الثّقافات ---- ۱۵۸
اشاره ---- ۱۵۸
أثر المجتمع المعلوماتی علی حیاه الإنسان ---- ۱۵۸
تبلور قیم الثّقافه الجدیده ---- ۱۵۹
اشاره ---- ۱۵۹
۱-۱. استراتیجیّه الثّقافات فی مواجهه العولمه ---- ۱۶۱
۱-۲. العولمه وتعارض الثّقافات ---- ۱۶۳
۱-۳. مواجهه العولمه الغربیّه ---- ۱۶۷
۱-۴. آثار العولمه علی الدّین ---- ۱۶۸
۲. الإفرازات الاجتماعیّه للعولمه وعولمه العصرنه ---- ۱۷۲
أ) الإفرازات الاجتماعیّه للعولمه ---- ۱۷۲
ب) إفرازات عولمه العصرنه ---- ۱۸۱
الأزمات الاجتماعیّه ---- ۱۸۱
۳. الإفرازات المعنویّه والدّینیّه للعولمه ---- ۱۸۸

۳-۱. أزمه المعنویّه ---- ۱۸۸
۳-۲. العدمیه ---- ۱۹۱
۳-۳. فقد المعنی والهدف ---- ۱۹۲
اشاره ---- ۱۹۲
دور الدّین فی الحیاه ---- ۱۹۴
الدّین الدنیویّ أو إنکار الدّین ---- ۱۹۶
خلاصه القسم الثّانی ---- ۲۰۰
اشاره ---- ۲۰۰
نظره عابره للإفرازات الاجتماعیّه للعولمه ---- ۲۰۱
القسم الثالث: علاقه الدّین والعولمه ---- ۲۰۴
اشاره ---- ۲۰۴
۱: تعریف الدّین ---- ۲۰۶
۲: الدّین والعولمه ---- ۲۱۲
۳: مکانه الدّین فی عالم الیوم ---- ۲۲۰
اشاره ---- ۲۲۰
الحاجه إلی الدّین فی العصر الرّاهن ---- ۲۲۲
۴: فلسفه وضروره الدّین ---- ۲۲۴
۵: إنجازات الدّین ---- ۲۲۸
اشاره ---- ۲۲۸
أ) الإنجازات الاجتماعیّه للدّین ---- ۲۲۸
ب) الإنجازات المعنویّه للدّین ---- ۲۳۲
۱. دور الدّین فی حلّ المشاکل الرّوحیّه للإنسان ---- ۲۳۲
۲. دور الدّین فی إعطاء الحیاه بُعداً معنویّاً ---- ۲۳۳
۳. دور الدّین فی الأمن النّفسیّ ---- ۲۳۴
۴. الدّور النّفسیّ للدّین حسب وجهه نظر کارل غوستاف یونغ ---- ۲۳۴
ج) دور الدّین فی نموّ ورقیّ الفکر البشریّ ---- ۲۳۷

اشاره ----- ۲۳۷
دور الدّین فی عملیّه العولمه ----- ۲۴۰
مسار تطوّر وتکامل الأدیان ----- ۲۴۱
مستقبل الدّین ----- ۲۴۲
الأدیان العالمیّه ----- ۲۴۳
۶: علاقه العلم والدّین ----- ۲۴۶
اشاره ----- ۲۴۶
مکانه العلم فی المجتمعات الدّینیّه ----- ۲۵۰
مکانه الدّین فی عصر العلم ----- ۲۵۱
۷: علاقه الدّین والعصرنه ----- ۲۵۲
اشاره ----- ۲۵۲
نظریه إمکانیه الاستفاده من التّقنیه مع الحفاظ علی الهویّه الوطنیّه ----- ۲۵۴
إنجازات الدّین فی المجتمعات الحدیثه ----- ۲۵۶
علاقه العلم والدّین فی رأی بعض مفکّری العالم ----- ۲۵۷
العولمه والدّین ----- ۲۵۸
کیفیّه توافق الدّین مع الظّروف الجدیده ----- ۲۶۲
العولمه والإسلام ----- ۲۶۶
الإسلام فی عالم الیوم ----- ۲۶۷
نتائج البحث ----- ۲۷۲
ما الخطاب الّذی یرید الإسلام أن یوصله إلی العالم ؟ ----- ۲۷۹
هل باستطاعه الإسلام قیاده العالم فی العصر الرّاهن ؟ ----- ۲۸۰
آراء بعض العلماء بالإسلام ----- ۲۸۲
عوامل استعاده الهویّه الإسلامیّه (عوامل التحضّر الإسلامیّ) ----- ۲۸۴
تحلیل نظریّه تعارض الإسلام مع العولمه ----- ۲۸۶
عولمه الإسلام ----- ۲۹۱
أدلّه شمولیّه وعالمیّه الإسلام ----- ۲۹۴

تمایز العولمه الفعلیّه وعالمیّه حکومه المهدیّ ---- ۳۰۳
ممیّزات عولمه الإمام المهدیّ عجل الله تعالی فرجه الشریف ---- ۳۰۴
المصادر ---- ۳۰۸
اشاره ---- ۳۰۸
المجلّات ---- ۳۱۳
الآیات ---- ۳۱۴
تعریف مرکز ---- ۳۱۷

الدین و عملیه العولمه

اشاره

سامانی، مهدی

الـدین و عملیه العولمه / تألیف: مهدی سامانی؛ تعریب: عبدالکریم الجنابی؛ [ل] جامعه المصـطفی صـلی الله علیه و آله العالمیه، معاونیه تحقیق. -- قم: جامعه المصطفی صلی الله علیه و آله العالمیه، معاونیه تحقیق، ۱۳۸۸ ش.

۲۹۶ ص. -- (جامعه المصطفی صلی الله علیه و آله العالمیه، معاونیه تحقیق؛ ۱۷۸)

ISBN: ۹۷۸-۹۶۴-۱۹۵-۰۹۸-۱ ۳۳۵۰۰ ریال عربی.

فهرست نویسی بر اساس اطلاعات فیپا.

کتابنامه: ص. [۲۹۱]-۲۹۶ همچنین به صورت زیرنویس.

۱. جهانی شـدن -- جنبه های مذهبی. ۲. دنیوی گرایی. ۳. تجدد. الف. جامعه المصـطفی صلی الله علیه و آله العالمیه. معاونت پژوهش. ج. عنوان.

۹ د ۹ ج / ۱۳۱۸ ۱۷/۳۲۷ JZ

الدّین وعملیّه العولمه

تألیف: مسعود سامانی

تعریب: عبدالکریم الجنابی

الطّبعه اولی: ۱۴۳۰ ق / ۱۳۸۸ ش

النّاشر: دارالمصطفی صلی الله علیه و آله العالمیّه

الإخراج الفنی: السّید مهدی عمادی المجد

المطبعه: التّوحید السّعر: ۳۳۵۰۰ ریال عدد النسخ: ۲۰۰۰

حقوق الطّبع محفوظه للنّاشر.

التّوزیع:

قم، استداره الشهداء، شارع الحجتیه، مقابل مدرسه الحجتیه، محل بیع دارالمصطفی صلی الله علیه و آله العالمیه. هاتف - فکس: ۰۲۵۱۷۷۳۰۵۱۷

قم، شارع محمد الامین، تقاطع سالاریه، قرب جامعه العلوم، محل بیع دارالمصطفی صلی الله علیه و آله العالمیه. هاتف - فکس: ۰۲۵۱۲۱۳۳۱۰۶-۰۲۵۱۲۱۳۳۱۴۶

www.miup.ir , www.eshop.miup.ir

E-mail: admin@miup.ir, Root@miup.ir

الإهداء

إلى رَوح الجَنان إمام الإنس والجان

صائن الدّين والقرآن، الحقيقه العيان

الّذى ينتظر العالم فيض حضوره

ويترقّب نور ظهوره

أقدّم جهدى هذا...

هامت عيون الكون ترنو حنينا هاجت بنا الآمال تدعو: ولينا(۱)

۱- (۱) ترجمه للنسّ الفارسىّ:به تماشاى طلوع تو جهان چشم به راهبه امید قدمت جان و جهان چشم به راه «المعرّب».

الدّين وعمليّه العولمه

مسعود سامانى

تعريب: عبدالكريم الجنابى

ص:٣

کلمه الناشر

إنّ عملیه الشروع بأیّ بحثٍ و إنجازه، تعنی طیّ مرحلهٍ من النمو تبتدئ بنثر بذور السؤال، فی حق الذهن الوقّاد للباحث و تنتهی بإیناعها و من ثمّ قطف ثمارها. و إنّ هذه النهایه بالطبع، تبشّر بفصلٍ جدیدٍ من النمو؛ لأنّ ثمار السعی إضافه إلی الاخضرار، النضاره و البرکه، تتمخّض عن عدّه أسئلهٍ جدیدهٍ و تکتنز بذوراً قابله لنمو أوفر. فالأسئله بذور تنمو متساوقه و حاجات العصر و قدره الباحثین و تؤدّی إلی دوران عجله الثقافه و الحضاره خلفها.

إنّ ازدیاد سرعه التنقل و تضایق الفواصل المکانیه، غدت کالریح تعصف ببذور السؤال فی ذهن الباحث من مسافاتها الأبعد و تتحفنا بتنوّع و تجدّد علی طریق حضاره أرقی. و من المؤکّد أنّ الوعی و حسن الإداره سیکون لهما کما کان دور مرموق فی تسریع مثل هذه العملیه.

إنّ جامعه المصطفی صلی الله علیه و آله العالمیه تعتقد بأنّه من الواجب علیها القیام بدورٍ مؤثرٍ فی تهیئه الأجواء المناسبه للبحث و التحقیق نظراً إلی رسالتها العالمیه و مکانتها المتمیّزه فی الحوزات العلمیه و کذا لتنوّع الطاقات الإنسانیه الّتی تزخربها. و یعدّ إعداد البنی التحتیه اللازمه، الإداره الأمثل لما تمتّع به من

القابليات و الاهتمام بشؤون الباحثين فی المجال الدينی من أهمّ الوظائف الملقاه علی عاتق قسم البحوث فيها.

يحـدونا الأملو من خلال تنظيم النشاطات العلميه الـذاتيه و تنميه البواعث الحاضـره فی تفتّـح أزهار الثقافه الـدينيه أكثر فأكثر فی مختلف أصقاع العالم.

دارالمصطفی صلی الله عليه و آله العالميه

قسم البحوث

صيف ۲۰۰۸

ص:۶

الفهرس

ديباجه الناشر ۵

أوّل المقال ۱۳

توطئه ۱۵

۱. إيضاح المسأله ۱۷

۲. أهميّه البحث وضرورته ۲۰

۳. مفاهيم أساسيّه ۲۱

مفهوم العولمه ۲۱

المقصود من (التّعولم) ۲۳

۴. أسئله البحث ۲۶

۵. فرضيه التحقيق و البحث ۲۷

۶. أسلوب البحث ۲۹

أسلوب المعرفه الدّينيّه (معرفه الدّين) ۳۰

۷. تاريخ العولمه ۳۲

۸. ممهّدات العولمه ۳۴

أ) الممهّدات الفكريّه ۳۴

ب) الممهّدات السياسيّه والاجتماعيّه ۳۷

ج) الممهّدات التاريخيّه للعولمه ۳۸

۹. سوابق البحث ۴۰

عولمه العصرنه حسب رؤيه غينز ۴۲

عمليه العولمه من وجهه نظر الوين تافلر ۴۳

أبعاد العولمه ۴۵

۱. البُعد الاقتصادیّ ۴۵

۲. البُعد السّیاسی ۴۷

۱۰. الخطّه العامه للبحث ۴۹

القسم الاوّل: التّعرّف علی عملیّه العولمه

۱. تعریف العولمه (مناقشه التّعاریف) ۵۳

نقد ومناقشه التّعاریف ۵۵

خلاصه الفصل الأوّل ۵۸

۲. مطالعه للآراء والاتّجاهات ۵۹

نقد ومناقشه الآراء ۶۲

مناقشه النّظریّه الأولی ۶۲

مناقشه النّظریّه الثّانیه ۶۲

مناقشه النّظریّه الثّالثه ۶۳

معارضو العولمه ۶۴

خلاصه الآراء ۶۷

خلاصه الآراء والاتّجاهات ۶۹

۳. نظرّیه عولمه العصرنه ۷۱

مناقشه النظریّه الأولی (عولمه العصرنه) ۷۱

۱. مفهوم العصرنه ۷۱

٢. أسس وجذور العصرنه ٧٣

٣. نقد العصرنه ٧٦

أزمات العصرنه ٧٦

٣-١. نقد العقلانيّه الحديثه ٧٦

٣-٢. التّمرّد على التّراث ومحو القداسه ٧٧

٣-٣. الأزمه المعرفيّه للعصرنه ٨٠

نقد وتحليل ٨٤

٣-٤. أزمه العدميّه (النهلستيّه) ٨٤

٣-٥. الأزمات الثّقافيّه والأخلاقيّه ٨٧

٣-٦. الأزمات الاجتماعيّه للعالم المتقدّم (العصرنه) ٨٩

ص:٨

٣-٦-١. الأزمات الاجتماعيّه ٨٩

٣-٦-٢. فقدان الانسجام وتخلخل العلائق الاجتماعيه ٨٩

٣-٧. أزمه الهويّه ٩٠

٣-٨. نقد العصرنه حسب رؤيه ما بعد الحداثه ٩٣

العصرنه مشروع غير متكامل ٩٤

٤. تنقيح علاقه العالميّه بماوراء الحداثه ٩٧

مفهوم ما بعد الحداثه ٩٨

نقد العصرنه حسب رؤيه ما بعد الحداثه ١٠٠

عولمه ما بعد العصرنه ١٠٥

ثقافه ما بعد العصرنه ومسارها العولمىّ ١٠٧

العلائم ما بعد الحداثويّه للعولمه ١٠٩

حصيله الفصل الرّابع ١١٢

٥. علاقه العولمه والثّقافه ١١٥

عولمه الثّقافه ١١٥

تعارض الثّقافات ١٢٢

مناقشه نظريّه صراع الثّقافات والحضارات ١٢٤

نقد نظريّه صراع الحضارات ١٢٨

علاقه الشّرق والغرب ١٣٠

الحصيله ١٣٢

القسم الثّانى: إفرازات العولمه

إفرازات العولمه ۱۳۷

العولمه و التعولم ۱۳۷

۱. آثار العولمه علی الثّقافات ۱۴۱

أثر المجتمع المعلوماتی علی حیاه الإنسان ۱۴۱

تبلور قیم الثّقافه الجدیده ۱۴۲

۱-۱. استراتیجیّه الثّقافات فی مواجهه العولمه ۱۴۴

۱-۲. العولمه وتعارض الثّقافات ۱۴۶

۱-۳. مواجهه العولمه الغربیّه ۱۵۰

۱-۴. آثار العولمه علی الدّین ۱۵۱

٢. الإفرازات الاجتماعيّه للعولمه وعولمه العصرنه ١٥٥

أ) الإفرازات الاجتماعيّه للعولمه ١٥٥

ب) إفرازات عولمه العصرنه ١۶۴

الأزمات الاجتماعيّه ١۶۴

٣. الإفرازات المعنويّه والدّينيّه للعولمه ١٧١

٣-١. أزمه المعنويّه ١٧١

٣-٢. العدميه ١٧۴

٣-٣. فقد المعنى والهدف ١٧۵

دور الدّين فى الحياه ١٧٧

الدّين الدنيوىّ أو إنكار الدّين ١٧٩

خلاصه القسم الثّانى ١٨٣

نظره عابره للإفرازات الاجتماعيّه للعولمه ١٨۴

القسم الثالث: علاقه الدّين والعولمه

١. تعريف الدّين ١٨٩

٢. الدّين والعولمه ١٩۵

٣. مكانه الدّين فى عالم اليوم ٢٠٣

الحاجه إلى الدّين فى العصر الرّاهن ٢٠۵

۴. فلسفه وضروره الدّين ٢٠٧

۵. إنجازات الدّين ٢١١

أ) الإنجازات الاجتماعيّه للدّين ٢١١

ب) الإنجازات المعنويّه للدّين ۲۱۵

۱. دور الدّين فى حلّ المشاكل الرّوحيّه للإنسان ۲۱۵

۲. دور الدّين فى إعطاء الحياه بُعداً معنويّاً ۲۱۶

۳. دور الدّين فى الأمن النّفسىّ ۲۱۷

۴. الدّور النّفسىّ للدّين حسب وجهه نظر كارل غوستاف يونغ ۲۱۷

ج) دور الدّين فى نموّ ورقىّ الفكر البشرىّ ۲۲۰

دور الدّين فى عمليّه العولمه ۲۲۳

مسار تطوّر وتكامل الأديان ۲۲۴

مستقبل الدّين ۲۲۵

الأديان العالميّه ۲۲۶

۶. علاقه العلم والدّین ۲۲۹

مکانه العلم فی المجتمعات الدّینیّه ۲۳۳

مکانه الدّین فی عصر العلم ۲۳۴

۷. علاقه الدّین والعصرنه ۲۳۵

نظریه إمکانیه الاستفاده من التّقنیه مع الحفاظ علی الهویّه الوطنیّه ۲۳۷

إنجازات الدّین فی المجتمعات الحدیثه ۲۳۹

علاقه العلم والدّین فی رأی بعض مفکّری العالم ۲۴۰

العولمه والدّین ۲۴۱

کیفیّه توافق الدّین مع الظّروف الجدیده ۲۴۵

العولمه والإسلام ۲۴۹

الإسلام فی عالم الیوم ۲۵۰

نتائج البحث ۲۵۵

ما الخطاب الّذی یرید الإسلام أن یوصله إلی العالم؟ ۲۶۲

هل باستطاعه الإسلام قیاده العالم فی العصر الرّاهن؟ ۲۶۳

آراء بعض العلماء بالإسلام ۲۶۵

عوامل استعاده الهویّه الإسلامیّه (عوامل التحضّر الإسلامیّ) ۲۶۷

تحلیل نظریّه تعارض الإسلام مع العولمه ۲۶۹

عولمه الإسلام ۲۷۴

أدلّه شمولیّه وعالمیّه الإسلام ۲۷۷

تمایز العولمه الفعلیّه وعالمیّه حکومه المهدیّ ۲۸۶

مميّزات عولمه الإمام المهدىّ عجل الله تعالى فرجه الشريف ٢٨٧

المصادر ٢٩١

المجلّات ٢٩۴

الآيات ٢٩۵

ص:١١

أوّل المقال

«إنّ العالم فی حال توحّد وتصاغر. وإنّ القریه العالمیّه الّتی تکهّن بها ماک لوهان فی طریقها للتّحقّق».

ورنر شاب

«نحن نحیا فی صمیم ثوره عالمیّه (ثوره المعلومات) إنّ کوکبنا الأرضی یتعرّض لضغوط ثنائیّه متزایده ومتضادّه: العولمه من جهه والتفتّت والتشتّت من جهه أخری».

الأمین العام السّابق للأمم المتّحده بطرس غالی

«إنّ الوحده العالمیّه هی آخر ما أمِلته وتلهّفت إلیه البشریه، فلطالما سعت لتأسیس حکومه عالمیّه».

دستویفسکی

ص:۱۳

توطئه

اشاره

العولمه: تیّار جارف یسوق البشریّه من عالم محدود، ثابت وشفّاف، نحو عالم متجدّد، محیّر، متمرّد، مبهم ومجهول. عالم وسیع وبلا حدود، عالم المتضادّات والتعقیدات، عالم التشتّت الاندماجیّ والتکثّر الاتّحادیّ والتّصاغر الاتّساعیّ، هذا العالم ذو التّحوّلات السّریعه والمؤثّره جعلت الإنسان - وهو یعیش فی خضمّ أزمات تحیط به فکریّاً و ثقافیّاً و اجتماعیّاً واقتصادیّاً وسیاسیاً - أن یقف وجهاً لوجه أمام مسائل مشترکه ومتعدّده تُملی علیه التّخطیط لقضایاه المحلّیه برؤیه عالمیّه شامله.

و کما یری روبتسون: «إنّ التّبلور الشّامل للقیم والمعرفه العالمیّه یرتکز علی أساس القیم المعنویّه والازدیاد المضطرّد لحرکات و منظمات العالم الشّمولیّ، هذه الظروف، لعبت دوراً أساسیّاً فی تبلور المسأله العالمیّه. ومن ثمّ أقحمت الإنسان فی ظروف جدیده، غطّت فیه علی هویّته وحاجاته وحیاته الاجتماعیّه والشّخصیه و لوّنتها بصبغه عالمیّه». إنّ هذه التّحوّلات البنیویّه والشّامله تدعنا نتساءل، إلی ما ستؤول إلیه مکانه الدّین ومستقبله فی هذا العصر، عصر العولمه؟

عـالم اليوم، عـالم حـدا بآل دوس هكسـلى أن يصوّره بهـذا التّصوير اليائس: «عالم وُضـعت فيه الثّقافات والقيم الإنسانيّه فى درج النسيان، وفقد فيه الإنسان إرادته ومشاعره، وقصر همّته على الرّخاء والتّطوّر واللّهو والتّسلّى بما أبدعه من صناعات وتقنيات».

فـالعولمه بـدل أن تقترح وتعرض بـديلاً لتركيبه البنى الاجتمـاعيّه والثّقـافيّه، أوجـدت تحوّلات و اختلالات فى عمق تلك البنى، تحوّلـت فى قـدره الحكومات والـدّول، فى ظرفيه وطبيعه الفكر البشـرىّ، وتمخضّت عن اضـطراب فى الأسـس الاجتماعيّه وفى التّوافـق والتّضـامن القومىّ، غزو الإعلام وتـدفّق المعلومـات، اختلال النّظـام الـتّربوىّ والتّعليمىّ، تغيّر مفهوم الأـمن الاجتمـاعىّ، انتقاض أسس العداله الاجتماعيّه والديمقراطيّه، إضعاف الذّات، تمزّق الثّقافات، تشتّت المؤسّسات الشّعبيّه و الحزبيّه، حرّيّه تبادل السّلع والخدمات على النّطاق العالمىّ؛ كلّ ذلك يعدّ من الإفرازات الأساسيّه للعولمه.

ويمكن تلخيص أهمّ مسائل ومعطيات هذا البحث بما يلى:

فى مجال مسـتقبل الـدّين فى عصـر العولمه يمكن التّـذكير بما اسـتدلّ به الفيلسوف الألمانىّ الشّـهير بول تيليـخ، فهو يـذكّر بأنّه: «لايمكن على الإطلاق إزاحه الدّين عن واقع الحياه» ويستدل على ذلك بقوله: «إنّ الأمر الدنيوىّ ليس بإمكانه – لا ذاتاً وواقعاً – الاسـتمرار والـدّوام بصوره مسـتقلّه وعلى انفراد، فالأـمر الـدّنيوىّ لا يسـتطيع البقاء والاسـتمرار اعتماداً على النّزعه الـدّنيويّه فقط». وعلى هـذا؛ فهو يتكهّن بانسـياق الإنسان نحو عمق الأصاله الـدّينيّه فى نهايه المطاف. وها نحن مـذهولون بهذا الانبعاث والتّجدّد الـدّينىّ فى أتون هـذا الرّقى الحضـارى، هـذه الصّـحوه الـدّينيّه تعكس فى الحقيقه نزوع النّوع الإنسانىّ نحو العـداله، التّمرّد على معطيات العولمه، الانفلات من قيود المادّيّه، القلق من الأزمات الّتى تكتنف العالم... الـخ، كلّ ذلك ساهم من الوجهه العقليّه فى ردّ الاعتبار للدّين واكتسابه حيثيّه جديده.

إنّ فكره عولمه الحضاره الغربيّه تتضمّن تناقضاً ماهويّاً؛ ففيما لو أدّت عولمه الحضاره الغربيه إلى سحق واكتساح الثّقافات والعقائد الأخرى، فإنّ ذلك سيؤدّى إلى سلب أىّ دور للبشريّه وثقافاتها المتنوّعه فى عالم المستقبل، فإذا كانت العصرنه ذات اتّجاه مستقبلى؛ وذلك بتسخير المستقبل لتنفيذ أهدافها وغاياتها، فستقع عندئذ فى تناقض فاضح مع حقيقه العولمه الّتى هى بحسب الفرض عالميّه وتستبطن التّبعيّه المتبادله فيما بين الثّقافات، وفى تضادّ مع الهيمنه والتّسلّط.

إنّ تناقضات تيّار العولمه والتّعولم كثيره جدّاً؛ فأزمه الحكم الوطنىّ، الحاكميّه الوطنيّه والغرب، أزمه الأمن العالمىّ، الأزمات السّياسيّه والاقتصاديّه و البيئويّه، أزمه الهويّه والمعنويّه، أزمه الأسره والنظام التّعليمىّ والثّقافىّ والاجتماعىّ تعدّ بعضاً من مظاهرها.

فالتّطوّر العلمىّ والتّقنىّ اليوم لا يقتصر على الغرب وحده، فكلّ الثّقافات تتفاعل وتشترك فى التّأثير لبلوره المستقبل العالمىّ، ولها دور مهمّ فى ذلك. فالعولمه ذاتها تدّعى بأنّ انتشار وسائل الاتّصال والإعلام سيؤدّى إلى وفاق ثقافىّ وتبلور (ثقافه عالميّه) عبّر عنها مارشال ماك لوهان بعباره (القريه العالميّه - Global Village). إنّ فكره الثّقافه العالميّه لا يمكن تحقيقها إلّا من خلال صفه العالم التّقنّى؛ لكونها وليده للعلم والتّقنيه. ولكنّ هذا لا يعنى بأنّ هذه العمليّه تبتغى صهر وتذويب الفروقات الثّقافيّه، وخلق وإبداع ثقافه موحّده وشامله.

١. إيضاح المسأله

إنّ موضوع هذا الكتاب (الدّين وعمليّه العولمه)، فالعولمه أضحت من المسائل المهمّه فكريّاً وثقافياً لعالم اليوم، وتتضمّن أبعاداً متنوّعه ثقافيّه

واقتصاديّه واجتماعيّه وسياسيّه. هذه الظاهره الجديده حدت بالكثير من المفكّرين إلى التّأمّل والبحث فى جوانبها المتعدّده؛ بحيث حاول كل منظّر منهم عرضها فى صيغه نظريّه علميّه وذلك باستخدام كافّه الاستدلالات والأساليب الممكنه.

فما هى العولمه؟ وكيف يمكن التّعرّف على مفهومها، حقيقتها، مميّزاتها ونتائجها بشكل صحيح باعتبارها ظاهره معاصره؟

فإلى الآن لم تتّضح أبعاد وحقيقه هذا التيّار الجارف، مع ما طُرح واتّخذ من أساليب ومطالعات متعدّده فى هذا المجال. فبعض الباحثين بحث المسأله من خلال بعدها الاجتماعىّ، وحاول دراسه تأثيرها على الأسس والرّوابط الاجتماعيّه. والبعض الآخر طالعها من خلال الزّاويه السّياسيّه، وحاول اكتشاف تأثيرها على البنى السياسيّه، شؤون السّلطه، علاقه الحكومه بالشّعب أو علاقات الدول ببعضها البعض وتأثير ذلك على الهويّه الوطنيّه والقوميّه. ونظر جمع آخر من المحقّقين إليها من خلال علوم الاتّصال والتّقنيه المعلوماتيّه والتّأثير الّذى أحدثته من خلال سرعه وسهوله تداول المعلومات على الصّعيد العالمىّ.

بعض المفكّرين الآخرين أمثال غينز وروبتسون؛ ركّز بحثه على المظاهر الجديده والأبعاد الأكثر غموضاً للعولمه، وحلّلها بناءً على مبدئى الثّقافه والمذهب.

إنّ أغلب المفكّرين اليوم يخوضون فى نطاق مفاهيم ثنائيّه الجانب، أمثال: (المحلّيّه والعالميّه)، (الحداثه وما بعد الحداثه)، ويقترحون أحد جانبى هذه المعادله حلاًّ لمشاكل العالم وقضاياه الماديّه؛ فبينما يرى العولميّون أنّ العولمه تعدّ الحلّ المناسب لمشاكل عدم التّنميه، التّخلّف، الانزواء المحلّىّ. يقف المحلّيّون على خلاف ذلك ويرون بأنّ المشكله هى العولمه ذاتها وأنّ حلّها يكمن فى المحلّيّه.

إنّ التجاذب الحاصل بين البقاء محلّيّاً والتّعولم، التّقليديّه والتّجديد، الحداثه وما بعد الحداثه؛ عمليّه معقّده لها نتائج خاصّه، عمليّه تعدّ التجزئه وعدم التّشخّص وعدم الحتمِيّه والتّبدّل المستمر والفائق من مكوّناتها الأساسيّه. إنّ التّقدّم والتّجدّد المذهل والتّطوّر التّقنى تسبّب فى بروز ظواهر جديده ومفاهيم حديثه؛ ثقافيّه واجتماعيّه وسياسيّه واقتصاديّه. وقد تقارنت هذه الظّاهره مع التّطوّر العلمىّ وثوره الاتّصالات وتقنيه المعلومات، ممّا أدّى إلى اتّساع نطاقها بسرعه فائقه.

وعلى رغم الجدل والبحث الوسيع الدائر فى مسأله العولمه، لم يحصل حتى الآن اتّفاق فى الآراء حول حقيقتها وأبعادها وآثارها. ولازال هناك طيف وسيع من المعترضين يسعون لإنكار وجودها الواقعىّ والموضوعىّ ممّا يرسّخ الخلاف فيما بينهم وبين أنصارها. فيا ترى أين تكمن عقده هذا الجدال والتّجاذب؟ فهل المسأله متعلّقه بعدم وجود عولمه أساساً، أم أنّها عمليّه من غير الممكن بيانها وتحليلها فى إطار المقولات والنّظم الفكريّه السّائده. أم أنّها بسبب حقيقتها المتلوّنه وتأثيرها الجذرىّ؛ تكتسب باستمرار أبعاداً جديده، ولذا لا يمكن وضع تعريف محدّد لها؟

ونظراً لتعدّد البحوث وعدم انسجام الأدلّه المطروحه فى هذا المجال، ينبغى ابتداءً توضيح النّقاط الأساسيّه والمختلَف حولها، كى نصل إلى النّتيجه المطلوبه ويتّضح مدى تطابق الاتّجاهات المطروحه حول العولمه مع نظريّه (هيمنه وانتشار الرأسماليّه) أو (عولمه الرأسماليّه) أو (عولمه العصرنه) أو (القريه العالميّه) لماك لوهان، أو نظام (التبعيّه المتبادله) لوالترشتاين؟

ويبرز هذا التّجاذب بشكل واضح فى المناظرات السّائده فى أنّ العولمه، هل هى عمليه اقتصاديّه أم مشروع سياسىّ؟ وهل هى أساساً تعدّ تطوّراً علميّاً وتقنيّاً وبعباره أخرى؛ رؤىً جديده بوسائل جديده لإداره العالم أم أنّها مجرّد عمليّه ليس إلّا؟

وعلی أیّه حال، ینبغی النّظر فی مدی انسجام العولمه بمعناها الواقعیّ مع النّظریّات المطروحه والّتی یمکن إثباتها فی هذا المجال. فهل أنّ الرأسمالیّه اللیبرالیّه الغربیّه أو العصرنه الغربیّه تتناغم وتتّسق معها، أم أنّها تنسجم وتتوافق مع الأسس الفکریّه و الفلسفیّه للأدیان الإلهیّه؟ وأیّه رؤیه من هاتین الرؤیتین تستحق أن تکون باعثاً ومبرّراً للعولمه؟ إنّ هذا التّحدید یعدّ من المسائل المهمّه المتعلّقه بالعولمه.

۲. أهمیّه البحث وضرورته

مع بدء الألفیّه الجدیده، حقّقت البشریّه تطوّراً نوعیّاً سبّب تغیّراً ملحوظاً فی مظاهر العالم المعاصر والرّوابط والعلاقات الدّولیّه. حتی أصبح ذلک مدار حدیث السیّاسیّین، الاقتصادیّین، الفلاسفه وعلماء الاجتماع علی اختلاف اتّجاهاتهم ومشاربهم. ولا یتطرّق أدنی شکّ بأنّ البشریّه أخذت تتّجه وبسرعه فائقه نحو الاقتصاد والسّیاسه والثّقافه العالمیه الواحده، ولکن مع ذلک کلّه لا توجد نظره مشترکه فی مجال مفهوم (العولمه) وعلاقتها بأسبابها والنّتائج والآثار الّتی أفرزتها.

إنّ للعولمه کظاهره مهمّه وحدیثه أبعاداً متنوّعه؛ ثقافیّه واجتماعیّه واقتصادیّه و سیاسیّه ألقت بظلالها علی جمیع البنی الثّقافیّه والاجتماعیّه، وأقحمت أدیان وثقافات جمیع الأمم والشّعوب فی أزمه حقیقیّه لا یمکن اجتنابها وتلافیها. وإذا ما أردنا مواجهه هذه الظّاهره العالمیّه الشّامله ینبغی أن تکون لدینا معرفه واقعیّه بحقیقتها وأسسها ومقتضیاتها. ونظراً لتأثیرها الّذی لایمکن إنکاره علی مکانه الثقافات والأدیان؛ غدت من أهمّ القضایا الدّینیّه والاجتماعیّه والثّقافیّه للعالم الإسلامی، وبناءً علی المعرفه والتّفسیر الّذی نمتلکه لهذه العملیه ستکون دراستنا وتحلیلنا لها مختلفاً إلی حدّ کبیر.

۳. مفاهیم أساسیّه

مفهوم العولمه

إنّ العولمه (Globaliziation) تأتی بمعنی الصّیروره العالمیّه، صنع العالمیّه، الاتّجاه العالمیّ والعالم الشّمولیّ؛ ویتعلّق جذرها - بشکل عامّ - بلفظه (Global) الّتی تُستعمل فی المعانی التّالیه:

۱. الشّیء المستدیر مثل الکره والشکل الکرویّ.

۲. کلّ شیء عامّ و کلّیّ وذو شمولیّه عالمیّه فتفید معنی (Tatal).

۳. جمیع المقولات العامّه الّتی تشمل الکره الأرضیّه.

وفی هذا الخصوص یطرح السّؤال التّالی نفسه؛ وهو هل أنّ التّعولم والعولمه لهما نفس المعنی أم لا؟

إنّ أغلب المفکّرین الّذین قاموا باستقصاء البحث فی مجال العولمه والتّعولم یعتقدون بعدم الفارق فیما بین الاصطلاحین، ولا ینفرد أیّ منهما بمصداق أو مفهوم مستقلّ عن الآخر، بل إنّهما یتوافقان مفهوماً ومصداقاً ولا یوجد أیّ تمایز بینهما. ویبدو أنّ هناک خلطاً واشتباهً أساسیاً فی هذا الموضوع؛ وهو أنّ بعض التراجم لم تعرض بصوره صحیحه المعنی الدقیق لهذین المصطلحین، وعلی أساس ذلک لا یمکن أن یکونا ذا مفهوم واحد، کما أنّهما یتمایزان ویختلفان فی المصداق أیضاً.

وهنا لابدّ من القول، بأنّنا نلاحظ وجود ظاهرتین وعملیّتین مختلفتین تتضمّنان حقیقتین مختلفتین. فمن الناحیه المنطقیّه و المعرفیّه یمکن إطلاق مصطلح (التعولم) علی إحدی العملیّتین والّتی یمکن التعبیر عنها بالحاله الذّاتیه للتّحوّل العالمیّ، أمّا الظّاهره الأخری وهی العولمه فینبغی اعتبارها مشروعاً مفروضاً من الخارج.(۱)

۱- (۱) إنّ التّعولم علی وزن تفوعل یفید التّغیّر والتحوّل الذّاتیّ دون إعمال إراده خارجیّه أمّا العولمه فهی علی وزن فوعله وتفید التّغیّر والتّبدّل من خلال إعمال إراده خارجیّه. «المعرّب».

إنّ التّعولم بالمعنى الحالى دخل قاموس الأدب السّياسىّ، الاقتصادىّ والثّقافىّ فى النصف الثّانى للقرن العشرين وذلك فى حدود عام ١٩٨٠ فصاعداً. إنّ لفظه (Globalizition) الّتى هى بالمعنى العامّ؛ الأمر ذو الاستيعاب والشّمول العالمىّ، وكذا بمعنى التكامل والاندماج الّذى يعتمد أحد النّماذج السّائده عالمياً.

إنّ هذه التّعاريف على رغم تفاوتها المفهومى والاستعمالىّ، لا يمكن أن تؤدّى المعنى الدّقيق للوضع الجديد والّذى عبّرنا عنه بالتّعولم. وكما تقدّمت الإشاره؛ ينبغى التّفريق من ناحيه المفهوم بين عمليه التّعولم وصيغه العولمه. عامّه المنظّرين يرون اتّحاد مفهومى التّعولم والعولمه، ولهذا فقد خلطوا بين مميّزات ونتائج كلّ منهما. وينبغى الالتفات إلى هذه النّقطه؛ وهى أنّ التّعولم وكون العالم شموليّاً أمر تعدّ العالميّه من مقتضياته الطّبيعيّه والذّاتيّه وهو يختلف عن الأمر الّذى لا يقتضى ذلك ذاتياً. وفى عقيدتنا أنّ (التعولم) هو المعنى اللازم للفظه (Globalizition) ، أمّا العولمه الّتى هى بمعنى فرض العالميّه وبسط نفوذ أنموذج معيّن على جميع المجتمعات هى المعنى المتعدّى لهذا المصدر.

ونظراً للاختلاف المفهومى بين هذين المصطلحين باللحاظ العملىّ والتّطبيقىّ يمكن القول؛ إنّ التّعولم هو الحاله الطّبيعيّه للنّمو والتّنميه العلميّه والتّقنيّه على مستوى العالم. أمّا العولمه فهى بمعنى استيلاء وفرض أنموذج وطراز خاص يكون مدعوماً سياسيّاً واقتصاديّاً وثقافيّاً للسيطره على غيره من الثّقافات والأمم وتذويبها فى بوتقته. وعلى هذا الأساس، فإنّ محاوله بعض المفكّرين تصوير المفردتين تصويراً واحداً مشتركاً يعدّ محاوله فاشله وغير موفّقه وناشئه من عدم التّمييز بين هذين الوجهين للتّحوّل إلى العالميه.

ولتحليل وبيان مسأله التّعولم يلزم الالتفات إلى عدّه قضايا أساسيّه:

١. إنّ بعض الإبهامات والمغالطات الّتی ظهرت فی خصوص التّعولم کانت ناشئه من عدم الاطّلاع علی الجوانب والأبعاد المختلفه له.

٢. إنّ بعض الباحثین یحاول تصویر التّعولم علی أنّه وسیله لسیطره النّظام الرأسمالیّ اللیبرالیّ أو أنّه غربنه للعالم، وینفون البُعد العلمیّ والمنطقیّ له، ویتناسون کلّ أسسه ومقتضیاته. فی حال أنّ العولمه هی المشروع الّذی یُراد منه بسط السّیطره الغربیّه و تحقیق النّظام العالمیّ الجدید. فالتّعولم هو عملیّه تقوم علی أسس تاریخیّه وثقافیّه وفلسفیّه ولها مقتضیات مختلفه.

٣. إنّ بعض الاشتباهات والتّحلیلات الخاطئه فی موضوع التّعولم نشأت من عسر وصعوبه التّفریق بین هاتین الظّاهرتین (التّعولم والعولمه)؛ لتقارنهما الزّمانی واشتراکهما فی بعض الوجوه، کالشّمولیّه، أو الاستفاده من أسباب التّطوّر العالمیّ، أو من خلال تعرّضها للإنکار أثناء البحث والنّقاش فیما بین المعارضین والمؤیّدین.

المقصود من (التّعولم)

(١)

بناءً علی الافتراضات والمقدّمات الآنفه وکما ذکرنا سابقاً ینبغی التّفریق فیما بین (التّعولم) و (العولمه) سواءً فی نطاق العلم المعرفیّ أو فی إطار التّطبیق والتّحقّق الخارجیّ: فمع أنّ کثیر من المفکّرین لم یکونوا بمنأی عن الوقوع فی مغالطات واشتباهات فی الخلط بین کلتا المقولتین، ولکنّ الموضوع یستدعی التّمییز بینهما، وقراءه وتحلیل مستلزمات کلّ منهما علی حده. وعلی هذا فلابدّ من الالتفات إلی أنّ «التّعولم» هو موضوع علمیّ وفکریّ ویتضمّن تحوّلاً وتغیّراً بنیویّاً وأساسیّاً فی جمیع البنی الثّقافیّه والاجتماعیّه والاقتصادیّه

١- (١) ونحن بدورنا سنستعمل مصطلح العولمه ویفهم المراد منه من خلال السّیاق إلّا فی المواضع الّتی یراد فیها التّمییز بین المصطلحین؛ وذلک لشیوع استعماله، کما أنّه لا تشاحّ فی الاصطلاح، (المعرّب).

الّتی تخصّ البشریه جمعاء، والّذی یعدّ عملیّه طبیعیّه للنّمو العلمیّ والتّقنیّ الحاصل. فی حال أنّ (العولمه) تعدّ منهجاً وموضوعاً خُطط له مسبقاً، ونموذجاً مفروضاً لأجل السّیطره الاقتصادیّه والسّیاسیّه والثّقافیّه علی العالم، والّذی یرتکز فی الأساس علی مبادئ النّظام اللیبرالیّ والرأسمالیّ الغربیّ، بهدف استغلال المجتمعات الأخری وبأسلوب حدیث. إنّ هذا النّوع من العولمه أو بتعبیر أدق العولمه الغربیّه والّذی یصطلح علیه بغربنه العالم (Westernize) لایمکن القبول به، فضلاً عن عدم إمکان تحقیقه. أمّا الصّوره الأولی للعولمه أو العولمه العلمیّه، فهی لیست عملیّه علمیّه مطلوبه فقط، وإنّما من الممکن تحقیقها، إضافةً إلی احتوائها علی فوائد إیجابیه وعالمیّه، وهی تماثل الثوره العلمیّه فی الغرب والّتی کان لها أثر کبیر فی العصرنه الغربیّه والإقرار بقیمه العلم ومکانه البحث والتّحقیق والاکتشافات العلمیّه والنّمو والتّحوّل العلمیّ.

و إذا أخذنا العولمه بمعنی کونها عملیّه وجدت جرّاء النمو العلمیّ والتّقنیّ، فهی فی ذلک تقوم علی الأسس العقلیّه والتّطوّرات العلمیّه والتّقنیّه، فلذا ینبغی عدم رفضها أو الفرار والانزواء تّجاه مقتضیاتها. إنّ التّعولم بهذا المعنی یعنی انکشاف الحدود الزّمانیّه والمکانیّه، وإمکانیّه التّداول السّریع للمعلومات الوفیره والواسعه، واستعمال وسائل الإعلام العالمیّه، وکسب جموع کثیره من المخاطَبین، وتیسیر الرّوابط والعلاقات فیما بین الثّقافات ومختلف أبناء البشریه بطرق مباشره و غیر مباشره، والتبادل السهل للسلع الثقافیّه والفنیّه والاقتصادیّه والعلمیّه والمعلوماتیّه علی المستویین الزمانیّ والمکانیّ. إنّ التّعولم یعنی فیما یعنی الوقوف وجهاً لوجه أمام تراکم المعلومات، الهمّ الإنسانیّ المشترک، الحاجات البشریّه المختلفه ومقتضیات الحیاه البشریّه الجدیده.

إنّ من الأهمّيّه بمكان أنّه من خلال (عمليّه العولمه) سيتّضح لنا جليّاً المراد والمقصود من الدّين، فإنّ المقصود من الدّين فى هذا البحث ليس هو بمعنى عولمه الدّين أو صيروره العولمه ديناً، أو خضوع العالم للدّين (دينونه العالم)، بل إنّ هناك تفاوتاً أساسيّاً وجدّيّاً بين أىٍّ من هذه العمليات، فإنّ حقيقه ونطاق كلٍّ منها يختلف تماماً عن الأخريات.

إنّ العولمه الّتى هى فى حال التبلور لا تقتصر على عولمه الاقتصاد والسّياسه والثّقافه، وإنّما هى عمليّه معقّده لها أبعاد علميّه وثقافيّه واقتصاديّه وسياسيّه واجتماعيّه وتقنيّه متعدّده. فليس المقصود من عولمه الدّين هنا هو انتشار واستيلاء دين ما على غيره من الأديان والثّقافات، بحيث يكون ملهماً فى كافه مجالات الحياه البشريّه، أو تغلغل الدّين فى الحياه الفرديّه والاجتماعيّه على النّطاق العالمىّ. مع كون هذه المسأله قد أكّدها الإسلام وتعلّق بها الوعد الإلهى الحتمىّ فى تحقّق العولمه للدّين الإسلامىّ، ومع أنّ هذا النوع من العولمه ينسجم وما تصبوا إليه المجتمعات الدّينيّه وكثير من المتألّهين، ولكنّها تختلف والعمليّه الفعليّه للعولمه.

ونحن فى هذا البحث لسنا بصدد بيان هذا النوع من عولمه الدّين، ولكنّنا نخوض عمليّه تتبلور خارج نطاق الدّين ودون تدخّله وتؤدّى تبعاتها إلى توتّر وتأزّم الحياه الدّينيّه وتضيّق الخناق على بعض مجالاتها، وتمحو مظاهر الدّين عن سيماء المتديّنين، أو أنّها ربما تهيّء فى بعض الموارد فرصاً لنمو الدّين وانتشاره. والسّؤال الأساسىّ الّذى يطرح نفسه هنا، هو المكانه الّتى سيؤول إليها الدّين فى عصر العولمه. فهل يستطيع الدّين لعب دور أساسىّ ومؤثّر، أم أنّ العولمه عمليّه علمانيّه محضه لا تتّفق والدّين؟ أم أنّها بذاتها وطبيعتها لا تحمل أىّ بلاغ قيمىّ وأيديولوجىّ، وما هى إلّا وعاءً بإمكانه استيعاب أيّه ثقافه كانت؟

۴. أسئله البحث

إنّ هذا البحث وبناءً على الموضوع الّذى يطرقه يتعهّد بالإجابه عن الأسئله التّاليه:

۱. ماهى العولمه؟

۲. ماهى مميّزاتها؟

۳. ماهى أبعادها؟

۴. ماهى أسسها الفكريّه والفلسفيّه؟

۵. هل التّعولم عمليّه طبيعيّه وموضوعيّه أم إنّه مشروع وأطروحه؟ وبماذا يختلف عن العولمه؟

۶. ماهى آثارها فى دائره الثّقافه والدّين، وما هى التّغييرات الّتى ستُحدثها فى البيئه الدّينيّه؟

۷. كيف ستكون مكانه الدّين وبخاصه الإسلام فى عصر العولمه؟

نظراً لحتميه هذه العمليه وتأثيرها على الدّين نظريّاً وعمليّاً، لذا ينبغى التّفكير فى كيفيه تلافى آثارها السلبيّه ونتائجها الخطيره والحؤول دون وقوعها؟

وللإجابه عن الأسئله الآنفه وطرح أىّ حلول فى هذا المجال فنحن بحاجه إلى بيان واقعىّ وموضوعىّ للعولمه والالتفات إلى دورها فى تقرير مصير الحياه البشريّه، ومع وجود مفكّرين كثيرين حاولوا بآرائهم وتوجّهاتهم المختلفه؛ التنظير لهذه الظاهره بطريقه واضحه، ولكنّهم عجزوا عن التوصّل إلى تفسير واقعىّ وعلمىّ لها. ونحن فى هذا البحث سنسعى وبأسلوب جديد ونقدى للافتراضات المطروحه أن لا نقتصر على التّعامل مع العولمه بذاتها، وإنّما نحاول اكتشاف أسسها وجذورها العلميّه والفلسفيّه ومراعاه مبادئها ومعطياتها.

ويبدو أنّ معظم المفكّرين يعتبرون العولمه معلولاً وظاهره جديده مفروضه ومشؤومه، وقد دعى ذلك المعارضون والمؤيّدون على السواء،

دعاهم إلی عدم إظهار کونها موضوعاً منطقیّاً ومعقولاً. ولأجل ذلک سیکون سؤالنا المحوری فی هذه الصفحات، هو کیفیه إدراک وفهم حقیقه العولمه، آخذین بنظر الاعتبار معطیاتها وأسسها الفکریّه والفلسفیّه والعلمیّه، والتّدلیل علی أنّ کلّ واحده من الفرضیّات المطروحه قد نظرت إلی العولمه من زاویه خاصّه ولم تستطع أن ترسم نموذجاً حقیقیّاً ومستقلاً لها. ومن هنا ینبغی النظر فی ما یمکن إثباته وتحقّقه من تلک الفرضیّات، لنعکف حینها علی بیان العلاقه بینها وبین الدّین وخصوصاً الإسلام.

إنّ هذا الأسلوب الجدید من الممکن أن یعطینا رؤیه جامعه ومعرفه أدقّ بهذا الموضوع الواسع والمتشعّب، نستطیع من خلالها وبتعامل معقول مع هذه الظّاهره؛ اتّخاذ طریقه منطقیّه ومحدّده والاستفاده من هذه الفرصه باعتبارها أرضیّه فکریّه لعرض الإسلام عالمیّاً.

۵. فرضیه التحقیق و البحث

نظراً لکون العولمه عملیّه حتمیّه ولا یمکن تلافیها، فهل ینبغی أن نعتبرها عملیّه طبیعیّه لاستمرار العصرنه، أم أنّها مشروع سیاسیّ واقتصادیّ تصبّ فی اتّجاه غربنه العالم؟ وبناءً علی هذا الافتراض لابدّ من استکشاف مدی تأثیر مثل هذه العملیّه علی الثّقافات والأدیان فی البُعدین النّظریّ والعملیّ. فهل یمکن الوقوف بوجه إفرازاتها السلبیّه؟ وهل یمکن استخدامها کوسیله لنشر الدّین ونفوذه علی مستوی العالم؟ و لأجل رکوب موجه مثل هکذا وسیله، ماهی المقترحات والأفکار الّتی یمکن طرحها؟ ما هی افتراضات الخصوم فی هذا المجال، وأیٌّ منها یمکن تحقیقها وباستطاعتنا بیانه؟ وفی هذا السیاق یمکن ذکر النّظریّات المطروحه فی هذا المجال، کنظریّه (عولمه العصرنه)، (عولمه الرأسمالیه)، نظریّه العبور من العصرنه (تجاوز العصرنه) والّتی تُشبّه

العولمه بمرحله ما بعد الحداثه، نظريّه (الأنظمه العالميّه) لوالرشتاين، العالِم الاجتماعيّ المعاصر، نظريّه (نهايه التّاريخ) لفوكوياما والّتى يبشّر فيها بتفوّق الحضاره الغربيّه، نظريّه (صراع الحضارات و الثّقافات) الّتى طرحها المنظّر الأمريكيّ هنتيغتون، ونظريّه (حوار الحضارات) الّتى جاءت كردّ فعل على النّظريّه السّابقه، ونظريّه (عالميّه العلم والتقنيه) الّتى تعدّ من أهم تلك النّظريّات، والّتى نحن بصدد إثباتها وترسيخها.

إنّ العولمه قبل أن تكون موضوعاً استعماريّاً أو عمليّه لنمو وانتشار الرأسماليّه، أو عولمه للعصرنه، أو دخولاً فى مرحله ما بعد الحداثه، أو أيديولوجيّه لنهايه التّاريخ، فقبل أن تكون كذلك، كانت نتيجةً للتّطوّر المذهل للفكر البشريّ وسرعه تنامى الاتّصالات وتبادل المعلومات ورفع الحصار المالىّ والمادّىّ بواسطه مكاسب التقنيه البشريّه، والّتى يمكن لأىّ من الحضارات والثّقافات الاستفاده من آليّاتها واستغلال الفرص المؤاتيه لإشاعه ثقافتها عالميّاً.

وسنتوفّر فى هذا البحث على دراسه كلّ من هذه النّظريّات لنختار فى آخر الأمر النّظريه السّادسه (عالميّه العلم والتقنيه) الّتى تؤكّد على أنّ أجواء الاكتشافات العلميّه وبالخصوص تقنيه الاتّصالات (والّتى تعدّ من عناصرها الأساسيّه) ساهمت فى محو وإزاله الفواصل الزمانيّه والمكانيّه وزياده المعرفه، وقد عرفنا بأنّ العولمه ما هى إلّا «ثوره معلوماتيّه» وتقدّماً علميّاً للمجتمعات البشريّه ونموّاً للفنون الاتّصاليّه الحديثه، وفى النّتيجه ازدياد العلاقات فى الشؤون البشريّه بأبعادها المختلفه، وليس ذلك إعمالاً لنفوذ حضاره وثقافه معيّنه على العالم، وعلى خلاف كثير من المنظّرين؛ نعتقد أنّ العولمه ليست استمراراً للعصرنه وليست تجاوزاً لها ودخولاً فى عصر ما بعد الحداثه، وليست استيلاءً للرأسماليّه، وليست بمعنى غربنه العالم أو عولمةً

غربیّه، وإنّما هی عملیّه علمیه وطبیعیّه علی خلاف العولمه الغربیّه الّتی تعدّ مؤامره إمبریالیّه غربیّه.

۶. أسلوب البحث

اشاره

سنحاول فی هذا البحث التركیز علی الجوانب الثّقافیّه والمعرفیّه للعولمه لنتوصّل من خلال التعاریف المتعدّده والمبهمه المطروحه؛ إلی تعریف واضح ینسجم والوقائع السائده، ویُزیل ویكشف النقاب عن الأسالیب العلمیّه والمقولات والرؤی الفكریّه للمفكّرین. ومن هنا فإنّ هذا البحث غالباً ما یتّخذ الطابع النّظریّ والعلمیّ، ویحاول اكتشاف حقیقه وماهیّه العولمه، وقراءه العلاقه والتأثیر الّذی تحدثه هذه العملیّه علی الثّقافه والدّین. ومن الطبیعی جدّاً أنّه لیس باستطاعته الكشف عن جمیع أبعاد و استلزامات هذه العملیه. ولهذا سنتلافی الخوض فی أبعادها السّیاسیّه والاقتصادیّه والعسكریّه، فهی خارج نطاق اختصاصنا.

ونظراً لدینامیّه هذه العملیّه ومقتضیاتها، لا نستطیع الحكم علیها بصفه قطعیّه، أو تصویر رؤی وتصوّرات عصر العولمه، ولكن من خلال الإحاطه بأسس هذا التیّار السیّال والمتحرّك یمكن الاطّلاع والتعرّف علی مظاهرها المجهوله ولوازمها وإفرازاتها، تلافیاً للحیره والارتباك فی مواجهه مفاجآتها.

ومن ناحیه الأسلوب المعرفیّ وطریقه البحث؛ ینبغی القول أنّه یمكن الاستفاده من أسالیب متعدّده لبیان ظاهره العولمه:

۱. من منطلق نظریّ صرف واتّجاه فلسفیّ وانتزاعیّ.

۲. أسلوب الواقعیّه والمبدئیّه.

۳. الطّریقه التّجریبیّه واستقصاء الوقائع والتّغییرات العالمیّه فی عالم السّیاسه والاقتصاد والاجتماع والثّقافه.

۴. الأسلوب الانتقادی (كأسلوب ما بعد الحداثه).

إنّ علماء الاجتماع اليوم وبناءً على دراستهم للتّغيّرات الاجتماعيّه من خلال مطالعه العلوم الاجتماعيّه والتاريخيّه، أخذوا فى دراسه علاقات المعطيات والمتغيّرات الاجتماعيّه، وذلك لرسم الخطوط العامّه لظواهر المستقبل. فى حال شرع بعض المنظّرين وبأساليب متنوّعه فى دراسه ظاهره العولمه، وفى هذا المجال برزت نظريّات (السّلام الديمقراطىّ)، (نهايه التّاريخ)، (صراع الحضارات والثّقافات)، (حوار الحضارات)، (التبعيّه المتبادله) و (ترويج العصرنه)، وكلّها تصبّ فى بيان مستقبل العالم والتكهّن بنوع علائقه المجتمعيّه.

ونحن بدورنا سنخوض وبأسلوب علمىّ فى دراسه حقيقه وماهيّه العولمه، أصولها وأسسها وأسباب ظهورها، وكذا سندرس علاقتها بالدّين، ونعكف على تبيينها وحليلها كأمر واقعىّ وكظاهره علميّه ملموسه بطريقه فلسفيّه ومعرفيّه، ونحاول كذلك نقد ودراسه النّظريّات المطروحه حولها، ونبحث فى مجال علاقه وارتباط تلك النّظريّات بظاهره العولمه، ومن خلال ذلك سيتّضح الاختلاف الفاحش فيما بين المفكّرين حول حقيقتها.

وعلى هذا فالمسأله المهمّه فى هذا البحث، هى أنّنا لا نستطيع التّحدّث عن علاقه العولمه بالدّين ما لم نمتلك إدراكاً صحيحاً وواقعيّاً ومعرفيّاً عنها، وقبل اكتشاف أبعادها ومقتضياتها. ومن هذا المنطلق؛ فإنّ عرض أىّ أسلوب فى هذا المجال ينبغى أن يكون مبتنياً على نظريّه علميّه ومنطقيّه محدّده.

أسلوب المعرفه الدّينيّه (معرفه الدّين)

إنّ هناك معايير خاصّه لأساليب البحث العلمىّ فى موضوع الدّين، فينبغى أن تتطابق والمعايير العلميّه والعقليّه من جهه، وأن تكتسب رضا

وقبول المجتمع الدّينىّ من جهه أخرى. إنّ المعرفه الدّينيّه بشكلها العلمىّ والقانونىّ، تعتمد على تجزئه وتحليل وتفسير التّعاليم الدّينيّه والعقائد والمذاهب، ويمكن أن تحوى جنبه معرفيّه؛ تاريخيه واجتماعيّه ونفسيّه وكلاميّه وفلسفيّه. ولكنّ الأصل فى المعرفه الدّينيّه؛ أنّها علم وضعىّ، الهدف منه فهم حقيقه جميع الأديان وفلسفتها وضرورتها. ولأجل ذلك، نلاحظ تفاوتاً بين استنتاجات وأساليب وأهداف البحث الدّينىّ عن غيره من العلوم.

ولهذا السّبب بالذّات، جاء اتّجاه البحث الحالىّ، فهو يحاول معرفه مكانه الدّين من خلال اعتماده على التّغيّرات التاريخيّه والاجتماعيّه، وسيختصّ القسم الأعظم من البحث حول دور الدّين فى الحياه البشريّه وعلاقته بالمؤسّسات والبنى الاجتماعيّه والتّحوّلات العلميّه والثّقافيّه للمجتمع. ومن هذه الجهه ستكون لملاحظات علم الاجتماع الدينىّ والفلسفه الدّينيّه دور مهمّ فى هذا البحث.

إنّ إحدى مشاقّ هذا البحث، هو عرض تعريف وبيان كامل وجامع للعولمه يكون مقبولاً من قبل الجميع. إنّ هذا المفهوم لحداثته وتعقيداته لم يتشخّص بشكل واضح حتى الآن، وكلّ من بحثه من المفكّرين نظر إليه من زاويته الخاصّه، فجاءت التّعاريف متعدّده ومتناقضه فى بعض الأحيان. ولهذا لا يمكن الركون إلى المصادر المدوّنه فى هذا المجال لفقدانها التّجربه الكافيه والرّصيد النّظرى الّذى يعتمد عليه. ولذا سيكون الحكم عسيراً فى قبول أو ردّ أيٍ من النّظريّات المطروحه أو كونها ذات استدلال متقن ومطابق للواقع. فينبغى على المفكّرين الّذين يمتلكون اطّلاعاً واسعاً فى موضوع الحداثه والعلوم الاجتماعيّه، العلاقات الدّوليّه؛ تقويم ونقد النّظريّات المطروحه فى أسباب ودواعى العولمه ونتائجها.

۷. تاریخ العولمه

یرتبط البحث فی تاریخ العولمه ارتباطاً وثیقاً بتعریفنا لها، فیُرجع البعض تاریخ العولمه إلی ظهور أوّل الحضارات، أی منذ حدود ثلاثه آلاف سنه مضت. ویری هؤلاء بأنّ الاتّجاه نحو العولمه وحلم العالمیّه والانفتاح العالمیّ ترعرع فی أکناف جمیع الامبراطوریّات والممالک الغابره. والبعض یربط تاریخها بظهور الثّوره الفکریّه والعلمیّه فی الغرب وعصر التّنویر الفکریّ، ویعتقد بأنّ العولمه تزامنت مع توسّع وانتشار العصرنه. وبعض المنظّرین اصطلحوا علی العولمه اصطلاح الدّولیّه أو التدویل أو ما بعد الدولیّه، وربطوا ظهورها بالحرب العالمیّه الأولی ونشوء المجتمع الدّولیّ ومن ثمّ منظّمه الأمم المتّحده عام ۱۹۴۵. أمّا رولاند روبتسون(۱) فقد حلّل تاریخ العولمه علی ضوء التّحوّلات العالمیّه المهمّه، والّتی عبّر عنها بالمراحل الخمسه، وبحسب اعتقاده إنّ ظهورها کان تدریجیّاً وممتدّاً من القرن الخامس عشر وحتی القرن الواحد والعشرین. فهو یری بأنّ العولمه طوت المراحل التالیه:

۱. مرحلتها الأولی ابتدأت مع تفکّک الکنیسه وظهور المجتمعات الحکومیّه وتأسیس الکنیسه الکاثولیکیّه وطرح فکره محوریه الفرد أو أصاله الفرد وظهور النّهج الاستعماریّ.

۲. المرحله الثّانیه تزامنت مع الحوادث الّتی عصفت بأوربا خلال الفتره (۱۷۵۰-۱۸۷۵) ففی هذه المرحله شاهدنا ظهور النّظام السّیاسیّ، الدّوله، الشّعب، حقوق المواطن، الاتّفاقات والمعاهدات الدّولیّه وطرح فکره تأسیس الجمعیّات الدّولیّه.

۳. المرحله الثّالثه؛ مرحله القفزات المشهوده لعملیّه العولمه والّتی وقعت خلال الفتره (۱۸۷۵-۱۹۲۵). فقد لعبت أربعه عوامل عالمیّه دوراً مؤثّراً فی

۱- (۱) یان ارشولت، نظره فاحصه لظاهره العولمه، ص ۷۳. «التّرجمه الفارسیّه لمسعود کرباسیان».

هـذه المرحله، وهی عباره عن: الحکومات الّتی اعتمـدت نظام الدّوله، الشّـعب، نمو العلاقات الدّولیّه، طرح نظریه حقوق الإنسان ونشوب الحرب العالمیّه الأولی.

۴. المرحله الرّابعه؛ والّـتی عاصـرنا فیهـا تکـوّن المجتمـع الـدّولیّ وتأسـیس منظّمه الأـمم المتحّـده، وقـوع الحرب العـالمیّه الثـانیّه والمرحله الطّویله للحرب البارده وظهور منظومه دول العالم الثّالث وظاهره الاستعمار.

ویوافق بول سوئیزی هـذا الرأی، حیث یعتقـد: «بـأنّ العولمه لیست وضـعاً وظاهره جدیـده، ولکنّها حاله کانت مستمرّه منـذ مـدّه طویله.

وفی الواقع إنّ عملیه العولمه ابتدأت منذ اتّخاذ المجتمعات الغربیّه النّظام الرأسمالیّ أسلوباً لنمط حیاتها».(۱)

وفی رأیه إنّ الرأسـمالیه ذات توسّع وانتشـار ذاتیّ، سواء فی جانبهـا الـداخلیّ أم الخـارجیّ، وقـد حـدّد بعض المفکّرین المراحل التّـاریخیّه لنمو الرأسـمالیّه وانتشارها: «إنّ إحـدی هـذه المراحل، هی السـیطره علی القارّه الأمریکیّه، والقضاء علی حضاره الهنود الحمر، وفرض الثّقـافه الغربیّه علی مجتمعـاتهم. المرحله الثّـانیّه؛ النّفوذ المـدمّر للرأسـمالیه أو النّظام الإمبریالیّ الغربیّ الّـذی رافق الثّوره الصّـناعیّه، والّتی تسـبّبت فی صـنعنه الاقتصاد مما أدّی إلی افتتاح أسواق جدیده ومن ثمّ إلی اسـتعمار قارتی آسیا وأفریقیا فی نهایه المطاف».(۲) ومن المعلوم أنّ هذه المرحله من الاختراق والسّـیطره الإمبریالیّه ترافقت مع إشاعه وسائل سیاسـیّه کإشاعه الحریّه والـدّیمقراطیّه، حقوق الإنسـان، وکـذا مع وسائـل ثقافیّه واجتماعیّه کالتّجدیـد، النّمو الثّقافیّ وعصـرنه الأمم الأخری، تیار التّنویر الفکریّ والمؤسّسات المدنیّه وغیرها. ونحن الیوم «نشهد بدایه الموجه الثّالثه من محاوله تدمیر المجتمعات لتعبید طرق

۱- (۱) بول سوئزی، هدف العولمه، ص ۷، «التّرجمه الفارسیّه»

۲- (۲) المصدر نفسه، ص ۷.

الإمبریالیه جرّاء انهیار النّظام الاشتراکیّ السوفیتیّ، والّتی تهدف إلی نشر الرأسمالیّه، السّیطره علی الأسواق، نهب الثّروات واستغلال القوی الفکریّه والعامله فی کافّه أنحاء العالم».(۱) وتُتابع هذه المقوله الأیدیولوجیّه من خلال التدخّل فی الشّؤون الداخلیّه و (الدّفاع عن الدّیمقراطیّه)، (حقوق الإنسان)، (بسط السّلام) و (إقرار الأمن).

وفی رأی بعض المفکّرین، أنّ هذه الظاهره ابتدأت فی عهد الاستعمار وإنشاء المستعمرات وقد احتدّ تأثیرها فی عقد السّبعینات من القرن الماضی، وأکسبتها التّغیّرات العالمیّه إطاراً جدیداً إثر انحلال النّظام الشّیوعیّ، وأدخلت کافّه مناطق العالم فی بوتقه نظام واحد.

الرؤیه الأخری فی مجال تاریخ العولمه - والّتی تعدّ رؤیه جامعه ومقبوله إلی حدّ ما - النّظریّه الّتی تقول بتأثیر عوامل مختلفه فکریّه، ثقافیّه، سیاسیّه، اقتصادیّه، علمیّه وتقنیّه وبشکل عامّ جمیع الحضارات والجهود البشریّه، فی تبلور وإیجاد ظاهره العولمه؛ ولکنّ الأسباب الثّقافیّه والعلمیّه، نمو تقنیه المعلومات و التّقدّم التّقنیّ فی مجال وسائل الاتّصال کان لها دور مؤثّر فی ظهورها. وعلی هذا فإنّ حدوث الثّوره الصّناعیّه فی الغرب کان من الممهّدات الرئیسیّه للعولمه.

۸. ممهّدات العولمه

أ) الممهّدات الفکریّه

إنّ بعض الباحثین ومن خلال إیراد بعض الشّواهد، یعتقد بأنّ انطلاقه العولمه قد تزامنت مع التّجدید والعصرنه.(۲) ویری بأنّ التّقدّم العلمیّ الّذی حدث إثر

۱- (۱) الوین تافلر، الموجه الثّالثه، ص ۵۷، «التّرجمه الفارسیّه».

۲- (۲) غینز، انتونی، إفرازات الحداثه، ص ۵۱، «التّرجمه الفارسیّه».

النّهضه والثّوره الصّناعيّه والاختراعات واكتشاف وسائل الاتّصال، مثل: الهاتف، التّلغراف، الرّاديو، التّلفاز، الأقمار الاصطناعيّه و الأنترنيت، كان له أبعد الأثر فی نموّ وتغيير المجتمعات ورفع الحدود الزمانيّه والمكانيّه والفضائيّه. وبعباره ماك لوهان المميَّزه؛ صيروره العالم (قريه عالميّه) أو قريه صغيره.

إنّ جميع الممهّدات والأسباب الّتی أشرنا إليها فی هذا القسم، ترتبط بعمليّه العولمه وتعدّ من علائم أو عوامل بروزها. ولكن يبدو أنّ أغلب المفكّرين لم يولوا الأسس الفكريّه والفلسفيّه للعولمه الدّقه والاهتمام الكافيين، فلو حاولنا معرفه الأسس الفكريّه لمرحله العصرنه وقراءه مؤشّراتها ومحاورها بطريقه تحقيقيّه ومنطقيّه، لتوصّلنا إلی نتيجه قاطعه تبيّن بأنّ عمليّه العولمه ما هی إلّا مرحله طبيعيّه لا يمكن اجتنابها ومرتبطه بالمرحله السابقه عليها ألا وهی «العصرنه».

وبهذه الرؤيه يمكن حلّ كثير من الغموض الّذی يكتنفها، ومع تحليل مؤشّراتها ومميّزاتها فی إطار الأسس والقواعد الّتی ترتكز عليها يمكن استكشاف آفاقها المستقبليّه ومدی تأثيرها علی المصير الفكریّ والاجتماعیّ والثقافیّ للمجتمعات الأخری.

وبناءً علی المعيار العلميّ والفلسفیّ المتقدّم، فسنقوم ابتداءً بالتّحقيق فی الافتراض الّذی يدّعی ارتباط العولمه بالعصرنه وكونها إحدی مراحلها المهمّه والمتكامله. ومن خلال إعاده قراءه وتحليل أسس ومميّزات مرحله الحداثه، سندرس الأسس الفكريّه والفلسفيّه للعولمه. ويمكن الإشاره تاريخياً إلی ممهّدات فكريّه ودينيّه وسياسيّه كثيره لفكره العالميّه والعولمه. وملاحظه انعكاس فكره الحكومه العالميه الواحده فی آراء كثيرٍ من المفكّرين، أمثال: جون جان لاك، كانت، هيجل، ماك لوهان، الوين تافلر، تولستوی وغيرهم.

خلاصه الأمر، أنّ الاتّجاه نحو العالميّه لم يتبلور فی الواقع الموضوعیّ

قبل القرن التّاسع عشر، ولكن من النّاحيه الفكريّه والفلسفيّه والعقائديّه كان لهذه الفكره حضور ملموس فى أغلب الأدوار التّاريخيّه.

فمن النّاحيه الدّينيّه والعقائديّه يمكن القول: إنّ اليهود بالتّحديد كانوا ومنذ قرون متماديه تداعبهم أحلام تحقيق مجتمع عالمىّ والسّيطره على أرجاء العالم قاطبه.

وفى المسيحيّه كان حلم العالميّه حاضراً أيضاً، وقد تجسّد ذلك بالاعتقاد بأنّ «المسيح» سيحكم كلّ ما أشرقت عليه الشّمس، ومن هنا نراهم يترقّبون الحكومه العالميّه للمسيح.

أمّا المسلمون، فهم يعتقدون بأنّ الأسلام دين عالمىّ وذو رساله عالميّه ولابدّ أن يأتى ذلك اليوم الّذى تتحقّق فيه عالميّته بظهوره على غيره من الأديان. إضافهً إلى أنّ حكومه الإمام المهدىّ عجل الله تعالى فرجه الشريف فى عصر ظهوره ستُحقّق العداله الحقيقيّه والسّلام العالمىّ والدّين الواحد والحكومه العالميّه الواحده.

وأمّا من النّاحيه الفلسفيّه، فإنّ فكره العولمه والعالميّه يمكن تلمّسها فى آثار بعض الفلاسفه، ومن ضمنهم هيجل الّذى لمّح إلى عولمه الحضاره الغربيّه، ففى كتابه «فلسفه التاريخ» يشير إلى مراحل نمو الحضارات العالميّه، أمثال: حضاره إيران، اليونان والروم، ويبحث فى أسباب ظهورها واضمحلالها. فهو يعتقد بوجود ثلاث مراحل تكامليّه لكلّ حضاره كبيره، لا يمكن تخلّفها عنها، ويفصّل ذلك كالآتى:

المرحله الأولى: مرحله الولاده والظّهور.

المرحله الثّانيه: مرحله الرّسوخ والنّضوج.

المرحله الثّالثه: مرحله الانفتاح والخروج عن حدودها وانتشارها عالميّاً.

وفى اعتقاد هيجل أنّ مرحله الحداثه لكونها عقليّه، ستكون هى المرحله النّهائيّه والمتكامله للحضارات. ففى رأيه أنّ الحضاره الغربيّه قد طوت المراحل الثلاث الآنفه، وها هى الآن قد وصلت إلى مرحله العقلانيّه، وهى

فی حال التّوسّع والشّمول. فهذه الحضاره وبارتکازها علی الحداثه سیستمرّ تجدّدها ونشاطها وديناميّتها، ولکونها تتمیّز بالخصوصیات الثّلاث المهمّه الآتیه، فهی تعدّ غایه ومنتهی کلّ الحضارات البشریّه. فالممیّزات الثلاث للحضاره الغربیّه فی رأی هیجل هی کالتالی:

۱. الخلاصیّه(۱) والشّمولیّه العالمیّه.

۲. عدم المحدودیّه حسب الرؤیه الفلسفیّه والرّیاضیّه.

۳. تمایز الإنسان عن الطّبیعه والاعتقاد بهیمنته الواقعیّه علی العالم الّذی هو محصّله تمایز الشیء عن موضوعه.

ب) الممهّدات السیاسیّه والاجتماعیّه

إنّ موضوع العالمیّه وتأسیس حکومه عالمیّه کان من المواضیع المهمّه فی الفلسفه السیّاسیّه المعاصره، وقد عُرض من قبل المنظّرین والسّیاسین بأسالیب واتّجاهات متعدّده ترتکز جمیعها علی مسألتین:

المسأله الأولی: تعدّد الحکومات، الثّقافات والقیم واستقلالها عن بعضها البعض فی السّابقه والمنشأ الحضاریّ والتاریخیّ.

المسأله الثّانیه: إنّ العقلانیّه تعدّ أسلوباً وتدبیراً لحلّ المشاکل العالمیّه المشترکه وتحول دون وقوع الفوضی فی العلاقات الدولیّه الّتی تنشأ عن تعدّد الحکومات والثّقافات، وأنّ فلسفه تأسیس الأنظمه والمبادئ الدولیّه والعالمیّه یصبّ فی هذا الاتّجاه أیضاً. وکما یقول عالم الاجتماع الشهیر سان سیمون (القرن الثّامن عشر): «إنّ تجارب جمیع القرون تثبت بأنّ الإنسان یسعی دائماً للحصول علی مستقبل أفضل والّذی یصبّ فی اتّجاه رفاهیه

۱- (۱) فکره بروتستانتیّه تقول بإنّ النّاس سینعمون جمیعاً بالخلاص آخر الزمان. «المعرّب عن المورد».

ورخاء مجتمعه. ولهذا نرى الإنسان يميل فطريّاً نحو إصلاح القوانين السّياسيّه الحاكمه فى مجتمعه».(۱) ويستنتج من ذلك بأنّ هذا الاتّجاه سينتهى إلى «تحقّق وتبلور عالم منظّم ومخطّط له».(۲)

ج) الممهّدات التاريخيّه للعولمه

إنّ ممهّدات العولمه تجلّت واتّضحت منذ حصول الثّوره العلميّه وتطوّر التّقنيه الغربيّه، فقد أعقب عولمه الصّناعات والشركات العالميّه ومتعدّده الجنسيّات من خلال الاندماج فى البنك الدّولىّ وكذا عولمه الأنظمه الماليّه والتّجاريّه، أعقبها مقتضيات ومستلزمات متعدّده استولت على الجوانب الثّقافيّه والاجتماعيّه والسّياسيّه لحياه الإنسان، وأدّى تقدّم وسائل الاتّصال والشّبكات الألكترونيّه لإيصال المعلومات إلى التّبادل السّريع للآراء والفكر الإنسانىّ، ممّا دعى الوين تافلر إلى تسميه ذلك العصر (عصر العلم) أو (المجتمع العلمى). أضف إلى ذلك وجود عناصر كثيره أخرى ساعدت على وضع عمليّه العولمه على جادّه الطّريق، ويمكن الإشاره باختصار إلى بعض مواردها:

۱. انتشار المنظّمات الدّوليه، تداول رأس المال والمعلومات، التّقنيه والثّقافه.

۲. المشاكل الدّوليّه والإقليميّه كمشكله البيئه، السّلام والأمن العالمىّ والصّحه.

۳. أسلحه الدّمار الشّامل والعلاقات الدّوليّه المتشابكه والأزمات الدّوليّه والإقليميّه.

إنّ هذه المسائل النوعيّه الّتى تؤدّى إلى التّقارب الثّقافىّ والسّياسىّ والاجتماعىّ، تعدّ من مستلزمات العولمه، والّتى عبّر عنها البعض بالمحكّ

۱- (۱) سيدنى بولارد، فكره التّطوّر، ص ۱۱۵، «التّرجمه الفارسيّه».

۲- (۲) المصدر نفسه، ص ۱۱۶.

الثّقافیّ.(۱) و یعبّر ماک لوهان عن ذلک بانهیار الحدود واختصار المسافات فی القریه العالمیّه. إنّ العولمه برزت ابتداءً فی حیطه الاقتصاد لأجل بیان إحدی الظواهر الّتی أخذت فی الانتشار، یعنی ظاهره اتّساع دائره الإنتاج والاستهلاک والتّجاره إلی حدّ شمل جمیع أسواق العالم.(۲) وتعدّ العولمه من هذه الزّاویه إحدی مراحل التّطوّر الاقتصادیّ والنّظام الرأسمالیّ. وفی مجال السّیاسه والعلاقات الدّولیّه یمکن العثور أیضاً علی شواهد لسوابق وممهّدات العولمه، فتبلور الاتّفاقات الدّولیّه والاتّجاهات الإقلیمیّه والعالمیّه وتأسیس المنظّمات الدّولیّه، کلّ ذلک یعدّ من ممهّدات العالمیّه والعولمه.

أمّا الجانب العلمیّ والفلسفیّ، فإنّ هناک اتّجاهاً عقلیّاً وحلماً إنسانیّاً یقوم علی أساس مفاهیم قیمیّه وثقافیّه وإنسانیّه، أدّی إلی أن یکون النظر إلی الحاجات الإنسانیّه ذو بعد عالمیّ، فأغلب الفلاسفه الّذین اقترحوا نظاماً عقلیّاً وأخلاقیّاً کانوا ینظرون إلی الأمور برؤیه تتجاوز العِرق والقومیّه وتعتمد نوعاً ما علی العولمه والتّجانس العالمیّ.

وخلاصه القول: إنّ العولمه لیست ظاهره جدیده وحدیثه، فعلی امتداد تاریخ المدنیّه البشریّه کانت هناک صور مختلفه للعولمه والعالمیّه ولکن لم تکن الوسائل الّتی یمکن أن تحقّق هذا الهدف متوفّره آنئذ.

إنّ نزعه تحقیق السّیطره علی العالم وتأسیس الحکومه العالمیّه الواحده وإیجاد نظام إداری مرکزی کانت علی الدّوام تداعب مخیّله الإنسان؛ وهذا یختلف عن العولمه الفعلیّه حیث إنّها تعنی حریّه الأمم من أیّه قیود زمانیّه ومکانیّه، القدرات العالمیّه، العلم، التّقنیه، الصّحه، الأمن، العداله، السّلام والتّداول الحرّ للمعلومات، الرّوابط الثّقافیّه، الحدّ من الفقر وعدم المساواه. إنّ

۱- (۱) غینز، الحداثه، ص ۱. «التّرجمه الفارسیّه لمحسن ثلاثی».

۲- (۲) محمّد عابد الجابریّ، قضایا الفکر المعاصر، ص ۱۳۹. کتاب نقد، ص ۳۶۲.

هذا النّموذج من العولمه ليس المقصود منه فرض قوّه وسلطه ثقافه وحضاره معيّنه دون غيرها وإنّما هو حاجه وضروره وانطلاقه عالميّه تتطلّب شراكه ووحده جميع الأمم والاستفاده من نتاجات وقابليات كلّ إنسان لحلّ مشاكل العالم المعقّده.

إنّ نمو المجتمعات البشريّه، انسجام القوانين الاجتماعيّه والعوامل الثّقافيّه والسّياسيّه والاقتصاديّه المهمّه أوجبت تحوّلات جذريّه فى البنى الاجتماعيّه، أخرجت فيه المجتمعات من الطّور القبلى إلى الحاله القرويّه، ومع تأسيس المدن واستيطانها والتّغيّرات الواسعه فى علاقات المجتمعات مع بعضها البعض استمرّ تنامى وتوسّع هذه العمليّه فى كافّه أرجاء العالم إلى أن تسبّبت التّغيّرات والثّورات العلميّه والصّناعيّه مرّه أخرى فى حدوث تغييرات جذريّه فى البنى السّياسيّه والاجتماعيّه. إنّ التّقدّم والتّطوّر العلمىّ والتّقنى أكسب العلاقات الإنسانيّه والمجتمعيّه تسارعاً مستمرّاً وتكاملاً وغدت أكثر اتّساعاً و سهوله، وأدّى إلى تحطيم الحدود الجغرافيّه بين المجتمعات. إنّ هذه التّطوّرات كانت على درجه من السرعه والتأثير غيّرت فيه جميع قواعد وأسس الحياه البشريّه، وأفضت عليها تماثلاً وتشابهاً لايمكن صرف النّظر عنه، وبالإضافه إلى الآثار الاقتصاديّه والسّياسيّه والاجتماعيّه لهذه العمليّه، فإنّها ألقت بظلالها أيضاً على العلاقات الثّقافيّه والأمور النّفسيّه والرّوابط الفكريّه والعلميّه.

۹. سوابق البحث

اشاره

لقد استحوذت ظاهره العولمه على أذهان كثير من المفكّرين وقد قاموا بنشر بحوثهم واستنتاجاتهم حولها والّتى يمكن الإشاره إليها بصوره إجماليه: فعلى الرّغم من أنّ فكره العولمه كانت قد طُرحت بين بعض الفلاسفه وعلماء

الإجتماع منذ قرون خلت، وفضلاً عن الخطوات والإجراءات الّتی اتّخذها الزعماء والأباطره باتّجاه العالمیّه وفتح العالم والسّیطره علیه فی غابر الزّمان، ینبغی القول: إنّ مقدّمات مشروع وفکره العولمه بشکله الحالی کانت قد طُرحت لأول مرّه فی المجامع العلمیّه والأکادیمیّه متزامنه مع التّغیّرات والإجراءات العالمیّه. ویعدّ غینز من أهمّ المنظّرین علی صعید العولمه، فقد اعتبرها بشکلها الظّاهریّ استمراراً للعصرنه وأطلق علیها (عولمه العصرنه)، فهو یعدّ من أشدّ أنصار العصرنه ومن المعارضین لما بعد العصرنه، ففی تحلیله لمقولته؛ یعتبر عولمه العصرنه مسألهً ذاتیّه، وهو علی خلاف غیره من المنظّرین لم یعتقد بأنّها «اضمحلال الحکومات الأمیّه وانخفاض قدراتها، ولکنّه یعتبرها تناغماً و توافقاً عالمیّاً فیما بین الدول.(۱)

وهو یری: أنّ العولمه تعنی تعزیز العلاقات الاجتماعیّه علی مستوی العالم. العلاقات الّتی تربط بین المناطق المتباعده إلی درجه أنّ أیّ حدث یقع فی أیّه منطقه من العالم مهما کانت نائیه یؤثّر تأثیراً سریعاً وعمیقاً فی تغییر العلاقات الاجتماعیّه والسّیاسیّه والاقتصادیّه والثّقافیّه.

ماک لوهان وبعض الکتّاب الآخرین الّذین نظّروا للعولمه رکّزوا علی أفقین:

عملیّه العولمه من خلال العلاقات الدّولیّه ووسائل الاتّصال المبتکره.

العولمه من خلال نظریّه (النّظام العالمیّ الواحد).

والرّشتاین الّذی طرح نظریّه «النّظام العالمیّ»، یعتقد بأنّ الحکومات الأمیّه تخطوا نحو النّظام العالمیّ الواحد فی عملیّه العولمه. ویتکهّن بأنّ تشکّل الدّول العالمیّه سیکون من الآفاق الجدیده والانطلاقه المستقبلیّه للحکومات.

إنّ هذه النّظریّه تختلف اختلافاً أساسیّاً مع نظریّه العلاقات الدّولیّه الّتی تصوغ العلاقات المستقبلیّه للأمم والحکومات، علی أساس قاعده التّعامل

۱- (۱) انتونی غینز، إفرازات العولمه، ص ۸۳ و ۸۰. «التّرجمه الفارسیّه لمحسن ثلاثی»

والتّفاهم المشترک. إنّ فرضیه الرّوابط المتبادله، تفترض حکومات وثقافات مستقلّه ومتنوّعه، لها جذور متمایزه وخاصّه وذات انفعالات مختلفه وأسالیب محتاطه ومختاره؛ ولکن بناءً علی تحلیل والرّشتاین فإنّ وجود النّظام العالمیّ هو بمعنی قبول نظام مشترک ومتوافق علی جهه الإلزام والضّروره ولیس علی جهه التّفاهم المشترک.

عولمه العصرنه حسب رؤیه غینز

«إنّ العولمه عملیّه تتضمّن مراتب أوسع وأکثر تعقیداً، وذات طبیعه أشمل من مجرد التّنمیه وإشاعه المؤسّسات الغربیّه فی السّاحه العالمیّه، عملیّه تذوب فی رحمها الثّقافات الأخری أو تکون فی حاله ذوبان».(۱) وبتعبیر آخر «إنّ الانسجام والتوافق فی عملیّه العولمه ینعکس کعملیه متناقضه ظاهریّاً وهی بهذا القدر تُحدث توافقاً وتکاملاً، وهی أیضاً تُجزّء وتُفتّت الأسس الموروثه وتبتدع أشکالاً حدیثه للتّبعیّه العالمیّه المتبادله».

ویعدّ انتونی غینز من ضمن المعتقدین بمقوله:

إنّ العصرنه فی ذاتها هی ظاهره فی طور العولمه والشمول وتتمیّز بدفع خارجیّ ونظره مستقبلیّه. إنّ العولمه فی إطار فکر غینز تؤدّی إلی تکوین الذّات والتّشکیلات الاجتماعیّه الجدیده والّتی تتمحور علی أساس المدنیّه الغربیّه، وبهذا البیان لم یتّضح المدار فی تفریقه وتفکیکه فیما بین العولمه والغربنه، فهو یقول: «إنّ العولمه أمر متفاوت عن نشر المؤسّسات الغربیّه فی العالم وتفتیت الثّقافات الأخری».(۲)

۱- (۱) انتونی غینز، هل العصرنه مشروع غربیّ متکامل؟ العصرنه والعصرانیّون، ص ۲۹، «التّرجمه الفارسیّه لحسین علی نوذری».

۲- (۲) انتونی غینز، إفرازات العصرنه، ص ۲۰۹، «التّرجمه الفارسیّه»

عمليه العولمه من وجهه نظر الوين تافلر

الوين تافلر(۱) فی کتابه (الموجه الثّالثه)، یرسم عالماً یکون فیه الوفاق والوئام مع المعطیات النّاجمه عن صراع وتصادم الموجات التّاریخیّه ضروریّاً ولازماً. وسیکون من نتائج هذا التّطوّر والتّغیّر - نوعاً ما - السعی نحو التوحّد والتّبعیّه المتبادله (من خلال زوال الحدود السّیاسیّه وشمولیّه القیم الجدیده).

آل دوس هسلی أیضاً فی کتابه (عالم جدید مذهل) یتحدّث عن عملیّه العولمه ویقرّر بأنّ الثّقافه والقیم الإنسانیّه والتّاریخ البشریّ ستطوی فی عالم النّسیان، ویفقد الإنسان فیها إرادته وإحساسه، ویقتصر فیها علی تلبیه رغباته فی الرّخاء والتّقدّم والتّنوّع والتّسلّی بصناعاته وتقنیاته. وسیکون (الإنسان الآلیّ) حسب تعبیره مقیّداً فی حکومه عالمیّه واحده تحصی وتراقب وتسیطر علی کلّ شیء بنظام حدیدیّ صارم، ولا یمکن تصوّر مقدار ما ستؤول إلیه معرفته بنفسه وبعالمه، العالم المندمج والمتشابک، العالم الّذی یستحیل فیه الإنسان والفکر والثّقافه.

أمّا کارل مارکس فهو بنظریته «نهایه الرأسمالیّه» یتکهّن بحکم الطّبقه العامله وقیام الثّوره الشّیوعیّه العالمیّه. فهو وبناءً علی التّناقض الدّیالکتیکیّ المزعوم للمجتمع الطّبقیّ؛ یفسّر التّحوّلات والتّغیّرات الاجتماعیّه تفسیراً شیوعیّاً، یؤدّی فی نهایه المطاف إلی تحقیق حلم المدینه العالمیّه والمجتمع غیر الطّبقیّ الّذی تسوده المساواه. إنّ نظریّته هذه لم تکن سوی سراباً وقد لاقت تکهّناته فی التّطوّرات العالمیّه نهایه مأساویّه، ولکن والحق یقال، کان للنظام الشیوعیّ أثر مهمّ علی التحوّلات العالمیّه، وکان لسقوطه أیضاً أثر لا یُنکر فی تسارع عملیّه العولمه.

۱- (۱) . Alvin Tofflers.

والرّشتاين، عالم الاجتماع الألمانیّ فی نظریّته (النّظام العالمیّ) یفسّر العلاقات الدّولیّه علی أساس التغییرات الّتی تؤدّی فی نتیجتها إلی العولمه وتوجِد نوعاً من الانـدماج والتّوحّـد. ویبرّر نظریّته اعتماداً علی نظام الرأسـمالیّه التّاریخیّه، وقد تعرضّت نظریّته للنّقد اللّاذع لتأکیدها علی الجانب الاقتصادیّ دون غیره من الجوانب الأخری.(۱)

ویری روبتسون أنّه: «لاـ یمکن أن تنشأ الوحـده العالمیّه من خلال عامل واحـد کالمـدنیّه الغربیّه أو الإمبریالیّه، وأنّ هـذا التّجـدّد والتّغیّر العالمیّ لایمکن النّظر إلیه علی أنّه مجموع واحـد وعملیّه واحده». وفی اعتقاده أنّه ینبغی «عدّ القاعده الأساسیّه للتّطوّرات البنیویّه فی العـالم المعاصـر هی مجموعه عوامل ولیست مجرد عامل داخلیّ أو خارجیّ، صـحیحٌ أنّنا نتعرّض لتـداعیات وضـغوط هـذه الظّاهره، ولکـنّ هنـاک عناصـراً أخری کـالمجتمع العـالمیّ، البشـریّه، فکره التّطـوّر، العلـم والتّقنیـه کلّهـا تعـدّ مـن عـوامل العولمه».(۲)

ایزابیـل مونـال المفکّره الشّـیوعیّه هکـذا یحلو لهـا أن تتصوّر: «إنّ المجتمع الواحـد فی المقـاییس البشـریّه یعنی دقّ رکـائز عـدم المساواه فی العالم وسیطره حکومه واحده علی جمیع العالم».(۳) وبافتراضـها أنّ العولمه تعنی عدم المساواه والمخاطره بمستقبل البشـریّه، تعتقـد بـأنّه ینبغی الشـروع فی بسـط المسـاواه فی کـافّه أرجـاء العالم أوّلاً ومن ثمّ قیام مثل هـذا المجتمع الواحـد، ومن البـدیهیّ أنّ مثـل هـذا الحلـم لاـ یمکن تحقّقه مطلقـاً، فالـدخول فی المجتمـع العـالمیّ بشـکل متکـافئ فکره سـاذجه وأُمنیه من المستبعد تحقّقها.

۱- (۱) کیت نش، علم الاجتماع السّیاسیّ المعاصر، ص ۸۲، «التّرجمه الفارسیّه لمحمّد تقی دلفروز».

۲- (۲) بهلوان جنکیز، علم الثّقافه، ص ۴۲۳، «باللّغه الفارسیّه».

۳- (۳) المصدر نفسه، ص ۴۷۹.

وهی تری بأنّ الثّقافات ما دامت غیر متکافئه وتتضـمّن اختلافاً واسـعاً فلا یمکن التّحدّث عن مثل هذه المساواه فیما بینها، ولأجل هذا فإنّ شمول المساواه والحرّیّه و إن کان اختیاریّاً وبلا ضغوط، فهو یعنی فی نهایه الأمر استسلام ثقافه لثقافه أخری أقوی منها.

إنّ المجتمع العالمیّ الواحـد، دائره من الأفعال والانفعالات المرتبطه مع بعضـها البعض تمتزج فیها العوامل السّیاسـیّه والاقتصادیّه، فلاـ یمکن علی هـذا الأسـاس تحقّق ثقـافه واحـده متجانسه. وبحسب تعبیر المحقّق الإیرانی جنکیز بهلوان «إنّ نـدره وجود ثقافه أصیله کندره وجود أمّه وعِرق أصیل».(۱)

أبعاد العولمه

۱. البُعد الاقتصادیّ

إنّ أغلب المنظّرین یعتقـدون بـأنّ (العـولمه الاقتصـادیّه) من أهمّ وأخطر أبعـاد العـولمه، فهی تـؤثّر تـأثیراً مباشـراً علی غیرهـا من الأبعـاد. فـإنّ نمـوّ تجـاره السّـلع الصّـناعیّه بُبعـدیها النّـوعیّ والکمّیّ، الازدیـاد المـذهل للشّـرکات العـالمیّه، الازدیـاد المتنـامی للاسـتثمارات الخـارجیّه، توسّع القنوات الأـلکترونیّه للتّجاره العالمیّه، تطوّر المنافسات الـدّولیّه فی المجال الاقتصادیّ، کلّ ذلک حطّم جمیع مراکز السّیطره والرّقابه دفعه واحده، وأدّی إلی اکتساب (حجم التّداول) معنی جدیداً حلّت فیه السیطره الزمانیّه محلّ السیطره المکانیّه.

إنّ العالم قـد وصل حـدّاً فی مجال الإبـداع والتّقدّم التّقنی لم یترک المجال معه لأیّ نموّ للفعّالیّات الاقتصادیّه، حتی وصل الأمر إلی أن تکون مصـادر المیـاه والفضـاء والأـرض فی حـاله تغیّر متسـارع. إنّ (الطبیعه الثانیّه) أو ما خلّفه الإنسان من الطّاقه، الحمل والنّقل، الاتّصالات، بناء المساکن والفضلات قد

۱- (۱) المصدر السّابق، ص ۵۴۰.

غیّر وجه الأرض، ومن ناحیه أخری فإنّ تقسیم الأعمال قد نمی بشکل مضطّرد، فمع الاکتشافات الحدیثه تجاوزت الأعمال فی تنوّعها وعلاقاتها مع بعضها البعض الحدّ الطّبیعیّ، ولبست ثوباً عالمیّاً متغیّراً. وتزامناً مع هذا، فإنّ عملیّه عولمه الملکیّه حلّت محلّ مرکزیه الإنتاج المحلّیّ، وأخذت مراکز الانتاج الإقلیمی تتشکّل و تظهر تدریجیّاً. إنّ مثل هذه العملیّات لم تقتصر علی الاقتصاد، فهی تجری أیضاً فی السّاحه السّیاسیّه، إنّ الوحده الاقتصادیّه توجب تعزیز العلاقات فیما بین البلدان وإزاحه جمیع العوائق عن طریق انتقال السّلع، رأس المال، الأیدی العامله وأمثالها. إنّ ذلک یؤدّی إلی انتقال العالم من مرحله تتمّ فیها العلاقات الدّولیّه علی أساس تنظیم المعاهدات الثّنائیّه أو الثّلاثیّه إلی مرحله تتمّ فیها السّیطره وتنظیم وتسییر الأمور، من خلال مؤسّسات سیاسیّه واقتصادیّه عالمیّه أکبر وأوسع.

ومن جهه أخری، فنحن نعایش تعاملاً واسعاً فیما بین الأمم والدّول فی مسائل عالمیّه معقدّه ومتعدّده الجوانب، مسائل لا یمکن حلّها وفصلها بواسطه دوله أو عدّه دول، أو حتی عن طریق المنظّمات الإقلیمیّه، مسائل یتطلّب حلّها مشارکه البشریّه جمعاء بدولها وشعوبها، أمثال صیانه البیئه، الأمن الغذائیّ العالمیّ، اکتشاف مصادر جدیده للطّاقه، المحافظه علی السّلم العالمیّ، وإنقاذ البشریّه من الکوارث النوویّه. فبواسطه (الثّوره المعلوماتیّه) خرج تأثیر الأحداث السّیاسیّه والاقتصادیّه والثّقافیّه عن حدوده الجغرافیّه وأخذ یؤثّر تأثیراً مباشراً وفوریّاً علی باقی بقاع العالم. إنّ الحاجه إلی السّرعه فی اتّخاذ القرارات الإداریّه قد ازدادت ازدیاداً خارقاً، فالتّأثیر الثّقافیّ للأقمار الاصطناعیّه، الأنترنیت (شبکه الاتّصال المعلوماتیّه)، دقّه العملیّات الکامبیوتریّه والتّبادل الحرّ للمعلومات لا یمکن تصوّره والسّیطره علیه، وأدّی إلی ظهور أنظمه قیادیّه ثقافیّه جدیده وقیم عالمیّه حدیثه.

ویمکن تلخیص انعکاسات هذه التّحوّلات العالمیّه بما یلی:

أ) إنّ البشریه قد وصلت إلی مرحله فاصله فی مجال التّکامل الحضاریّ، یمکنها فیها تشکیل وحده متکامله تحلّ بها مشاکلها، من خلال التّفاهم المتبادل.

ب) إنّنا لا یمکننا تنظیم وإداره المسائل التّنمویّه الملحّه إلّا باتّباع التّخطیط والأسالیب العلمیّه الحدیثه.

ج) إنّ الاکتشافات الحدیثه منحت البشریّه أملاً فی إمکان التّفوّق علی المشاکل الکثیره الّتی تهدّدها.

۲. البُعد السّیاسی

إنّ عجله العولمه کما سبق وأن أشرنا إلیه لا تدور علی الاقتصاد فقط، بل إنّها مهّدت لنا آفاقاً جدیده یمکن من خلالها مشاهده التّقارب والتّوافق الحاصل فی السّاحه العالمیّه، وکذا المخاطر المشترکه وقنوات التّخطیط المشترک بشکل أوضح. فإنّ تسارع وتراکم السّلع التّجاریّه والمعلوماتیّه ساعد علی اختصار الفواصل الزّمانیّه والمکانیّه وقرّب أبعد البقاع للاستفاده من مصادرها الطّبیعیّه. إنّ هذا الوضع انتزع منّا إمکانیه تصدیر کثیر من نتائج مبادراتنا خارج الحدود.(۱)

من جهه أخری ینبغی الالتفات إلی أنّ الاتّفاق حول إیجاد نظام عالمیّ واسع بإمکانه أن یوفّر مکاسب متکافئه بین جمیع الأطراف، لایمکن تحقیقه للأسباب التّالیه:

۱. عدم وجود باعث ونموذج لطرح مثل هکذا خطّه.

۲. عدم وجود مؤسّسه تمتلک الصّلاحیّه والقدره اللّازمه للتّخطیط لمثل هکذا مشارکه، کی تتمکّن من إرغام اللاعبین الأساسیّین فی دائره المصالح العالمیّه، علی وضع مصالحهم الفردیّه فی خدمه عملیّه البرمجه والتّنظیم العالمیّ.

۱- (۱) یورغن هوبرماس، العولمه ومستقبل الدّیمقراطیّه، ص ۸۷، «التّرجمه الفارسیّه».

إنّ المجتمع العالمیّ المعاصر ما زال یعانی من المشاکل المتضادّه للطّبقیّه، والّتی تحاول فی بعض الموارد توظیف المصالح الفردیّه والوطنیّه والإقلیمیّه لصالحها الخاص. وبعباره أخری ما زال السّعی قائماً لتأمین المصالح الشّخصیّه والوطنیّه، مما یؤدّی إلی مخاطر تحیق بالعالم أجمع. وفی الواقع فأنّ عملیّه العولمه تعانی تناقضاً ظاهریّاً من جوانب مختلفه، فجمیع وجوهها وأبعادها تتعرّض بالقوه للإضعاف من قبل الفعّالین الدّیمقراطیّین فی المجتمعات القومیّه والوطنیّه.(۱) أمّا کیف تؤثّر العولمه علی قدره وحاکمیه الحکومات الوطنیّه وأراضیها؟ فهو سؤال هامّ یتعلّق بوجودها ویقرّر مصیرها، فالإجراءات الّتی تتّخذ لصنع الأسلحه الفتّاکه تتضمّن مخاطر عالمیّه وتعدّ تهدیداً للأمن العالمیّ.

وأنّ استنزاف البیئه وتلوّثها قد وصل حدّاً لا یمکن تدارکه، الاحتباس الحراریّ المتولّد عن الانبعاثات الغازیه، المطر الحمضی، اختلال طبقه الأوزون والتّغییرات البیئویّه؛ لها آثار وانعکاسات واسعه خرجت عن إطار قدره وتخطیط الأنظمه المحلّیّه.(۲) إنّ إبداع أسالیب للتّعاون العالمیّ وتعمیم المصالح باتّخاذ طرق عقلانیّه وإیجاد نظام ثابت ووطید باتّجاه الوحده العالمیّه من المسائل الّتی لا یمکن اجتنابها.(۳)

إنّ تعقیدات العولمه لا یمکن مواجهتها إلّا باتّخاذ أسالیب عقلانیّه تستطیع فیها منظومه الأصاله والقیم المحلّیّه إیجاد أطر جدیده لنفسها تتمکّن من خلالها تحقیق التّکامل الدّیمقراطیّ والاستعداد للتّعامل العالمیّ المشترک.

۱- (۱) المصدر نفسه، منظومه ما فوق الوطنیّه ومستقبل الدّیمقراطیّه، ص ۱۰۵، «التّرجمه الفارسیّه».

۲- (۲) المصدر السّابق، ص ۱۰۵.

۳- (۳) یورغن هوبرماس، العولمه و مستقبل الدّیمقراطیّه، ص ۸۸، «التّرجمه الفارسیّه».

۱۰. الخطّه العامه للبحث

الکتاب الّذی بین یدیک عزیزی القارئ یشتمل علی مقدّمه وثلاثه أقسام عامّه، وقد تعرّضنا فی المقدّمه إلی بیان مسأله البحث وضرورته والأسئله والافتراضات الأساسیّه، ثم أشرنا إلی أسلوب التّحقیق وسابقه البحث والمطالعات الّتی أنجزت فی هذا المجال وأخیراً إلی الأسس العامّه للبحث. أمّا المواضیع الأساسیّه لهذا الکتاب، فهی تنتظم فی ثلاثه أقسام عامّه وحسب التّرتیب التّالی:

القسم الأوّل ویتضمّن خمسه فصول:

الفصل الأوّل: ویختصّ بدراسه مفهوم وحقیقه العولمه والتّعاریف المتعلّقه بها، وتتکوّن فی مجموعها من سبعه تعاریف، ثم نحاول الوصول إلی تعریف جامع وأکثر واقعیّه، من خلال نقد ودراسه التّعاریف الآنفه، ونعتمد هذا التّعریف کأساس وملاک لتحلیل المواضیع المتبقیّه.

الفصل الثّانی: نحاول فیه مطالعه سوابق العولمه من خلال نظره عابره إلی الأسس الفکریّه والتّاریخیّه لها.

الفصل الثّالث: ونبحث فیه حقیقه وإمکانیّه العولمه وأسسها الفلسفیّه والمعرفیّه، ونقد ودراسه النّظریّات المطروحه فی هذا المجال. ونقتصر علی النّظریّات الأساسیّه منها، وهی أربع:

النّظریّه الأولی: وتفسّر العولمه علی أساس الحداثه وامتدادها العولمیّ.

النّظریّه الثّانیه: نظریّه ما بعد الحداثه والّتی تطالع العولمه بنظره تتجاوز الحداثه وتعتقد بأنّ هذه المرحله هی مرحله العبور من العصرنه ونهایه لها.

النّظریّه الثّالثه: والّتی تحصر العولمه فی البُعد الاقتصادیّ، وتعتبرها عولمه للرأسمالیه ونشراً لأنموذجها فی العالم.

النّظریه الرّابعه: وتُعتبر من أهم النّظریّات والّتی تعتقد بأنّ العولمه ما هی إلّا عملیّه طبیعیّه للنّمو والتّوسّع العلمیّ وتقنیات المعلومات الحدیثه.

ص:۴۹

وفی الفصول المتبقیّه نشیر إلی بعض النّظریّات الأخری، مثل نظریه الأنظمه العالمیّه، نظریه التّبعیّه المتبادله، نظریه صراع الحضارات لصاموئیل هنتغتون ونظریّه نهایه التّاریخ لفوکویاما، ونحلّلها فی إطار النّظریّات الأربع الآنفه.

القسم الثّانی: ویتطرّق إلی بحث مفصّل فی مجال عملیّه العولمه ومؤشّراتها وإفرازاتها الإیجابیّه والسّلبیّه، ویعقد فی عدّه فصول.

القسم الثّالث: وهو القسم الأساسیّ لهذا الکتاب، ویبحث فی مجال علاقه الدّین بالعولمه ویتطرّق بصوره تفصیلیه للبحوث الآتیه: علاقه الدّین والعولمه، مکانه الدّین فی عصر العولمه، ضروره الدّین وآثار العولمه علی مصیره، وحده الأدیان أو التّعدّدیّه الدّینیّه، المعنویّه، الحرکات الدّینیّه الجدیده.

وأخیراً أری من واجبی تقدیم الشّکر والامتنان لمن ساهم وشارک فی إعداد هذا البحث، الدّکتور العلّامه السّید أمیر عباس زمانی الّذی أخذ علی عاتقه توجیهی وإرشادی، السّید الدّکتور محسن جوادی الّذی أعاننی کثیراً بإرشاداته ونصائحه الخالصه، أرجو لهم الموفقیّه فی خطاهم العلمیّه والثّقافیّه.

ص:۵۰

القسم الاوّل: التّعرّف على عمليّه العولمه

اشاره

ص:۵۱

۱. تعریف العولمه (مناقشه التّعاریف)

اشاره

إنّ التّعریف قبل أن یکون موضوعاً نظریاً أو علما اصطلاحیّاً، هو فی الحقیقه ظاهره لشیء ما، إنّ المفهوم الّذی نتصوّره لمصطلح (العولمه) من الممکن أن یکون مبهماً وتجریدیّاً وانتزاعیّاً، أو یکون واضحاً وحقیقیّاً وواقعیّاً. ولکن المهمّ فی الأمر هو أنّ التّعریف الواضح والشّائع الاستعمال یؤدّی إلی انسجام الأبحاث المرتبطه به وعدم خروجها عن دائرته.

ونحن فی هذا الفصل سنسعی للوصول إلی تعریف علمیّ وواقعیّ للعولمه، ینأی بنفسه عن الانتزاعیّه والمثالیّه ویحاول أن یکون منسجماً والوقائع الخارجیّه قدر المستطاع، ویبتعد عن إبراز أبعاد ومجالات معیّنه للعولمه علی حساب أبعاد ومجالات أخری، أو یکون تفاؤلیّاً وإفراطیّاً یغطّی علی آثارها السّلبیّه، وسنحاول أیضاً تلافی الخلط بین مفهوم التّعولم والعولمه.(۱)

لقد عُرضت تعاریف متعدّده (للتّعولم) ومن المحتمل أنّها لم توفّق فی طرح تعریف موحّد وجامع لها؛ وذلک لأبعادها المختلفه وماهیّتها المتجدّده

۱- (۱) سنقتصر علی استعمال مصطلح العولمه و إن أُرید به التّعولم، ویُفهم المراد منه من خلال السّیاق إلّا فی موارد إراده التمییز فیما بین المصطلحین، جریاً علی شیوع استعماله فی معنی التّعولم کما أنّه لا تشاحّ فی الاصطلاح، «المعرّب».

والمتغيّره. ومن هنا لم يحصل اتّفاق فيما بين المفكّرين فى هذا المجال؛ وذلك لأنّ هذه العمليّه لم تصل إلى محطّتها النّهائيّه من التّكامل، فهى على الدّوام تفرز أبعاداً جديده(۱) من جهه، ولتضمّنها أبعاداً متعدّده وجوانب متنوّعه من جهه أخرى، فلذا ينبغى الابتعاد عن النّظر إليها بنّظره ذات بُعد واحد.

إنّ بعض المنظّرين ركّز على الوجه الاقتصادىّ وعرّف العولمه على أنّها عولمه الاقتصاد، فمن خلال إدغام الأسواق العالميّه على الصّعيد التّجارىّ، الاستثمار وقوانين إزاله العوائق التّجاريّه والاستثماريّه نصل إلى مرحله عولمه النّظام الرأسمالىّ الغربىّ.

ماك غرو؛ أحد الباحثين فى موضوع العولمه، يفسّرها على أنّها: «نموّ العلاقات المتبادله والمتنوّعه بين الدّول والمجتمعات والّتى تؤدّى إلى تكوين نظام علمىّ، وأنّ أىّ حدث أو فعّاليّه أو قرار يتّخذ فى أيّه بقعه من العالم يؤدّى إلى إفرازات وآثار مهمّه على باقى المجتمعات».(۲)

ويفسّرها فى مكان آخر بأنّها: «ازدياد عدد الرّوابط والاتّصالات المتبادله الّتى تتشكّل خارج نطاق قدره الدّول، فتؤدّى إلى انخفاض قدرتها وتغيير مفهوم الهويّه المستنده إلى الأرض والتاريخ والقوميّه».(۳)

ماكوم ووترز، يعرّف العولمه بأنّها: «عمليّه تؤدّى إلى تغيّر وتداعى الحدود الجغرافيّه والنّظم الاجتماعيّه والثّقافيّه وإلى اتّساع المعرفه العامّه».(۴)

مارتن آل بيرو، يرى بأنّها: «مجموعه عمليّات تؤدّى إلى التّرابط بين جميع سكان العالم فى مجتمع عالمىّ متّحد وواسع».(۵)

۱- (۱) بيتر هانس، فخّ العولمه، ص ۱۴، «التّرجمه الفارسيّه».

۲- (۲) مالكوم ووترز، العولمه، «التّرجمه الفارسيّه لإسماعيل مردانى كيوى و سياوش مريدى».

۳- (۳) المصدر نفسه.

۴- (۴) المصدر السّابق، ص ۱۲.

۵- (۵) زهراء بيشكاهى فرد، ملاحظه ديموغرافيه حول العولمه، ص ۲۷.

انتونی غینز، یعتقد فی استعراضه للعولمه بأنّها: تُماثل العصرنه وأنّها أحد مراحلها ویری بأنّ (العصرنه هی عالمیّه بذاتها).(۱)

فوکویاما، المنظّر الأمریکیّ المعاصر، یدّعی بأنّ العولمه: «هی انتشار الثّقافه الغربیّه واستیلاء المدنیّه الأمریکیّه علی العالم، ویسمّی ذلک نهایه التّاریخ».(۲)

روبتسون، المنظّر المعاصر الشّهیر، یری أیضاً: بأنّ العولمه عملیّه تؤدّی إلی تصاغر العالم وتراکم المعرفه البشریّه. ومن خلال تأکیده علی الجوانب الثّقافیّه للعولمه یعتقد بأنّها: ستؤدّی إلی تبلور ثقافه عالمیّه واحده ولکنّها لیست کالّتی یدّعیها فوکایاما والآخرون، ولیست بمعنی محو الثّقافات المتعدّده والقیم الدینیّه والأخلاقیّه، ولکنّها بدل من إضعافها للدّین وإبعاده عن واقع الحیاه، فهی توفّر ظروفاً مساعده للحیاه المذهبیّه وانتشار تعالیمها.(۳)

أمّا عمانوئیل والرّشتاین، فهو یصوّر قیام عالم متّحد بهذا التّصویر: «إنّ العولمه هی عملیّه تؤسّس قنوات لإدغام المجتمعات النّائیه والمنزویه فی تبعیّه متبادله ووحده عالمیّه».(۴)

نقد ومناقشه التّعاریف

إنّ عرض أیّ تعریف جدید للعولمه ینبغی أن یسبقه تحلیل للتّعاریف المطروحه، وتشخیص نقاط ضعفها ومواضع عجزها، ومن خلال التأمّل فی ما طُرح من تعاریف یمکن استخلاص خمسه مفاهیم، هی کالتّالی:

الأوّل: (إطلاق حرّیّه التّجاره والاقتصاد).

۱- (۱) غینز، انتونی: إفرازات العصرنه «التّرجمه الفارسیّه لمحسن ثلاثی».

۲- (۲) فوکویاما: نهایه التاریخ.

۳- (۳) روبتسون، روناله: العولمه «التّرجمه الفارسیّه لکمال بولادی».

۴- (۴) عمانوئیل والرّشتاین، السّیاسه والثّقافه فی النّظام العالمیّ المتطوّر «التّرجمه الفارسیّه لبیروز إیزدی» فصلیّه مطالعات استراتیجیّه.

الثّانی: (الحکومه العالمیّه الشّمولیّه) ونفوذ وسیطره دوله واحده.

الثالث: (غربنه أو أمرکه العالم).

الرابع: (حرّیّه تداول المعلومات) وتسارع العلاقات العالمیّه جرّاء التّطوّر العلمیّ والتّقنیّ.

الخامس: (التدویل) وتجاوز الحاکمیّه، أی النظام الدّولی الواحد والشّمولیّه العالمیّه، ویمکن الإشاره إلی النّقاط المشترکه فیما بین التّعاریف المتقدّمه:

۱. الاختصار المتنامی للزّمان والمکان.

۲. محو الحدود الجغرافیّه والضّوابط القومیّه والوطنیّه، وبعباره أخری، محو الضّوابط الثّقافیّه والهویّه الدّینیّه والقومیّه وخفض قدره الحکومات.

۳. تنامی التّبعیّه المتبادله بین أبناء البشریّه جمعاء.

وکما جاء فی تعریف العولمه، من أنّها مرحله من النّظام الرأسمالیّ الغربیّ - حسب وصف البعض - وأنّها استمرار للعصرنه وانتشار لأنموذجها فی کلّ العالم - حسب تفسیر البعض الآخر - فقد أطلق علیها بول هارست وغراهام تومبسون عنوان (التّدویل) وعدّها البعض الآخر (تحریراً ورفعاً للموانع الطّبیعیّه) واختصاراً للفواصل الزّمانیّه والمکانیّه وحرّیّه تداول المعلومات وسهوله الاتّصالات العالمیّه. الطّائفه الرّابعه عنونتها بأنّها: «الامتداد العالّمی والسّیطره علی الثّقافات والمجتمعات الأخری». الیور، رایزر، وب دیفیز، یرون بأنّها «اندماج للثقافات».

لقد وصف التّعریف الخامس - والّذی یعدّ أکثر شیوعاً من غیره - العولمه بأنّها «غربنه» أی: جعل العالم غربیّاً أو صنع العالمیّه، والّذی اعتبره البعض استعماراً جدیداً أو تسلّطاً للإمبریالیّه الغربیّه فی العصر الحدیث.

ربما تعدّ کلّاً من هذه الآراء توضیحاً وشرحاً لواقع العصر الحدیث، ولکن نظراً للاختلاف الفاحش فیما بینها لا یمکن جمعها فی تعریف مشترک وجامع، بل إنّ کلّ واحد منها قد نظر إلی العولمه من زاویه خاصّه، حتی انّ

بعضها ليس له أىّ وجه اشتراك مع الأخريات، فالرأى الّذى يقول: بأنّها محو الحاكميّه أو ما بعد الحاكميّه يختلف ويتضادّ مع الرّأى الّذى ذهب إلى أنّها تدويل أو انتشار للرّأسماليّه. والرّأى الّذى وصفها بأنّها تحرير يختلف اختلافاً فاحشاً عن الرّأى الّذى اعتبرها نهايه للتّاريخ وسيطره الثّقافه الغربيّه. فبناءً على التّمييز فيما بين مصطلح التّعولم ومصطلح العولمه فإنّ أفضل تعريف للتّعولم هو أنّه التّداول الحرّ للمعلومات وتعزيز وتنميه العلاقات الثّقافيّه والاقتصاديّه نوعيّاً وكمّيا بين مختلف المجتمعات والتّطوّر فى التّعامل مع القراءات القوميّه، التّبعيّه المتبادله، زوال الحدود، الثّقافه الجديده ومحو الهويّه.

فعلى سبيل المثال، ما يؤخذ على التّعريف الأوّل هو أنّنا نلاحظ أنّ العولمه لها أبعاد واسعه وآثار مهمّه فى مختلف مجالات الحياه البشريّه ولايمكن حصر تأثيرها فى المجال الاقتصادىّ. وفى نقد التّعريف الثّانى ينبغى التّذكير بأنّ إحدى الآثار المهمّه للعولمه هو تأثيرها على المبادئ الوطنيّه وحاكميّه الدّول، بينما يأتى ماك غرو ليحصرها فى إطار منطقه نفوذ الدّوله الوطنيّه. أمّا ما يلاحظ على تعريف آل برو، فإنّه لا يخلو من مناقشه؛ لعدم عرض أدلّه كافيه ومقنعه لتأسّى المجتمع العالمىّ المتّحد من قبل أىّ من المنظّرين فى مسأله العولمه، مع أنّ هكذا أمر يحتاج إلى عوامل وممهّدات لحصول الوحده والانسجام بين الهويّات والثّقافات والمؤسّسات العالميّه.

ومع أنّ تعريف غينز والّذى يفترض فيه بأنّها انتشار للعصرنه، فمع أنّه يبدو منطقيّاً ولكن ينبغى القول إنّ كثيراً من مميّزات العولمه لا تتّفق وأسس العصرنه. ولا يعدو أن يكون التّعريف السّادس سوى دعوى إعلاميّه وسياسيّه منه نظريّه علميّه، فليس له كثير ارتباط بالعولمه.

ومن خلال ذلك يتّضح بأنّ التعريف الدّقيق للعولمه ينبغى أن يتضمّن ثلاثه مفاهيم وميزات أساسيّه ومهمّه:

اختصار الزّمان والمكان وازدياد حجم وسرعه المعلومات.

التّداول الحرّ للمعلومات والّذى خرج عن نطاق السّيطره، وتغيّر المبادئ الوطنيّه والمحلّيّه ثقافيّه كانت أو اقتصاديّه أو سياسيّه.

تعزيز العلاقات والتّبعيّه المتبادله وتفاعل المجتمعات، وتغيّر الهويه الثّقافيّه والمبادئ السّياسيّه.

خلاصه الفصل الأوّل

أشرنا فى هذا الفصل إلى التّعاريف المتعدّده وغير المتقاربه للعولمه، واستطعنا من خلال استعراضها ومناقشتها الوصول إلى معرفه دقيقه وأكثر واقعيّه بها. واستنتجنا تعريفاً كاملاً يتطابق والوقائع الجاريه فى العالم، وسنعتمد هذا التّعريف كقاعده ننطلق منها إلى البحوث القادمه. المسأله المهمّه فى هذا الفصل هى التّفريق فيما بين مفهوم التّعولم ومفهوم العولمه، والالتفات إلى الأبعاد المختلفه للتّعولم والابتعاد عن النّظره ذات البُعد الواحد فى التّعريف.

وبصوره عامّه يمكن تنظيم التّعاريف المطروحه بالشكل التّالى:

العولمه بمعنى (عولمه الرأسماليّه وقوانين التبادل التجارىّ الحر).

العولمه بمعنى التّبعيّه المتبادله فيما بين الدّول والمنظّمات وتأسيس نظام عالمىّ واحد وتنميه العلاقات وتقبّل التّأثير العالمىّ (والرّشتاين وغينز).

العولمه بمعنى رفع الحدود الجغرافيّه أو عدم جدواها وتقليل المسافات الزّمانيّه والمكانيّه وتعزيز المعرفه (روبتسون).

العولمه بمعنى (تبلور ثقافه عالميّه واحده مشتركه).

العولمه بمعنى غربنه العالم وفرض أنموذج المدنيّه الغربيّه (فوكويا).

العولمه بمعنى التغيير فى جميع الأسس الثّقافيّه والسّياسيّه والاجتماعيّه والصّيغ الموجوده فى العالم والتّحرّر من سيطره الدّول والحكومات.

۲. مطالعه للآراء والاتّجاهات

اشاره

لقد أجريت دراسات متعدّده فی قضیه العولمه، ولكنّها جميعاً لم توفّق فی عرض نظريّه عامّه يمكن قبولها والرّكون إليها. ونحن بدورنا سنمرّ مروراً عابراً على بعض الآراء الّتی تتمحور فی ثلاث نظريّات أساسيّه لنقدها ومناقشتها.

يُعرّف أغلب منظّری علم الاجتماع العولمه، بأنّها عمليّه تنامی النّظام الفعلیّ الّذی غيّر البنی العالميّه وأكسبها قالباً جديداً. إنّ الشّيوعيين وأنصار نظريّه (النظام العالمیّ) يعدّون العولمه المسأله البارزه فی هذه المرحله، فالعولمه فی عقيدتهم، ما هی إلّا انتشاراً للنّظام الرأسمالی، ولذا يرون بأنّ «منطق الرأسماليّه هو منطق استعماریّ، وهی فی طريقها لأن تكون عالميّه».(۱)

ومع أنّ البعض يری، بأنّ العولمه ما هی إلّا غطاء لسيطره الرأسماليّه، فإنّ هناك من اعتبرها نوعاً من (التماثل المتنامی) الّذی يؤدّی إلى الوحده الاقتصاديّه والثّقافيّه. وذهب إلى ذلك أيضاً مَن صوّر التّعولم على أنّه عولمه -

---

۱- (۱) ديفد هولد و انتونی ماك غرو، العولمه و معارضوها، ص ۲۱، «التّرجمه الفارسيّه لعرفان ثابتی».

فرض العالميّه - أو غربنه. إنّ هذا التفسير ما هو إلّا اتّجاه (ليبراليّ) للترويج لانتشار الرأسماليّه الغربيّه.

إنّ كثيراً من المفكّرين يعتقدون بأنّ العولمه هى العصرنه بذاتها، ومن بين هؤلاء انتونى غينز،(۱) ففى رأيه إنّ العولمه ما هى إلّا استمراراً للعصرنه وبعباره أخرى، هى (عولمه العصرنه) فهو يعتقد (بأنّنا ما زلنا فى عهد العصرنه) وأنّ العصرنه أعادت هيكلتها وهى فى حال التّوسّع والتّطوّر.

يدّعى بعض أصحاب الرّأى: أنّ (عصر العولمه) يأتى بعد عصر الحداثه وأنّه يختلف عنه، وأنّ العولمه هى الوجه البارز لعصرنا الحاضر، وهذا نفسه ما يذهب إليه العصرانيون.(۲) فسكوت لاش وجون يورى، يرون بأنّ «العصرانيّه هى بذاتها عالميّه».(۳)

البعض الآخر يعتقد بأنّ العولمه، ما هى إلّا سفينه نجاه للرأسماليّه، ففى عقيده الشّيوعيّين أنّ الرأسماليّه وللتّخلّص والفرار من الانهيار قامت بتصدير الأزمات النّاجمه عن تراكم رأس المال وأزمه الشّرعيّه للاستيلاء والسّيطره على العالم.(۴) فلم تكن العولمه إلّا وجهاً للإمبرياليّه والّتى تحكى عن وصول النّظام الرأسمالىّ إلى طريق مسدود. وهذا ما يراه عمانوئيل والرّشتاين، اندريه غونر فرانك، سمير أميس، سو بول باران وآخرين يؤيّدون هذا الرّأى ويعتقدون بأنّها لم تكن سوى وليداً للرأسماليّه.

ويرى آخرون بأنّ ظاهره العولمه ما هى إلّا فخّاً أعدّته الدول الغربيّه المتقدّمه لاصطياد الدول المتخلّفه للسّيطره على أسواقها الاستهلاكيّه من

۱- (۱) و يمكن وضع اولريش باك وهوبرماس فى رديف أنصار هذه النّظريّه.

۲- (۲) مارتن آل برو (Martin Albrow).

۳- (۳) كيت نش، علم الاجتماع السّياسىّ المعاصر، ص ۷، «التّرجمه الفارسيّه لمحمّد تقى دلفروز».

۴- (۴) فصليّه مطالعات استراتيجيّه، (فى ماهيّه العولمه)، ص ۲۸۳.

خلال توحيد الثّقافات وتهميش مميّزاتها. هذه المجموعه تعدّ العولمه مرادفاً للغربنه والأمركه وصنع العالميّه.

وفی مقابل ذلک یری البعض بأنّ العولمه هی عملیّه تحقّق تکثّراً للثّقافات وتنمیه شامله للعلم والتّقنیه والخبره وتبادل المعلومات فی القریه العالمیّه.

وهناک افتراضات أخری لخصوم آخرین علی صعید النّظام الّذی هو آخذٌ فی التّبلور، ومنها نظریّه نهایه التّاریخ لصاحبها فرانسیس فوکویاما والّتی تعنی نهایه التّکامل الأیدیولوجیّ للبشریّه وانتصار الرأسمالیّه الغربیّه.

وهناک نظریّه طُرحت فی العقد الأخیر للقرن العشرین ولاقت رواجاً أکبر بین المفکّرین والسّیاسیّین، وهی نظریّه صراع الحضارات لمبتکرها صاموئیل هنتیغتون. ففی رأیه أنّ الأزمه العالمیّه القادمه هی أزمه ثقافیّه ودینیه.(۱)

ویذکّر الوین تافلر بعالم تؤدّی فیه ضروره الوفاق ومجارات العملیّات النّاتجه عن صراع الموجات التّاریخیّه إلی نوع من التّبعیّه والتّرابط المتبادل وشمولیّه القیم الثّقافیّه.

فمن خلال ماتقدّم یبدو أنّ المؤشر الأساسیّ للعولمه هو بعدها الثّقافیّ وذلک للأسباب التّالیه:

أوّلاً: إنّ ماهیّتها الثّقافیّه والفکریّه تغطّی علی أبعادها الأخری.

ثانیاً: إنّ أبعادها السّیاسیّه والاقتصادیّه لها بؤر محدّده ومتمرکزه مع أنّها عملیّه تتحرّک بما هو أبعد من الزّمان والمکان والقومیّه والحدود.

ثالثاً: إنّها تسیر وفق قاعده معیّنه فی علاقتها بالإنسان، فهی لیست سلعه أو ما شابهها.

۱- (۱) السیّد علی أصغر الکاظمی، عولمه الثّقافه و السّیاسه، ص ۱۶، «باللّغه الفارسیّه».

نقد ومناقشه الآراء

مناقشه النّظريّه الأولى

إنّ بعض المنظّرين اعتبروا العولمه بمثابه (التعصـرن) وأنّها ثمره الرأسماليّه التّوسعيّه الّتى انعتقت من قيود الدّوله - الشّعب ولبست ثوباً استعماريّاً جديداً وغطّت مختلف أصقاع الدّنيا. إنّ هذه النّظريّه تبيّن أنّ العالم المعاصر لم يكن استمراراً لعصر العصرنه.

مناقشه النّظريّه الثّانيه

إنّ الّذين ينفون علاقه العصـرنه بالعولمه ويؤكّدون على العلاقه الوثيقه فيما بين العولمه والرأسـماليّه يعتقدون بأنّ العولمه غالباً ما تكون ذات بُعد اقتصاديّ.

و للإجـابه عن ذلـك ينبغى القول: «بمـا أنّ الرأسـماليّه ذات عقليّه تحرّريّه تعارض القيم الأخلاقيّه والمـذهبيّه، فهى فى واقع الأمر تبتنى على العصرنه».(۱) وفى أنّ الّذين يؤكّدون على علاقه العولمه بالعصـرنه ويعتقدون أنّها أحد مراحلها التّكامليه، يغفلون عن أنّها فى بعض وجوهها تكون فى تضادّ مع العصرنه.

فالعصـرنه تعتمد المركزيّه والعقلانيّه الحداثتيّه والشّموليّه ونفى الآخر والنّزعه الإنسانيّه و العلمانيّه، فى حال أنّ العولمه تتهرّب من كـافه تلـك الوجوه، وهى نظريّاً وبنيويّاً وعمليّاً تختلف والعصـرنه. من جهه أخرى، فإنّ العصـرنه تتعارض مع كثير من المقولات والثّقافـات، مع أنّ العولمه تسـتطيع مجـاراه الثّقافـات السّائـده، أو أنّها ولكونها عمليّه عامّه تُكسب المشتركات الحضاريّه والثّقافيّه شكلاً جديـداً من الثّقافه العالميّه. إنّ التّعريف العلمىّ الّذى ارتئيناه للعولمه يصوّر الحاله الجديـده من التّعامل وتبادل المعلومات وتواصل الثّقافات، فهى بهذا المعنى لا تحمل أيّه أيديولوجيّه خاصّه، ولكن من

۱- (۱) عماد افروغ، مجموعه مقالات: «الإسلام الشّمولىّ والعولمه»، ص ۳۲.

الممکن أن تبرز ثقافه ما لأسباب خاصّه وتستولی علی غیرها من الثّقافات والحضارات بما تمتلکه من إمکانات فی الفضاءات العالمیّه الجدیده. ولکنّ المقتضی الأوّلی للعولمه هو أنّها حاله و عملیّه وفرصه تستبطن إمکانات عالمیّه وحدیثه ولا تختصّ بکونها تحمل ثقافه خاصّه وأیدیولوجیّه ممیّزه، فلا ضروره لحصرها فی البعد الاقتصادیّ و السّیاسیّ، أو أن تتطلّب وحده ثقافیّه ونظام عالمیّ واحد. وفی عقیدتنا أنّ العولمه لا تحمل أیّه ثقافه غربیّه أو أنّها تخترع ثقافه عالمیّه شمولیّه، وإنّما یرتبط الأمر بالثّقافات ذاتها فی قدرتها علی التنافس لإبراز تفوقها اعتماداً علی معاییرها ومبادئها الخاصّه.

مناقشه النّظریّه الثّالثه

إنّ من أبرز المنظّرین فی مسأله العولمه هو دیفد هارفی، ففی کتابه (حاله العصرانیّه) یربط العولمه بالعصرانیه ویتکهّن باتّخاذ الرأسمالیه صفه جدیده یسمّیها (العصرانیّه المرنه). ففی اعتقاده أنّ العولمه الرأسمالیّه ظاهره مستحدثه، ولکنّ العصرانیّه المرنه أکثر بروزاً فی تضمّنها ازدیادا فی الاکتشافات وتراکماً للزّمان والمکان نتیجه تقنیه المعلومات ووسائل اتّصال فعّالیات النّظام الرأسمالیّ.

إنّ الرأسمالیّه الحداثویّه تعمل بصوره جادّه من أجل کسب أسواق جدیده وتنمیه وتطویر منتجاتها وتغییر سلائق وأذواق النّاس لتصریفها عن طریق استغلال وسائل الإعلام والإعلانات التّجاریّه. فالمیزه الثّقافیّه لهذه العملیّه هی التّلوّن، عدم الثّبات، الضحاله الفکریّه، ترویج الأسالیب والموضات الحدیثه، عدم التّجانس، التّکثّر، عدم التّرابط، الفوضی والتّیه الثّقافیّ فی مقابل الأصاله والثّبات و العمق الفکریّ والرّویه العقلیّه. ومن هنا فالعصرانیّه لیست سوی «العبثیّه» و «الاضطراب».

معارضو العولمه

وفی مقابل أنصار العولمه، تواجهنا طائفتان باتّجاهین مختلفین؛ الیساریّه الإفراطیّه ذات الاتّجاه الشّیوعیّ والهاجس السّلطویّ والسّیطره الغربیّه. والأخری الیمینیّه اللیبرالیّه المتوجّسه من عوده الشّیوعیّه وسیطرتها علی العالم، وتعیش الطّائفتان حاله القلق من خطر التّوحّد العالمیّ، سواء کان بلونه الشیوعیّ أم بثوبه الإمبریالیّ. مع وجود أطراف أخری بأصولیّتها الذّاتیّه والثّقافیّه والتّاریخیّه والمذهبیّه تقف بمبرّراتها الأصولیّه والقومیّه فی مواجهه تیّار العولمه، لتنأی بنفسها عن نتائجها المهوله. وهنا ینبغی التّساؤل فیما إذا کان من الممکن السّباحه عکس تیّار العولمه؟ وهل یمکن السّیطره وکبح مدّها العاصف والمدمّر؟ فما هو ردّ تلک الطّائفتان؟

إنّ الإجابه عن هذه الأسئله یرتبط بالإدراک العمیق لعملیّه العولمه وفهم الآراء الّتی دارت حولها، فعلی سبیل المثال، إذا قلنا بأنّ العولمه هی استمرار للعصرنه، فسیکون من العسیر تلافیها والسیطره علیها أو إمکان توجیهها؛ لأنّ العصرنه وفیّه لمبادئها الخاصّه، ومبتنیه علی العقلانیّه و التّطوّر و التّجدّد، وتتّصف بعدم المحدودیّه، وذات اتّجاه مادی، وعلمانیّ، فستکون للعولمه المبتنیه علی العصرنه نفس هذه المیزات أیضاً، إلّا فیما لو نظرنا إلیها علی أساس غیر أساس العصرنه، وفی هذه الحاله ینبغی النّظر إلی أنّ الآثار الّتی رافقت عولمه العصرنه، هل هی نفسها الّتی ستفرزها العولمه أم لا؟

بعض المفکّرین یعتقد بأنّ العولمه ذات اتّجاه علمانیّ ومادیّ، فسیکون «الدخول والالتحاق برکبها یعنی القبول بأصول التغریب وأسس الحضاره الغربیّه. وأنّ دخول العالم الإسلامی فی هذه اللعبه یستتبعه أخطار جسیمه».(۱)

۱- (۱) رامین خانکی، فصلیّه کتاب النقد، ص ۲۹ (العدد ۲۴-۲۵). وعماد افروغ، مجموعه مقالات، ص ۲، «باللّغه الفارسیّه».

ويعتقد هذا البعض بأنّ هذا يتنافى وأهداف ومبادئ وحقيقه الإسلام، ففى عقيده هذه المجموعه إنّ هذه الشّعارات البرّاقه والخدّاعه من الدّيمقراطيّه، الليبراليّه، المجتمع المدنىّ العالمىّ، الأمن والنّظام العالمىّ الجديد، الإداره العالميّه، القريه العالميّه، العولمه والتّعولم يكمن خلفها الاستعمار الغربىّ الإمبريالىّ الجديد.

أمّا المروّجين للعولمه فلم يكونوا موفّقين فى طرح أفكارهم الحالمه حول الحضارات والنظام العالمىّ الجديد وترويج الدّيمقراطيّه والثّقافه الغربيّه. فعادوا اليوم لاستخدام العولمه كوسيله لتحطيم مقاومه الشعوب وصلابتها العقائديّه والفكريّه. ولأجل تحقيق أهدافهم عرضوا شعاراتهم الجديده تلك، كالواقعيّه، مبدأ النسبيّه، مبدأ الشك والمجتمع ذو الثّقافات المتعدّده، كى تُعرض الشعوب عن ثقافاتها وأديانها وتقاليدها وتراثها أو تصاب بالتردّد والحيره، ومن ثم يتمكّنون من الاستيلاء عليها، من خلال توحيد النّظام العالمىّ ويحقّقوا أهدافهم الاستعماريّه. فهم يروّجون لقضيّه «أنّه لا يمكن الوقوف بوجه تلك القوّه العالميّه الغامضه والعصيّه على السّيطره ولابدّ من الاستسلام لجبريّتها التّاريخيّه».(۱)

فالعولمه فى رأى المعارضين، ما هى إلا بعبع ونمر من ورق، قبل أن تكون حقيقه خارجيّه. و يؤكّدون بأنّ عوامل تحقّق مثل هكذا مسأله والّتى يتداخل فيها البعد الثّقافىّ والاقتصادىّ والسّياسىّ والعملىّ لتشكّل نظاماً واحداً ومتّحداً، غير مهيّئه فعلاً.

الاعتراض الآخر لهذه الطّائفه، أنّ العولمه على فرض تحقّقها سيكون لها آثار مبهمه غامضه، وتؤدّى إلى اتّساع نطاق انعدام العداله، الفقر، فقدان الأمن، الأزمات الاجتماعيّه، البيئويّه والاقتصاديّه... الخ. ففى عقيده هؤلاء أنّ

۱- (۱) المصدر السّابق، ص ۴۷.

العولمه ليست قضيّه طبيعيّه أو عقلائيّه، وإنّما - وكما أفصح عنه بعض المنظّرين - ما هى إلّا مصيده ومشروعاً إمبرياليّاً جديداً للسّيطره الغربيّه وقهر المجتمعات والثّقافات الأخرى.

المؤاخذه الأخرى الّتى طرحها هؤلاء، هى أنّ العولمه تتضمّن تناقضاً ذاتيّاً على المستوى النّظرىّ؛ لأنّها تعكس انتصار القيم الثّقافيّه الغربيّه من جهه، ولكن هذه القيم ذاتها لم تستطع التّفوّق على أنظمه ثقافيّه واقتصاديّه معاصره كالصّين واليابان على المستوى الاقتصادىّ، والإسلام على المستوى الثّقافىّ.

ويؤكّد هؤلاء، أنّ العولمه إذا كانت مجرّد قناع وغطاء لقوى ومصالح خاصّه، لا يمكنها أن تكون نتاجاً للآراء المتوافقه والمتناغمه، ولكنّها مساومه على الاستضعاف والانسحاق، وتؤدّى إلى الحرمان والكبت وقصر الألوان واستحاله الفرد والتعرّض لأقصى حالات الاستغلال.(١)

فرانسوا ليوتور، يعتبر أنّ احتمال حصول اتّفاق فى الآراء فى أىّ علم ذى قيمه إنسانيّه يعدّ فى الحقيقه انعكاساً لنوع من الوحشه والاختلال، فيقول: «بما أنّنا قد عشنا الرّعب والاضطراب خلال القرنين التّاسع عشر والعشرين وسدّدنا فاتوره الإحساس بالغربه الجماعيّه والفرديّه، واليوم ونحن نعيش الآمال العريضه فى الراحه والاطمئنان تتناهى إلينا أصداء عوده الرّعب لتنشب مخالبها فى النّفوس، فينبغى أن نهتف: أن تعالوا لنقف وقفه واحده للثوره والمواجهه الشّامله».(٢)

عندما ننظر إلى الطّموحات الشّيوعيّه والاشتراكيّه الحالمه، نرى بأنّ تحذيرات ليوتور مقبوله ومنطقيّه، وعندما نلاحظ الإبداعات الجنونيّه للقياده الرأسماليّه والّتى تدّعى المحوريّه العالميّه والعولمه، ندرك المخاطر الّتى أطلقها ليوتور.

١- (١) دوس، الثّقافه والمجتمع، سنه ١٩٨٧، ص ٢٩٩.

٢- (٢) ليوتور، ١٩٨۴.

إنّ منتقدو العولمه يرون بأنّها بحدّ ذاتها تنطوى على أضرار ومفاسد لايمكن الاستهانه بها، ولذا فهم يطالبون بإيقافها والإعراض عنها.

الطّائفه الأخرى المعارضه للعولمه هم الأصوليّون الّذين يؤكّدون على الحاكميّه الوطنيّه، الوشائج التّاريخيّه، الاقتصاد الوطنىّ، الثّقافه المحلّيّه وإعاده الحياه للتعاليم الدّينيّه ولأجل ذلك فقد شمّروا عن سواعدهم للإطاحه بهذه العمليّه. وفى هذا الوسط الّذى أشرنا إليه يوجد بعض البوذيين، اليهود، الهندوس، المسلمين الّذين يرغبون بإعاده الحياه للتّعاليم الدّينيّه ويحاولون نفض الغبار عن عقائدهم والمحافظه على أصولهم سننهم. أبدوا موقفاً آخر تّجاه العولمه على خلاف الأصوليّين، ففى نظرهم أنّ المطالبه بإيقاف أو معارضه العولمه ليست حلّاً منطقيّاً، و إنّما الحلّ هو فى استمرارها وتوجيهها باتّجاه أسس ومبادئ معقوله.

صنف آخر من المعارضين لمسيره العولمه الفعليّه هم الاشتراكيّون الّذين يروّجون لصبّ العولمه فى قوالب اشتراكيّه وينادون بعالم ما بعد الرأسماليّه.(۱)

خلاصه الآراء

لاحظنا حتّى الآن صورتين متضادّتين للعولمه:

ففى رأى البعض أنّ إقامه علاقات ثقافيّه عميقه فيما بين الأمم والمجتمعات يؤدّى إلى إيجاد عقليّه عالميّه واحده.

إنّ الثّقافه العالميّه المعاصره هى نتاج ثقافه خاصّه، وهى الثّقافه الغربيّه الّتى هى فى طور الاتّساع وهضم جميع الثّقافات.

إنّ الدّراسات الّتى تجرى اليوم على صعيد آثار العولمه وقيام المجتمع

۱- (۱) ظاهره العولمه، ص ۳۹، «باللّغه الفارسيّه» هولد، ديفد وماك غرو وانتونى، العولمه ومعارضوها، «التّرجمه الفارسيّه لعرفان ثابتى» ص ۲۲.

المعلوماتیّ المبتنی علی التّطوّر الثّقافیّ المعاصر، هی فی بدایه مشوارها وقد تمثّلت باتّجاهات مختلفه:

الاتّجاه الأوّل: ویرکّز علی العلاقه بین الثّقافه والاقتصاد. وهذا الاتّجاه یروّج للقیم الحدیثه الّتی هی نتاج لانتشار النّظام الرأسمالیّ والاستهلاکیّ والّتی هی فی طور التّبلور.

الاتّجاه الثّانی: وینظر إلی المسأله من خلال العلاقه الجدیده النّاشئه من العلاقه بین الثّقافات أو صراعها، والّتی یُنظر إلیها بعنوان العامل الفارق والمصیری فی العصر الحاضر، کنظریه هنتیغتون.

الاتّجاه الثّالث: ویعتقد بأنّ المسأله ترتبط بالعلاقه فیما بین الثّقافه والسّیاسه. فقد أدّی ظهور الثّقافه العالمیّه لسحق التّعالیم التّقلیدیّه والمحلّیّه واتّخذت منحاً معارضاً کنظریه الحکومه – المواطن وتسبّبت فی إضعاف الحاکمیّه الوطنیّه، وهذا ما تبیّنه نظریه الأنظمه العالمیّه لوالرشتاین.

الاتّجاه الرّابع: وهو الّذی یتطرّق إلی المسأله من خلال العلاقه بین الثّقافات، فبناءً علی هذا الاتّجاه فإنّ انفصام وتدابر الثّقافات الغالبه، المنتجه، الثّابته، الغازیه، المبدعه والمنفعله مستمرّ وغیر منقطع. ولکنّ الظواهر الجدیده غیر المتجانسه لکلّ تلک العلاقات تؤدّی إلی سحق الثّقافات الصغیره والهامشیّه.

الاتّجاه الخامس: ویحلّل القضیّه من خلال الثّقافه والمجتمع، فإنّ مجاراه کثیر من النخب للثّقافه العالمیّه الّتی تحکمها مشاکل وقیم المجتمعات المتقدمه، یؤدّی إلی تلاشی واضمحلال الثّقافات القومیّه، ویُدخل المجتمعات الإنسانیّه فی فراغ معنویّ وذاتیّ، وما ذلک إلّا نتاجاً لتأسیس ثقافه قائمه علی البُعد الاقتصادیّ وقد وُضع ذلک فی أولی مهامّ منظمّه التّجاره العالمیّه.

إنّ هذه الثّقافه العالمیّه لم تُنتج ولم تُهدنا سوی: تحطیم الأواصر الاجتماعیّه، محو القیم الدّینیّه والأخلاقیّه، ترویج الأخلاق البرجوازیّه، أمّا

القیم والأصول المذهبیّه فهی لیست غیر مقبوله فقط، وإنّما تعدّ سدّاً فی طریق العصرنه الغربیّه.

خلاصه الآراء والاتّجاهات

إنّ هناک خلافاً حادّا فی مسأله العولمه الّتی تحوّلت إلی کابوس یُؤرّق البشریّه فکریّاً واجتماعیّاً، ویبتدئ هذا الخلاف من تعریفها ویمرّ بتاریخها وأبعادها ویستمرّ إلی إفرازاتها ونتائجها، ففی وقت اعتبرها البعض من ممیّزات ومؤشّرات المرحله المعاصره وتحدّث عن تطوّراتها المذهله، نظر إلیها بعض آخر بمنظار الریبه والحذر فأنکر واقعیّتها واعتبر الضجّه المثاره حولها مبالغ فیها. وفی مقابل هؤلاء هناک من یعتقد بأنّ العولمه ماهی إلّا مشروعاً استعماریّاً للنّظام الرأسمالیّ لنهب خیرات العالم. أمّا المؤیّدون لها فبعضهم اعتبرها عملیّه علمیّه تمخّضت عن التطوّر والتّقدّم التّقنیّ.

و قد اتّخذ المؤیّدون والمعارضون اتّجاهات متباینه تّجاهها، ویمکن إیجاز أقوال المؤیّدین فی أربعه آراء:

إنّها عملیّه (عولمه الرأسمالیّه).

إنّها بمنزله (عولمه العصرنه).

إنّها (تجاوز للعصرنه) ودخول فی العصرنه الشّموليّه (ما بعد العصرنه).

إنّها نتاج للتّقدّم العلمیّ والتّقنیّ الحدیث.

ویعتقد هؤلاء أنّ جمیع الممیّزات والعلائم الّتی ذکرتها التّعاریف الأخری هی من مستلزمات هذه العملیّه کزوال الحدود الجغرافیّه والمذهبیّه، النّمو المعرفیّ، السّرعه الفائقه، توثیق العلاقات والتّبعیّه المتبادله فیما بین الأمم.

۳. نظرّیه عولمه العصرنه

مناقشه النظریّه الأولی (عولمه العصرنه)

اشاره

یـدّعی بعض المفکّرین: أنّ العولمه هی عملیّه تطویر للعصـرنه وتمثّـل إحـدی مراحلها، ولأجل إثبات دعواهم هـذه ینبغی علیهم أوّلاً بیان العلاقه البنیویّه والسّـببیّه فیما بین العصرنه والعولمه بطریقه منطقیّه واستدلالیّه، ویکشفوا عن کیفیّه انتقال وتطوّر العصرنه ودخولهـا مرحله الشّـمولیّه. وینبغی ابتـداءً دراسه وتحلیل کیفیه انحصار ارتکاز العولمه علی أسـس العصـرنه، ولهـذا سوف نشـیر إشـاره مقتضـبه إلی مفهوم العصـرنه وأسسـها قبـل التطرّق إلی ممیّزاتها ومقتضـیاتها ثم نتحـدّث عن إمکانیّه تحوّل العصـرنه إلی العولمه، وهل أنّ العولمه الحالیه تنسجم ومقوّمات العصرنه أم لا؟

۱. مفهوم العصرنه

إنّ لفظه العصـرنه أو الحداثه مشتقّه من لفظه العصری أو الحدیث وتأتی بمعنی المعرفه المتطوّره بالعالم وبالنّفس الّتی تقوم علیها الحیاه حاضراً والإبداع والابتکار لأجل الأهداف القادمه.

فالعصـرنه: هی کلّ ما یحتاجه الإنسان علی طریق التّطوّر والإبـداع والّتی یسـتطیع بواسـطتها أن یمارس حیاته، دون أن یرتبط بأیّه ثقافه أو تقالیـد. وقـد طُرحت للعصـرنه معانٍ متعدّده حسب المراحل الّتی مرّت بها، فتراوحت بین الهدفیّه فی مجال الفن والأدب إلی التّطوّر فی الفلسـفه، العلم، الاقتصادف المؤسّسات الاجتماعیّه الدینیّه والسّیاسـیّه، وسنرکّز علی بعض التّعاریف الجامعه نسبیّاً من بین التّعاریف المطروحه:

۱-۱. یقول مارشال برمان فی تعریفها: «هناک نوعاً من الوحـده التّناقضـیّه فی العصـرنه؛ فهی تدعونا إلی الحیاه والتّوالد المتجدّد، الطّراوه والتّحدیث والإبداع والانفصال عن الجمود والثّبات، وإلی الوحده والشّمولیّه والحداثه؛ بمعنی الاتّجاه نحو التّقدّم والتّطوّر والتّکامل والتّغییر والسّعی الدّائب للنّمو وتوسیع الطّموحات الإنسانیّه خارج الحدود الجغرافیّه والمحلّیّه والعِرقیّه من جههٍ، والدّعوه إلی الکفاح والمعارضه والتّغییر غیر المتناهی من جهه أخری».(۱) إنّ هذا التّضاد والدّیالکتیک یستتر فی ذات العصرنه.

۱-۲. وجاء فی تعریف آخر لها:

«إنّ معنی الکون عصـریّاً هو أن نجـدّد أوضاعنا وأحوالنا لیکون محیطنا واعداً بالمغامرات المختلفه والقوّه والسّرور، إنّ العصـرنه هی الّتی توحّد جمیع البشـر وحده تکون فی ذاتها أسـیره التّناقض، وحده غیر متّحده تؤدّی إلی التّمزّق والتّلوّن المسـتمرّ والنّضال ومضادّه الواقع المعاش والغموض والاضطراب والانفصال».(۲)

۱-۳. الآن تورن یقول أیضاً: «إنّ العصرنه بمثابه الرّابط الدائم والممتدّ فیما

۱- (۱) حسین علی نوذری، العصرنه والتّعصرن، ص ۲۱۴، «باللّغه الفارسیّه».

۲- (۲) بابک أحمدی، العصرنه والفکر الانتقادیّ، ص ۲۵۸، «باللّغه الفارسیّه».

بین العقل والعالِم العارف. وهی کذلک بمثابه اکتساب العقلانیّه والرّوح التّنویریّه، النّهضه، الإصلاحات، العلم والحرّیّه».(۱)

۲. أسس وجذور العصرنه

۲-۱. ذات إیمان راسخ بالإنسان علی صعید المعرفه والذّهنیّه.

۲-۲. الاعتقاد بالحرّیّه المطلقه للإنسان علی صعید الإراده والعمل.

۲-۳. تحاول تطویر إدراک الإنسان للزّمان والمکان، وتفتح له آفاقاً فکریّه غیر محدوده.

۲-۴. ذات نظره آلیّه للإنسان والعالم، وتنکر أصاله القیم المیتافیزیّه.

۲-۵. ذات اتّجاه شدید نحو العقلانیّه.

۲-۶. الحضاره المعاصره تتّصف بالتّجدّد والفعّالیّه الذاتیّه وتمتلک القدره علی الإبداع والتّوالد المستمرّ والدّائم.

ولذا «فالعصرنه ذاتاً تنحو نحو العالمیّه ولیس من خلال تأثیرها وانعکاسها العملیّ».(۲) إنّ هذا الامتیاز فی عدم المحدودیّه والشّمولیّه أکسبها بُعداً وصفه عالمیّه. ولأجل هذا، فالعصرنه من حیث جذور وعلل تکوّنها، ظاهره غربیّه، ولکن من حیث عملها وتأثیرها، فهی فی حاله شمولیّه وعولمه. وعلی هذا ینبغی النّظر فی الأدلّه المطروحه للعولمه العصرانیّه من خلال ممیّزات وأسس العصرنه.

۱. یستدلّ هیجل وبعض فلاسفه الغرب بأنّ الحضاره المعاصره تعدّ من أفضل الحضارات البشریّه؛ لاعتمادها العقلانیّه ومحوریّه العلم. ویؤیّد الکثیرون هیجل فی ذلک، ولکن تعرّضت فکرته هذه لنقد لاذع من عدّه لایستهان بها.

۱- (۱) حسین علی نوذری، العصرنه والتّعصرن، ص ۲۱۴.

۲- (۲) عطاهودشتیان، العصرنه والعولمه وإیران، ص ۱۷۰، «باللغه الفارسیه».

۲. إنّ جميع الفلاسفه المعاصرين الّذين جاؤوا بعد ديكارت يعتقدون اعتقاداً راسخاً بالعقلنه والأسلوب العلمیّ والإنسانیّ، وإنّ إطلاق يد الإنسان فی السّيطره علی الطّبيعه والعالم يعدّ أساسيّاً لانتشار العصرنه وتناميها، فمنذ عصر التّنوير، غدا العلم أسلوباً مناسباً وعاملاً أساسيّاً للتّقدّم البشریّ فی كافّه المجالات. وأصبح الأنموذج التّنمویّ الأمثل لجميع الأمم.

۳. لقد صوّر بعض المفكّرين وعلماء الاجتماع(۱) مراحل التّطوّر والعولمه العصرانيّه من خلال بعض الأمثله والشّواهد الخارجيّه وحدّدواً مدی ترابط هذه التغيّرات العالميّه بالعصرنه. فذكروا فی هذا المجال الثّوره الأولی أو النهضه العلميّه فی أوربا، وهی الّتی فسحت المجال للوصول إلی تقنيه الاتّصالات والاكتشافات المتطوّره، وإنشاء المؤسّسات الدّوليه والمنظّمات الإقليميّه والعالميّه، الاتّجاه العالمیّ فی السّياسه والاقتصاد... الخ، كلّ ذلك يعدّ من مكاسب الحضاره الغربيّه المعاصره.

والآن وبعد أن اتّضح تعريف العصرنه ومؤشّراتها وأسسها لنری هل أنّها فعلاً ذات صفه عالميّه أم لا؟ فی الجواب علی ذلك ينبغی القول: إنّ العصرنه ظاهره غربيّه وبعباره غينز فی كتابه (إفرازات العصرنه): إنّ العصرنه هی (مشروع غربیّ) وليست ظاهره غربيّه، ومن هنا ولكی نحدّد مكانه العصرنه، وهل أنّ منشأها غربیٌّ أم لا؟ وهل أنّ العولمه هی بمعنی انتشار وغلبه الثّقافه الغربيّه؛ لارتباطها وتبعيّتها لأسس العصرنه؟ وهل أنّ العصرنه وبسبب صفتها الشّموليّه من العقلانيّه والعلميّه لا تستطيع أن تبقی حبيسه فی نطاق عالمها الغربیّ؟ إنّ الّذی جذّر العالميّه وعدم المحدوديّه فی العصرنه هو «نوع نظره الإنسان المعاصر إلی العلم والإراده والعمل البشری».(۲)

۱- (۱) . Robertson and Gidens.

۲- (۲) المصدر السّابق، ص ۱۶۹.

وهل أنّ عدم محدوديّه الإراده والرغبه والتّفكّر لدى الإنسان الغربىّ المعاصر قد أطلقت يده فى العالم، وألهمته إدراكاً فكريّاً وعلماً وعملاً وحرّيّه غير محدوده؟ إنّ الجواب على هذا السؤال الأساسىّ يتطلّب معرفه مميّزات العصرنه ومؤشّراتها.

إنّ إحدى مميّزات العصرنه هو «عالميّتها وعدم محدوديّتها فى مجال الفكر والعمل». ويمكن القول عموماً: إنّ هناك عدّه مؤشّرات على عدم محدوديّه العصرنه فانتونى غينز الّذى يعدّ من أنصارها العنيدين يؤكّد من خلال دراسه وتحليل تأثير مؤسّسات العصر الحديث على المجتمعات الأخرى، أنّ العصرنه تمرّ فى حاله توسّع وعولمه. ويعتقد أنّ العولمه هى بمعنى ترويج المؤسّسات الغربيّه وأنّ العصرنه عالميّه بطبيعتها. وفى كيفيه تأثير العصرنه على الثّقافه، الاجتماع، الاقتصاد والسّياسه يذكر بأنّ لعمليّه عولمه العصرانيّه إفرازات وأخطار مع ما لها من مكاسب مذهله، ويرى بأنّ التّطوّرات الهائله والميول العولميّه هى من أسباب المؤسّسات الحديثه ومن مقتضيات العصرنه.

وكما أشرنا آنفاً فإنّ إحدى مميّزات العصرنه ومقتضياتها الطّبيعيّه هو شموليّتها وأيضاً انتشارها عالميّاً والّذى يعدّ من مستلزمات العلميّه والمحوريّه العقليّه للعصرنه. فالعصرنه إضافهً إلى مقتضاها العولمىّ، فهى تبتنى أيضاً على أصاله الفرد والتحرّريّه ثقافيّاً واقتصاديّاً. وكذا على الصّعيد الاجتماعىّ والنظام الحكومىّ وقضايا الحقوق والملكيّه، فهى ترتكز على التّقدّميّه، وأصاله الحرّيّه المطلقه فى كافّه شؤون الحياه. وعلى الصّعيد الفلسفىّ والدّينىّ تقول بفصل العلم عن الدّين، و الدنيا عن الدين وبحسب التعبير الشّائع فهى ذات اتّجاه علمانىّ. ونظراً للأسس النّظريّه للعصرنه وحقيقتها الخارجيّه والتّجربيّه فهى لا يمكنها المساومه والتّعاطى مع الثّقافات و التّقاليد الفكريّه والمذهبيّه

للمجتمعات الأخرى، وعلى أساس مقتضاها الشّموليّ وإبائها عن القبول بأيّ منع ومحدوديّه، فهى تتّجه صوب القضاء على الثّقافات الأخرى. ولأجل هذا فإنّ القبول بالعصرنه هو بمعنى القبول بأسسها وعناصرها الأوّليّه، وكذا مستلزماتها وتبعاتها الثّقافيّه والاقتصاديّه والاجتماعيّه. ولذا فإنّ العولمه الّتى ترتكز على أسس العصرنه أو العولمه العصرانيّه، لها مخاطر وتبعات العصرنه نفسها.

۳. نقد العصرنه

اشاره

لقد تعرّضت العصرنه كنظام فكرى وفلسفى لنقود وطعون متعدّده، فضلاً عن ما أصاب أسسها النّظريّه والمعرفيّه من إشكاليّه وأزمه، فمع كلّ ذلك هل يمكن التّحدّث عن عولمه العصرانيّه وهل من الممكن تحقيق المثال والطّراز العولمىّ؟

قبل الإجابه عن هذا السّؤال سنتعرّض فى البدايه إلى الأزمات والإشكاليّات الّتى تواجهها العولمه، ثم نعرج على تحليل إمكانيّه تعولم العصرنه.

أزمات العصرنه

۳-۱. نقد العقلانيّه الحديثه

تعدّ (العقلانيّه) من أهمّ مؤشّرات العصرنه، فلا يمكن نقد العصرنه دون التعرّض لنقد العقلانيّه. إنّ منتقدى العصرنه قد تعرّضوا لتقويم العقلانيّه الحديثه ومكانتها وفائدتها من زوايا مختلفه ومتعدّده. وقد اتّفق أغلبهم على أهمّيّه العقل العلمىّ والّذى يعدّ من أهم ادّعاءات المثقّفين. ففى رأى منظّرى العصرنه «أنّ نمو وتكامل العقل العلمىّ المكتسب يمكنه أن يفتح الطّريق نحو السّعاده البشريّه».(۱)

۱- (۱) بابک أحمدى، العصرنه و الفكر النقدىّ، ص ۵۲، «باللّغه الفارسيّه».

إنّ العقل العملیّ الّذی کان معرضاً لانتقاد هوسرل وشموتز، ما هو إلّا نتیجه المقابله فیما بین العقل الحدیث والطّبیعه، وبعباره أخری فیما بین الموضوع وشیئه الّذی کان یشکّل المسأله الأساسیّه لدیکارت، کانت، هیجل، نیتشه وآخرین. إنّ هذه المقابله قد برزت من خلال أنّ عالم العلم أو معرفتنا الدّنیویّه للطّبیعه ما هی إلّا صوره عن تصوّرات العالم والریاضیّ غالیلو. فتجاربنا الدّنیویّه المحدّده عن عالم الحیاه والّتی ترتبط بالأفق الذّهنیّ للإنسان، تتعرّض للإنکار من خلال واقعیّه الأهداف، وأنّ الشّیء الّذی لا یمکن خضوعه للتجربه ذاتیّاً، یمکن فهمه من خلال قبوله التّجزئه، وأنّ العلم وعلی خلاف التّصوّرات الفلسفیّه الحدیثه الّتی تقوم علی أساس النّظریّات، یرتکز علی أساس (الفلسفه العملیّه). فالعمل هو الأساس والأصل قبل أن توجد رؤیه کونیّه أو عالم شمولیّ. إنّ هذه المسأله توضّح دون شکّ القاعده الأساسیّه للعلم التجربیّ. ولکنّها فی الوقت ذاته تنکر ما یدّعیه العلم من إمکانیه جعل العلم أسلوباً عامّاً لجمیع المعارف البشریّه.

۳-۲. التّمرّد علی التّراث ومحو القداسه

إنّ إحدی نتائج عولمه العصرانیّه هو أنّ التّقالید والآداب والمؤسّسات الّتی علقت فی دوامه عقلنه العالم ستسیر باتّجاه التّمایز والتّضاد والنّزاع، ففی عملیّه عقلنه العالم بناءً علی نموذج العصرنه علی سبیل المثال یتوقّف تعریف وتحدید مکانه الإنسان وحرّیّته وفکره وعمله علی ما تراه العصرنه، وأنّ مستلزمات العصرنه تسلب بصوره ذاتیّه وآلیّه الصّفات الطّبیعیّه والتّحرّریّه من الإنسان. ففیما لو نزعت المجتمعات نحو الدّین وانتخبت الدّین بصوره اختیاریّه وبنت ثقافتها علی أساس الاتّجاه الدّینیّ، سیکون ذلک منافیاً لقواعد الحکومات العلمانیّه، وعلی هذا الأساس ستنفصم عری الارتباط فیما بین

الحکومه والـدّین. مع أنّ الأـنظمه الیبرالیه تـدّعی الاـعتراف بالحقوق والحرّیّات الاجتماعیّه والفکریّه، ولکنّها عملاً ترفض بعض الحرّیّات والاتّجاهات الدّینیّه. إذن فعملیّه العصرنه لیست هی بمعنی العلمانیّه علی وجه اللزوم.

فمـاکس ویبر یبیّن صـراحه: «أنّ انهیـار الرؤی الکونیّه الأصـالتیّه والتّقلیـدیّه وتعقلن الثّقـافه النّاشـئ عن ذلـک الانهیار یؤدّی إلی الخصـخصه الواسـعه للإیمان وممارسه الإنسان الأخلاق، الّتی غـدت باطنیّه، داخل وجـدانه فقط، وفی المراحل التّالیه تؤدّی هذه العقلانیّه المؤسَّسه إلی توسـیع اقتصادها الیبرالیّ المنظّم بشـکل متنامی. وشـیئاً فشـیئاً إلی تهمیش القیم الـدّینیّه. وأنّ عقلنه الثّقافه الغربیّه فی أحضـان العصـرنه ینتهی إلی وقوع الانفصال والتّمایز بین المجالات القیمیّه والّـذی لا یمکن إیجاد حلول له من خلال رؤیه عالمیّه دینیّه أرفع وأعلی».(۱)

ففی رأیه أنّ الأشخاص سیتعرّضون فی عملیه العقلانیّه الحدیثه ونظامها التّقنیّ المعقّد لجدال وجودیّ وأزمات معنویّه، ویتحوّلون إلی مجرّد هویّـات فردیّه والّـذی یعرّض الإنسان بـدوره إلی أزمه معنی وحرّیّه، وتتجاذب الفرد حینها أضـداد اجتماعیّه لا یمکن حلّ التشابک فیما بینها، ویعیش فی مستنقع حصار الثّقافه الجدیده الّتی یقودها زخم المعلومات والإعلام الحدیث.

ولأجـل هـذا یمکن القـول إنّ إحـدی نتائـج (عـولمه العصـرانیّه) هو التّماثـل والانسـجام الّـذی سـبق وأن أکّـد علیه غینز، ترویج المؤسّـسات الغربیّه فی کافّه أرجاء العالم، وتقطیع أوصال الثّقافات الأخری. وتکون العولمه فی هذه العملیّه الشّامله مرافقه للتّطوّر والتّغییر.

ومن ناحیه أخری أیضاً سـتعیش العصـرنه ذاتها فی دوامه النّزاع مع مسائل تنساق من الأفق الواسع للمکان والمسـتقبل باتّجاه حاله مضطربه» کلّ هذه

۱- (۱) یورغن هوبرماس، العولمه ومستقبل الدیمقراطیّه، ص ۱۱۵، «التّرجمه الفارسیّه».

النّزاعات والإشكاليّات ما هى إلّا نتيجه للتّفكيك والتّمايز فى عالم الحياه المتزامن مع التّمرّد على سننها. «فالعصرنه من خلال الرؤيه الدّفعيّه تؤدّى إلى المحو التّدريجىّ للأخلاق والحياه الاجتماعيّه».(۱) فقبل هذه المرحله كان الدّين يؤدّى دوراً انسجاميّاً ووحدويّاً أخلاقيّاً فى الحياه الاجتماعيّه؛ «ولكنّ التّنوير والانفتاح الفكرى أدّى إلى تزلزل أسس الحياه الدّينيه بكلّ ما تعنيه هذه الكلمه، إنّ هذا الواقع يدلّل على أنّ أصاله الذّهنيّه لا تستطيع، ومن خلال الاستفاده من العقل أن تعيد للدّين تلك القوّه الوحدويّه الّتى كان يتمتّع بها».(۲) فعقلنه الثّقافه الغربيّه يؤدّى إلى التّفكيك والتّمايز على صعيد القيم.

ماكس وبر كهيجل يرى أنّ تيار العصرنه يمكن اعتباره تحوّلاً فى الرؤى الكونيه للشّموليّه الدّينيّه، ويرى أنّ إنجازات الدّين لا تتعدّى حدود هذه المرحله. فهو يعدّ عقلنه الثّقافه بمعنى الخصخصه الواسعه للإيمان وعدم تعدّى الأخلاق الباطن.

وبما أنّه يرى عصرانيّته فى تضادّ مع التّقاليد، فقد وجد ضالّته فى العقل لينشر عليه غسيله، ومن هنا فهو يختار العصرنه فى فضاء الانفتاح الفكرىّ أنموذجاً له وفق معاييره الخاصّه. فيستخرج سلوكياته وتقاليده من وجداته ويقذف بها خارجاً ليبقى مقيّداً ومخلصاً لمرجعيّه العقل. إنّ التّنوير العصرانىّ يعتبر الآداب والأعراف والتّقاليد لا قيمه لها، وعلى هذا الأساس توصّل هيجل إلى أنّ: «عقل العصرنه هو وحده الّذى يمكّن الإنسان من المعرفه بنفسه ويفكّه من أسر الطّبيعه والتّقاليد. ومن هذه الجهه كان الفهم الذّاتىّ للعصرنه مرتبطاً بالمعرفه الذّاتيّه والاتّجاه الانتقادى لجميع التّقاليد والأسس الأخلاقيّه وكل ما يقيّد إراده وحرّيّه الإنسان.

۱- (۱) المصدر نفسه، ص ۱۱۲.

۲- (۲) المصدر السّابق، ص ۱۱۴.

ومن هنا أيضاً تعرّض الفلاسفه لدراسه وتحليل العصرنه؛ وذلک من خلال أفق نقد العقل. إنّ هذا التّصديق الذّاتیّ لأساسیّه العقل الحديث والّذی ابتدأ منذ عهد كانت؛ يستطيع إبداع ظروف إنتاج علم طبيعیّ خالص وحقيقیّ، بإمكانه انتزاع العقائد من الأفق الذّهنیّ للإنسان وإلقائها جانباً، إنّ كانت، وبنقده ملكه التّمييز والعقل العمليّ وفصل نطاقها عن العقل النّظریّ، وكذا فصل الحقيقه عن العداله، والذّوق السّليم والوجدان الأخلاقیّ عن التّفكر العقلانیّ، بنی سدّاً عالياً واحتفر خندقاً عميقاً فيما بين العلم والدّين والأخلاق، كان من نتيجته هذا التّمايز المطروح والاعتقاد بالمحوريّه الذّاتيّه للعقل. وهذا هو الّذی تجسّد اليوم بشكل أزمه العلم والمعرفه فی أعمق المعارف البشريّه؛ معرفه الوجود، معرفه الإنسان، اللغه والتّفاهم، وكذا الأزمه فی مبدأ العلم. إنّ هذه الأزمات لم تكن إلّا نتيجه للمحو التّدريجیّ للحياه الأخلاقيّه والإلهامات الدّينيّه من الحياه الاجتماعيّه فی عصر العصرنه.

وبعباره الفيلسوف وعالم الاجتماع المعاصر، هوبرماس «كان للدّين باعتباره القاعده الأساسيّه للانسجام والوحده الأخلاقيّه فی الحياه الاجتماعيّه دور مؤثّر، ولكن جاء العقل اليوم ليمسك بزمام المبادره ويلعب مثل هذا الدّور، ولكن من جهه أخرى انكشفت للعيان محدوديّه هذا العقل الآلیّ، حيث لا يمكن بعد الآن الاعتماد عليه كمسند لمرحله الاضطراب الفاحش والمعكوس باتّجاه مستقبل يكون فيه التّعطّش للإبداع لا حدّ له».(۱)

۳-۳. الأزمه المعرفيّه للعصرنه

اشاره

إنّ إحدی الإشكالات الأخرى الّتی تواجهها العصرنه، الأزمه المعرفيّه و

۱- (۱) المصدر السّابق، ص ۱۹۵.

التّضادّ الموجود فی أسس علمها المعرفیّ. إنّ العالم المعاصر قد تأثّر بعصر التّنویر و اتّخذ اتّجاهاً علمیّاً و تجربیّاً، و ابتدأ من خلال إداره ظهره لعالم ما قبل الحداثه الّذی کان یعتمد الخرافه والأوهام الممزوجه بالسّحر والجهل. ووضعت المذهب والمیتافیزیا فی أزمه حقیقیّه من خلال اعتمادها محوریّه العقل والعلم، وخاضت جدالاً وحواراً فلسفیّاً ومعرفیّاً عسیراً حتی نالت استقلالها عن الدّین والفلسفه المیتافیزیّه، وأوجدت الأسس الفکریّه للعقلانیّه الحداثیّه، وقد شهد العالم أجمع لموفّقیّه ذلک التفکّر العقلیّ، حیث غطّی جمیع العالم وأقبلت جمیع المجتمعات علی الرأسمالیّه الغربیّه باعتبارها مثالاً للتّفکّر العقلانیّ.

لقد نال العلم نجاحاً باهراً باعتباره معیاراً لتقویم الفکر البشریّ، وظهر بعنوان أیدیولوجیّه مقتدره وغدا بمرور الزّمن إحدی القوی المعنویّه الحاکمه زمانیّاً. وقد اکتسب هذا العلم الجدید مرجعیّه من خلال الاستدلال التّجربیّ والعلمیّ الّذی لم یعد معه للأصول الأخلاقیّه والقیم الإنسانیّه مکان یُذکر.

لقد امتزج التّصدیق العقلیّ مع التأویل الدّینیّ للعالم والنّظام العالمیّ خلال القرون الوسطی، وکان إدراک الإنسان للعالم والإنسان یصطبغ وبکثافه باللون الدّینیّ، ثم انخفضت حدّه تلک النّظره بعد النّهضه وفقدت نفوذها الغابر. وابتعد الفلاسفه فی بحوثهم عن معرفه العالم ومعرفه الإنسان عن النّظره الدّینیّه وأوضحوا رؤیتهم الکونیّه وفسّروها من خلال المعاییر الفیزیاویّه والرّیاضیّه والعملیّه. وفسّروا العالم علی أساس المعاییر الإنسانیّه الّتی اخترعها البشر أنفسهم. وعمّموا فی نهایه الأمر هذا المثال العالمیّ لتجاربهم العلمیّه تلک علی العالم قاطبه. فمنذ ذلک الوقت صُوّر عالم الحیاه کعالم لا یمکن معرفته إلّا من خلال البیان العلمیّ والرّیاضیّ. إنّ أزمه العلم قد ابتدأت فی الغرب منذ أن عطفت المکاسب العلمیّه عین الإنسان إلی النّظر إلی القوانین

الرّياضيّه والفيزياويّه للطّبيعه عن النّظر إلى عالم الحياه الواقعيّه. إنّ هذه الأزمه فى الواقع هى أزمه معنويّه أنكرت فيها الجوانب المعنويّه والإنسانيّه والذّهنيّه. وأنّ أىّ تعامل وعلاقه مع العالم لا يعدّ علماً ما لم تكن مبتنيه على التّجربه. ففى رأى شوتز: «نحن نعيش فى عالم نلعب فيه أدواراً متعدّده وإنّ عوالمنا الحياتيّه كثيره ومتعدّده. فهناك عالم التّصوّرات والأحلام الشّخصيّه، عالم التّجارب الفنيّه، عالم النّظريّات... الخ ولقد اعتدنا ذلك كثيراً».(۱)

إنّ روّاد ومنظّروا العصرنه يبحثون ويفتشون عن حتميّات لتحلّ محلّ اليقينات الأزليّه والسّنن الميتافيزيّه؛ ولكنّ هذا الغطاء يتنافى وأسس الشّك فى العصرنه، وعلى هذا الأساس تواجه العصرنه أزمه على صعيد المعرفه وكشف الواقعيّات؛ لأنّ كلّ ادعاء معرفى فى إطار العصرنه هو فى الحقيقه بُعد عن الواقع (جهل). مع أنّ هناك اختلافاً فى هذا البعد عن الواقع فيما بين العلوم الطّبيعيّه والعلوم الاجتماعيّه، ففى العلوم الطبيعيّه يكون البعد عن الواقع من جهه أنّ العلم هو أسلوب محض، وأنّ عامّه صور المعرفه قابله للنّفى والإبطال أساساً.

إنّ هذه الأزمات العلميّه والواقعيّه الشّامله للعصرنه، دعت بعض المفكّرين الغربيّين إلى الإشاره إلى موت العصرنه، من خلال نقدهم لها، والإعلان عن عدم صلاحيّتها وانتاجيّتها.

إنّ إحدى جوانب (أزمه العلم) عدم انسجام التّنميه التّقنيّه مع حاجات الحياه العالميّه. فهوسرل أشار فى كتابه (التجربه والحكم) إلى الجوانب المدمّره لهدفيه العلم فى عالم التجربه والحياه، فيقول: «إنّ العلم الحديث ينطلق من العالم الّذى اصطنعه هو، وليس من العالم الواقعىّ».(۲)

۱- (۱) بابک أحمدى: الحداثه والفكر الانتقادى.

۲- (۲) هوسرل؛ التجربه والحكم.

ومع تحويل الإنسان إلى موضوع ذهنىّ فى الفلسفه الحديثه، اتّسعت الفاصله فيما بين الموجود والوجود. فلم يعد الموضوع الذّهنىّ متأثّراً بتلك الدّرجه ليعكس الواقعيّات الخارجيّه وإنّما الإنسان هو الّذى أصبح المركز والمحور الأساسىّ للوجود. ومن هنا فقد غيّر معايير الواقعيّه والمعرفه. إنّ هناك أشياءً فى عالم الطّبيعه والخارج لايمكن إدراكها إلّا بحلولها كمصاديق، فتتبلور من خلال ارتباطها بالموضوع. يعنى حدوث تقابل ثنائىّ فيما بين الموضوع والمصداق، ولا يكون للعالم معنى إلّا بمعرفه أو استخلاص موضوعه. ومن هنا احتلّ الإنسان موضع قلب العالم والمحور الأساسىّ له، وبهذا تثبت النّهضه الإنسانيّه فى هذه الفلسفه الحديثه، وغدت الإنسانيّه أيديولوجيّه وحقيقه للعصر نه طالما كانت ظاهره وجوديّاً وزمانيّاً والّتى انقلبت الآن إلى شىء خفىَ على الإنسان اكتشافه. وبعباره هايدغر إنّ الإنسان كان محوريّاً فى مرحله الكمال الميتافيزىّ الحديث، و قد اتّضح ذلك بشكل جيّد، إلى أن يقول: «إنّ غايه القدره هو إمكانيّه إدراك الوجود، وإنّ النّفس الإنسانيّه هى الموضوع الأساسىّ لإدراك الوجود».(۱)

لقد حوّل فلاسفه الحداثه الحقيّقه الواضحه إلى شىء مبهم وضائع، فيأتى الإنسان ليكتشفها، بل ليصنعها، وصار العالم صوره تنعكس فى عينيه. ففى الميتافيزيّه الحديثه يحلّ الإنسان محلّ الحقيقه ويغدو الإنسان محوراً ومركزاً للعالم وتوضع الحقيقه واللغه فى خدمه هذا الموضوع. ومن هنا ينبغى للحقيقه أن تتعالى؛ أى أن تُصبح إنسانيّه ليفهمها الإنسان، فلا تعبّر الفلسفه فى هذه المرحله عن الحقيقه؛ وإنّما مجرّد خبر يُنزلها العقل الإنسانىّ منزله الواقع، ومن هنا كانت المسأله الأساسيّه فى الفلسفه الانتقاديّه لكانت عبارةً عن؛ ما هو الإنسان؟

۱- (۱) مارتين هايدغر، كسوف الله.

نقد وتحلیل

۱. إنّ الاعتماد المفرط علی العلم والمعرفه التّجربیّه کأساس للحکم وإداره الظّهر للقیم المیتافیزیّه والأخلاقیّه لم یمکّن الإنسان المعاصر من الوصول إلی ساحل النّجاه. وبحسب تعبیر بیتر سکوت: «إنّ النّظام الّذی صنع القنبله الذّریّه، انهزم فی صنع المقولات الأخلاقیّه الّتی تستطیع جعل مثل هذا الفکر متحضّراً ویصبّ فی خدمه الإنسان».(۱)

۲. إنّ الأسالیب العلمیّه والتّجربیّه و الإثباتیّه الّتی تُستخدم للإجابه وبیان ومعرفه الظّواهر، والطّرق التّفسیریّه الحدیثه والمقولات العلمیّه والّتی تُستخدم کأدوات تکمیلیه للمساعده فی البحوث النّظریّه والتّطبیقیّه، تتّبع وتتأثّر بالأزمه الموجوده فی علم معرفه العصرنه. إنّ القائلین بهذه النّظریّه یستدلّون بأنّ الأسالیب التّجربیّه والعقلیّه للمرحله المعاصره لم تستطع ولا تستطیع حلّ النزاعات الفکریّه للإنسانیّه. إنّ المقولات والنّماذج السّائده عجزت عن الکشف عن العلاقه فیما بین الحقیقه والواقعیّه.(۲)

۳-۴. أزمه العدمیّه (النهلستیّه)

إنّ (العدمیّه) هی بمعنی الإنکار المطلق لأیّه قیمه أخلاقیّه، فهی فی واقع الأمر نتیجه أزمهٍ معرفیّه وجودیّه (انثولوجیّه) وأخلاقیّه. فهی تضع العقل البشری تدریجیّاً موضع الوحی الإلهیّ وفی المراحل اللاحقه تستخدم هذا العقل النّفعیّ والأداتیّ فی خدمه المصالح والغرائز البشریّه. إنّ العدمیّه تعدّ أزمه عالمیّه تتزعزع من خلالها فلسفه الأخلاق ولا یُعترف فیها بأیّ اتّجاه أخلاقیّ

۱- (۱) سکوت، بیتر: الثّقافه والمجتمع، ۱۹۸۳، ص ۲۸۴، «التّرجمه الفارسیّه».

۲- (۲) الوضعیّه وتؤکّد علی التّفکیک فیما بین القیم والواقعیّه، ولکن ما بعد الحداثه تشکّک فی کلّ مشروع العلم وتنکر أیّه معرفه قطعیّه.

ينبع من غير الإنسان. وبتعبير دوستويفسكى «كلّ شىء يعدّ مباحاً للإنسان».(۱) ويشير نيتشه إلى الوجه الثقافىّ للعدميّه ويحلّل مكانه الدّين والأخلاق فى الحضاره الغربيّه بأسلوب معرفىّ بيّن:

إنّ العدميّه هى النّواه المقتدره للتّاريخ الميتافيزىّ الغربىّ، وفى حقيقه الأمر (منطقه الدّاخلىّ)، لأنّها تعتبر الفكر منبع المعرفه والقيم، فالقيم العليا هى من إبداع القدره البشريّه، والميتافيزيه تنجب القيم المتعاليه، ولكن العصرنه تتّجه صوب إبطال القيم العليا والميتافيزيّه(۲) وعلى أيّه حال فالعالم الحديث، عالم تعدّ العدميّه الوجه الباطن له، حيث تدار الدّنيا فيه دون تدخّل أو حضور إلهىّ.

لقد تزامنت النّهضه العلميّه الأوربيّه فى القرن السّابع عشر الميلادىّ مع وقوف العلم والفلسفه فى وجه الدّين، وكانت تعمل من أجل إنهاء السّيطره الفكريّه والسّياسيّه والمذهبيّه للكنيسه والدّيانه المسيحيّه. وقد أُرغم العلم الغربىّ على اتّخاذ استراتيجيّه «أنّ الطّبيعه لها واقع بمعزل عن وجود الله. حيث يمكن دراسه وقراءه واقعيّاتها وبصوره حتميّه ونهائيّه إلى أيّه مرتبه أعلى».(۳)

إنّ العلم الحديث ونتيجه للمكاسب الهائله الّتى حصدها وضع الأساليب المتّبعه لقراءه الفلسفه والدّين تحت شعاع تأثيره، وعمّم الجوانب النقديّه والتّحليليّه العلميّه على نطاق الدّين، التّاريخ، الفلسفه، المجتمع، الحكومه وجميع أسس الحياه البشريّه؛ ولكنّ منهج أصاله العلم هذا لم يقترح أيّه معرفه جديّه أخرى تستطيع ملأ الفراغ الّذى يحدثه الدّين. «ومنذ ظهور الفكر الّذى يفصل بين العلم والدّين ومذهب أصاله الإنسان فى الغرب أصبحت محوريّه الإنسان معياراً لكلّ شىء واستطاع الإنسان تسخير القوّه العظيمه للعلم

۱- (۱) مجلّه كيان، السنّه الثّالثه، العدد ۱۱ ص ۲۱.

۲- (۲) المصدر نفسه.

۳- (۳) ر. ك، فصليّه قبسات، (العلم و الدّين حسب رؤيه الشهيد مطهّرى)، ص ۴۱.

والتّقنيه وتحويل التّطوّر إلى مذهب حديث يمكنه جلب السعاده لعامّه البشريّه».(۱)

«إنّ الإنسان كان يطمح فى تسخير العلم للطّبيعه وتحسين حياته، وإنهاء آلامه وتوفير احتياجاته الأساسيّه».(۲) و لكنّه ألقاه فى دوّامه الصّواريخ الذريّه، الأسلحه البايلوجيّه، مشاكل البيئه، الأزمات الاجتماعيّه الفكريّه والأخلاقيّه والشعور بالفراغ المعنوىّ، فقدان الأمن، القلق، العبث والحيره.(۳) يدّعى هيدغر أنّ (العدميه) هى النّتيجه المنطقيه للتّقنيه الحديثه، وأنّ الانعكاس العدمىّ للفكر التّقنى يؤدّى دون شكّ إلى الإبطال التّدريجىّ لكافّه العقائد الشرقيّه.

إنّ الفكر التّقنى الغربىّ يرتكز على التشغيل الذاتىّ (الأتمته) والتّكاثر الذّاتىّ، الجداره العالميّه، الاستقلاليّه والتّفرّد، والتّقدّم بحركته التّنازليّه. وإذا أردنا تعداد ومميّزات مسار الفكر الغربىّ ينبغى لنا ذكر ما وصفه به عالم الاجتماع الفرنسىّ جاك الوى، فهو يصفه بما يلى(۴):

تقنيه الفكر: إنّ الانسلاخ عن البصيره الشّهوديّه باتّجاه الفكر التّقنى هو عمليّه تحجيم الطّبيعه بشيئيّه الأشياء.

المادّيّه: إنّ الانسلاخ عن الصور الجوهريّه باتّجاه المفهوم الميكانيكىّ يسبب انتزاع جميع الكيفيّات الرّمزيّه والصّفات السّاحره من الطّبيعه.

الغرائزيّه: إنّ الانسلاخ عن الجوهر الرّوحانىّ باتّجاه المسوغات النفسانيّه هو انتزاع لجميع الصّفات الرّبانيّه و الملكوتيّه من الإنسان.

محو الأسطوره: إنّ الانسلاخ عن الغايه الفكريّه، المعاد والعوده إلى تاريخ الوثنيّه والدّهريّه هو خلو من أىّ معنى عدائىّ.

۱- (۱) المصدر نفسه، ص ۴۴.

۲- (۲) اغناسورامونيه، هل يسير العالم نحو الفوضى؟، ص ۱۴۳، «التّرجمه الفارسيّه لبريجر شاه سوند».

۳- (۳) المصدر نفسه، ص ۴۵.

۴- (۴) نقلاً عن: مهرزاد بروجردى: التنويريّون الإيرانيّون فى الغرب.

۳-۵. الأزمات الثّقافيّه والأخلاقيّه

إنّ الإفراز الآخر لعولمه العصرانيّه، هو ظهور الأزمه الثّقافيّه وفقدان التّوازن فی أسس النمو الثّقافیّ، الأخلاقیّ والإنسانیّ، موازاه مع النّمو الاقتصادیّ والمظاهر المادّیّه للحضاره الغربیّه، والّذی تسبّب فی رواج اللادینیّه، الفراغ المعنویّ وفقد القیم الإنسانیّه. إنّ انتشار المیل نحو التجدّد جرّ إلی تشویش نماذج الحیاه الاجتماعیّه وتقویض النّظام الأسریّ وفقدان الرّوابط العاطفیّه و الأخلاقیّه وابتعاد الفرد عن أصالته العِرقیّه. وبعباره أخری انسلاخ إنسان المجتمع الغربیّ عن تقالیده المذهبیّه، الأسریّه والاجتماعیّه وإحساسه بالعجز والیأس.(۱)

مع أنّه ینبغی عدم الغفله عن أنّ القیم الدّینیّه ما زالت تنبض بالحیاه فی أشدّ المجتمعات الغربیّه حداثه، وعلی رغم وقوف الحکومات وبعض طوائف المجتمع بوجه الدّین، ولکنّهم لم یستطیعوا إلی الآن من إبعاده عن واقع الحیاه الاجتماعیّه. إنّ العقلنه الیوم سلبت من الإنسان القدره علی مواجهه المبادئ والأفکار غیر الطّبیعیّه، ومع أنّه تحرّر من قیود الخرافات إلّا أنّه علقِ فی شبّاک السّقوط الأخلاقیّ، العبث، الحیره وفقد القیم الدّینیّه والمعنویّه.

ومن الإجراءات المفجعه للحیاه البشریّه الیوم والّتی کان من نتیجتها الإعراض عن الدّین، التفکیک فیما بین الأرکان الثّلاثه المهمّه لمقوّمات الحیاه البشریّه، وهی فصل العلم عن الدّین والفنّ والّتی تعدّ المظاهر التّصاهریّه الثّلاثه للفطره، ومن خصائص الوجود الإنسانیّ، هذه الفاجعه الّتی تسبّبت فی اتّخاذ کلّ من الأصهار الثّلاثه طریقاً منفصلاً عن الآخر، کان من نتیجته تقولب العلم فی قالب فرانسیس بیکون الجاف، والّذی یتقوقع داخل إطار الظّواهر والعلاقه القائمه فیما بینها، وأعرض فیه الإنسان عن السّعی لکشف الحقیقه من خلال دخوله

۱- (۱) السیّد حسن نصر، الشّاب المسلم والعالم المتجدّد، ص ۲۹۹.

تحت طائله الرّوح الحاكمه للبرجوازيّه الغربيّه الجديده، وقيّد ذهنه فی مجال كسب القوّه ونيل السّلطه، والّذی أدّی إلی عدم التفكير أو الاهتمام بمسؤولياته المهمّه (كشف الحقيقه)، والوصول إلی (الإيمان)، وسخّر نفسه لخدمه برجوازيّه ما بعد الماديّه وغدا آله فی يد (السّلطه) و (الثروه).

إنّ العلاقه بين العلم الحديث والسّلطه أدّی إلی قلق بعض العلماء بخصوص المسؤوليّه الأخلاقيّه؛ لأنّ اختراعاتهم واكتشافاتهم أكسبت أصحاب السّلطه إمكانيّه الاستفاده من الأسلحه العسكريّه المختلفه (من القنابل الحارقه وحتی القنابل الهيدروجينيّه والمكروبيّه) لأجل الدّمار الشّامل.

أضف إلی ذلك، أنّ الأساليب العلميّه ذات البواعث السّياسيّه والاقتصاديّه تؤدّی إلی القضاء علی المصادر الحياتيّه واختلال التّوازن البيئوىّ للطّبيعه والّذی يؤدّی بدوره إلی تعرّض الحياه إلی الخطر والتّهديد. و هنا يُطرح السّؤال التّالی، وهو من المسؤول عن هذه الأوضاع المأساويّه الّتی يواجهها الإنسان فی عالمنا المتجدّد المعاصر هذا؟ إنّ العلماء وإلی وقت قريب كانوا يعتقدون بأنّهم يعملون من أجل البحث والكشف عن العلم وأنّهم غير مسؤولين عن طبيعه الاستفاده من اختراعاتهم واكتشافاتهم. إنّ هذه الرّؤيه جاءت من خلال التّفريق فيما بين العلم والأخلاق، والّتی كانت الميزه الأساسيّه للعلم الحديث منذ بدء تأسيسه؛ ولكنّ المسأله غدت اليوم من المسائل المهمّه وهاجساً يقضّ مضاجع المجتمع المعاصر. «إضافه إلی التّطوّرات الّتی طالت الفيزياء الحديثه ونظريّه الكميّه الميكانيكيّه (الغوانتوميّه) والنّظريّه النّسبيّه فی القرن العشرين، حدثت تحوّلات مهمّه فی أسس معرفه العالم والرّؤيه الكونيّه أدّت إلی أن يتابع مجموعه من العلماء مطالعه القضايا الفلسفيّه والتّعاليم الدّينيّه والعرفانيّه».(۱)

۱- (۱) السّيد حسن نصر، الشّاب المسلم والعالم المتجدّد، ص ۳۰۱.

۳-۶. الأزمات الاجتماعيّه للعالم المتقدّم (العصرنه)

۳-۶-۱. الأزمات الاجتماعيّه

تعدّ أزمه العصرنه حاليّاً من أحدث المقولات المطروحه بين المنظّرين والسّياسيّين، ففى هذه المرحله الّتى نمرّ بها نواجه أزمه التّجدّد، المعنويّه، العلم والتّقنيه، أزمه البيئه، الأخلاق، الدّيمقراطيّه وكذلك أزمه الأمن العالمىّ «إلى وقت ما قبل القرن العشرين كان لفكره الارتقاء والتّقدّم صدى واسع وإثاره جذّابه، وأنّ الّذين لمسوا المكاسب الأوّليّه للحضاره الجديده تكهّنوا بمستقبل زاخر بالسّعاده والتّقدّم. ولكن مع دخولنا فى القرن العشرين وبروز بعض النّتائج وإفرازات الحضاره الحديثه، ظهرت إلى العلن الأزمات الّتى تعانيها. رينيه غنون النّاقد الفرنسىّ الشّهير، أشار إلى بعض إفرازات الحضاره الجديده وانسداداتها فى كتابه (أزمه العالم المتقدّم) فيكتب قائلاً: «هل الّذين جعلوا النّعمه والرفاه حلماً لهم وعاشوا فى بحبوحه الرّخاء، جرّاء التّقدّم والتّطوّر، هم أكثر سعاده من أبناء العهد البائد؟ فاليوم تتوفّر وسائل اتّصال أسرع وإمكانات أوسع، ولكنّ فقد التّوازن والنّظام وازدياد الإحساس بالحاجه، جعلهم فى معرض فقدان ذلك، وزعزع أمنهم أكثر، فهدف الحضاره الجديده عباره عن: ازدياد الحاجات المصطنعه، فالحضاره الجديده قبل أن تتمكّن من إرضاء الآخرين بها، تسبّبت فى أن تجعلهم محتاجين».(۱)

۳-۶-۲. فقدان الانسجام وتخلخل العلائق الاجتماعيه

إنّ إحدى الأزمات الأخرى الّتى جرّت العصرنه إلى تحدّ خطير، هو

۱- (۱) رينيه غنون، أزمه العالم المتقدّم، ص ۱۴۴.

تعقّد العلاقات الاجتماعيه. إنّ هذه المسأله لم تكن إلّا نتيجةً طبيعيّه للتّفريق والتّمايز الّذى خلعته على عالم الحياه والمتزامن مع الإعراض عن سننه، حيث غدا ذلك معقّداً ومحيّراً جدّاً. إنّ العصرنه ومن خلال نظرتها الدّفعيّه تعدّ (محواً تدريجيّاً) للحياه الأخلاقيّه وأنجبت وجهاً آخر للطّبيعه الاجتماعيّه المتماثله والّتى أدّت إلى الانحلال والتّمزّق الأخلاقىّ والقيمىّ الدّينىّ. ولقد ابتدأت قمّه هذه الأزمه عندما شمّر كانت عن ساعديه لنقد العقل، وتفريقه فيما بين الأطر العقليّه للإنسان ورسم خريطه تلازم افتراق العقل الباطنىّ عن المجالات الثّقافيّه للعلم والأخلاق والفن. ثم جاء هيجل ليكمل هذا المشروع، فاعتبر ثقافه التّنوير ندّا للّدّين، وأنّ الدّين الّذى كان يمثّل قاعده الانسجام والوحده الأخلاقيّه للعلاقات الاجتماعيّه، اختلّ واضطرب فى مرحله تنوير الحياه الدينيّه. ولم يستطع العقل الحديث أن يحلّ محلّ الدّين فى لعب دور القوّه الوحدويّه.(۱)

۳-۷. أزمه الهويّه

والإفراز الآخر لعولمه العصرانيّه وعمليه التّغيير فى الأسس الثقافيّه والاجتماعيّه للمجتمعات، هو مسأله (أزمه الهويّه). فالهويّه هى نوع من العلاقه والتعامل فيما بين الفرد والمجتمع، وتعدّ جسراً يصل فيما بين الواقعيّات الوجوديّه للأفراد والعالم الثّقافىّ الخارجىّ، وفيما بين العالم الشّخصىّ و العالم الاجتماعىّ، والّذى تتشخّص فيه هويّه الإنسان من خلال علاقته بالمجتمع. إنّ إدراك هذا الجانب من الهويّه الثّقافيّه وكيفيّه تطوّرها من خلال العولمه هو أحد صور أزمه المجتمعات والثّقافات. إنّ

۱- (۱) هوبرماس، العولمه و مستقبل الديمقراطيه، ص ۱۹۳.

العولمه تؤثّر على الهويّات وتنسحب على شكل نزاع فى علاقه الفرد بمجتمعه والمجتمع بثقافته.

«إنّ أزمه الهويّه ما هى إلّا ثمره ابتعاد أفراد المجتمع الأمميّ والدّينيّ عن ثقافاتهم وبالنتيجه فقدهم حدودهم ومكانتهم الواقعيّه».(۱) إنّ الوظائف الأوّليّه لأيّه ثقافه أو حضاره أو دين هو تعيين هويّه الفرد وتحديد علاقته مع أفراد مجتمعه، إنّ الإنسان يستطيع العيش بهويّته وأن تتفتّح من خلالها قابليّاته وأخلاقيّاته وإبداعاته.

إنّ العصرنه ومن خلال نفوذها فى المجتمعات وتأثيرها على الثّقافات عرّضتها لأزمه هويّه و «إنّ الشعور بالتّبعيّه والارتباط بهذه العمليّه بسبب العولمه العصرانيّه، علّامه على هذه الأزمه. فنحن قد أصبحنا عالميّون شئنا أم أبينا؛ لأنّا لسنا بمعزل عن تأثيرات العولمه وأنّ ارتباطنا التّدريجيّ بهذه العمليّه يقوم على أساس ظهور حاجات جديده داخليّه وخارجيّه».(۲)

إنّ العولمه واقع لايمكن إنكاره أو كتمانه أو السّيطره عليه، والقبول بها أمر لايمكن تلافيه. ومن جهه أخرى إنّ أيّه عوده إلى التّقاليد والآداب بشكل ثابت وبصوره حركه مؤسّساتيه اجتماعيّه هو أمر غير ممكن أيضاً، ولكن هذا لا يعنى أنّ العولمه تؤدّى إلى الإبطال المطلق للتّقاليد والآداب، وإنّما إنجازاتها التّاريخيّه عرّضتها للاختلال والضّعف. ومن هنا تأتى أزمه الهويّه لتكون من المسائل المهمّه للمجتمعات البشريّه وثقافاتها فى عمليّه العولمه، والّتى ينبغى التّفكير جدّيّاً فى إيجاد حلول جذريّه لهذه المعضله المهمّه. إنّ توجيه الأفكار، الفعّاليات والأهداف الحياتيّه داخل إحدى الثّقافات يرتبط بهويّه الإنسان فى

۱- (۱) بول تيليخ، مستقبل الأديان، ص ۱. «التّرجمه الفارسيّه».

۲- (۲) عطاهو دشتيان، العصرنه و العولمه وإيران، ص ۱۷۹.

المجتمع وإنّ العناصر المهمّه، كالعلم، القانون، الوظائف، الأخلاق، العلاقات الاجتماعيّه، مبادئ المجتمع، الأهداف ومستقبل أىّ شعب يرتكز على وجود هذه الهويّه. إنّ هويّه أيّه طائفه ومجتمع هى عباره عن تجلٍّ لطبيعه الحياه الإنسانيّه. إنّ تحطيم هويّه الفرد والأحاسيس المتعلّقه به يعنى عدم الاعتقاد بأىّ حدّ لوجوده، و إنّ عدم القبول بحدوده الإنسانيّه يعدّ بمثابه الارتقاء بذاته نحو رتبه الذّات المطلقه أى (الألوهيّه)، إنّ مثل هذا التّصوّر حول الإنسان يؤدّى به إلى العجب والكبر وتدمير باقى أفراد البشر والحياه الإنسانيّه. إنّ نظره الإنسان الغربىّ هذه نحو هويّته والّتى تمثله كموجود إلهى غير مقيّد والموجود الأفضل، تُلقى به فى أتون اللاهويّه والحيره والدّهشه، هذا الاعتقاد بأصاله الإنسان ومحوريّته هو الّذى ارتكزت عليه مدارس عدّه كالإنسانيّه(۱) والوجوديّه والذرائعيّه (البراغماتيّه)، إنّ هذه الأزمه الّتى عصفت بالإنسان الغربىّ وجعلته يتخبّط فيها تعود جذورها إلى الاتّجاه الفلسفىّ الإنسانىّ.

إنّ المسأله الّتى ينبغى الوقوف عندها فى هذا المجال، هى أنّ الوجود هل هو ذلك الّذى توصّل إليه عقل سارتر العيش لأجل الذات و فيجب «على الإنسان اجتناب البحث عن الله وأن ينظر إلى العالم دون تفكير بالله. ويعتقد بأنّ العالم ليس أمراً مقدّراً وإنّما يتبلور حسب ما تجود به أيدينا»،(۲) وإنّ موجوديّتنا هى الّتى تقدّر وجودنا وبعباره أخرى نحن غير تبع للعالم وإنّما هو ذلك العالم تابع لنا.

۱- (۱) فلسفه تؤكّد على قيمه الإنسان وقدرته على تحقيق الذات من طريق العقل «المعرّب عن قاموس المحيط».

۲- (۲) مارتن، كسوف الله، ص ۸۶.

إنّ هذا الفكر جرّ الغرب إلى إنكار كثير من اليقينيّات والاعتقادات المذهبيّه والأخلاقيّه إلى حدّ حدا بسارتر أن يصرّح: «لا يوجد أىّ رمز فى العالم ولا توجد أىّ أخلاق عامّه وقيم مطلقه ترتبط بوجود الله»(۱) والإنسان هو الفعّال لما يشاء ومحور لجميع الأشياء، وأنّ المعيار الحقيقىّ للحسن والقبح والأخلاق هو ما يحدّده الإنسان نفسه. و «إنّ مثل هذا الإنسان الحديث نافر من الإيمان وبطبيعه الحال من الأديان كذلك والّتى هى منبع الإيمان».(۲)

۳-۸. نقد العصرنه حسب رؤيه ما بعد الحداثه

فى حال أنّ أنصار العصرنه يعتبرون الحركه التّدريجيّه والمستمرّه لاتّجاه التّشخّص العلمىّ، والاستفاده العقلانيّه من الطّبيعه من المميّزات الأساسيّه للعصرنه، يعتقد أنصار ما بعد الحداثه وفى مقدّمتهم جان فرانسوا ليوتار «أنّ نموّ وتعالى المجتمعات بمساعده الاختراعات الألكترونيّه المعقّده والمتطوّره والأنظمه الشّامله للأقمار الاصطناعيّه هو تيار وهمىّ وخيالىّ»(۳) ففى رأى أنصار ما بعد الحداثه أنّ اعتماد العصرنه على الأسس العلميّه لاكتشاف الحقيقه هو ادّعاء ساذج وفاشل. وأنّ إصرار العصرنه على محوريّه الإنسان، الإنسانيّه، الحريّه، الدّيمقراطيّه وتعريف العالم و الطّبيعه تعريفاً عقلانيّاً وجميع شؤون الحياه البشريّه، تعدّ روايه غامضه وخياليّه، ويرون أنّ العصرنه تواجه أزمات فى كلّ القضايا السّالفه، وأنّها مسخت هويّتها وفقدت أخلاقها ودمّرت القيم الإنسانيّه. إنّ أنصار ما بعد الحداثه

۱- (۱) المصدر نفسه، ص ۹۰.

۲- (۲) المصدر السّابق، ص ۱۰۶.

۳- (۳) بابک أحمدى، العصرنه وما بعد العصرنه، ص ۲۱۷.

اختاروا مفهوم العقل بحسب ما يراه هايدغر وويتغنشتين، وتعرّضوا لنقد العصرنه لأسباب متفاوته، ولكنّ هذا الاتّجاه أضحى يواجه مشكله خاصّه. فقد أنكروا أىّ معيار يمكن من خلاله التّمييز فيما بين المكاسب العّامه والشّموليّه للعصرنه وبين الوجود المخصّص لها. فقد توفّر هوبرماس لعرض ونقد فكره عقلنه الثّقافه الغربيّه الّتى تؤدّى إلى «التّفريق والتّمييز فيما بين المجالات القيميّه».(۱) أمّا ماكس ويبر فيرى أنّ التّفريق والتّمييز فيما بين مجالات العلم، الأخلاق، الدّين والفن ما هو إلّا نتيجه من نتائج التّعصرن والاتّجاه العقلانىّ. والّذى يُنتج تعارضاً فيما بين العقلانيّه والرؤى الكونيّه الدّينيّه والتّقليديّه، وأنّ نهايه عقلنه الثّقافه تتمثّل بانزواء الدّين وخصخصه مجالات القيم الدّينيّه.(۲)

العصرنه مشروع غير متكامل

ويستمرّ هوبرماس فى إتمام سعى الجيل الأوّل من المنظّرين الانتقاديّين (هوركْ هايمر، بنيامين، ادورنو، ماركيزه) فى الدّفاع عن العصرنه ويعتبرها (مشروعاً غير متكامل). فهو يعتقد بأنّ: فكره ما بعد الحداثه ذات اتّجاه يتنازع والعقل وذو تضادّ مع التّنوير ويمكن ملاحظه جذور ذلك فى آراء نيتشه، هايدغر، هوسرل.

ففى رأى هوبرماس أنّ هدف العصرنه، هو السّعى لنشر وتكامل العلوم الملموسه، الأخلاق، قانون التّماثل والفن المستقلّ على أساس المنطق الدّاخلىّ وإنشاء وصنع قوى حرّه مستعدّه فى جميع المجالات والظّرفيّات المادّيّه البشريّه.

۱- (۱) يورغن هوبرماس، العولمه و مستقبل الديمقراطيه، ص ۱۹۹.

۲- (۲) المصدر السابق، ص ۱۹۹.

ثم يعقّب بالـدّفاع عن المكـاسب غير المحـدوده للعصـرنه سياسـيّاً واقتصاديّاً واجتماعيّاً وعلميّاً وثقافيّاً ويضع العقلانيّه الاجتماعيّه، الرخـاء، حقوق الإنسـان، الـدّيمقراطيّه، التّقنيه الفنيّه والمعلوماتيّه... الـخ فى رديف مميّزات العصـرنه، ويصـرّ على أنّ العصـرنه لم تصـل بعـد إلى نهايتهـا المرجوه، ويعتقـد أنّ بإمكانها ومن خلال إعاده هيكليّتها وعقلانيّه التّفاهم لعب دور أساسـيّ فى المرحله القادمه.

ص:۹۵

۴. تنقیح علاقه العالمیّه بماوراء الحداثه

اشاره

یعتقد بعض المنظّرین أنّ العولمه قد ارتبطت ارتباطاً وثیقاً بما بعد الحداثه بصوره واضحه وجلیّه. ویری أصحاب هذا الرّأی أنّ الثّقافه العالمیّه هی فی الحقیقه ثقافه ما بعد الحداثه وأنّها تمرّ بمرحله التّغییر والتجزّؤ والانفصام والتّعدّد وأنّ عدم التّماثل الثّقافیّ والتّعدّد، هذا یعتبر دلیلاً علی أنّ ثقافه الیوم هی ثقافه ما بعد الحداثه، وعدّوا ذلک من ممیّزات مرحله ما بعد الحداثه. ویستدلّون علی ذلک بأنّ: «ثقافه الغرب لم تعد ثقافه متوحّده ومتماثله».(۱) لقد تمیّزت ثقافه الغرب فی زمن العصرنه بالعمومیّه والشّمولیّه العالمیّه واتّصفت بالقیم اللیبرالیّه المحدّده وعُرفت بأنّها ثقافه حدیثه، ثقافه تنویریّه، عقلانیّه وإنسانیّه، أمّا الآن ونحن نعیش عملیّه العولمه، فقد تحوّلت إلی ظاهره ما بعد الحداثه، وبتعبیر لیوتار أنّ المجتمع فی عصر ما بعد الحداثه ذاب وتفسّخ فی (قراءات شمولیّه) متعدّده ومتنوّعه.

و فی اعتقاد سکوت لاش و یوری: «أنّ ما بعد الحداثه عالمیّه بطبیعتها»، ولایمکن بعد الآن اعتبار الرأسمالیّه الجدیده المشتّته علی أنّها مجموعه من

۱- (۱) کیت نش، علم الاجتماع السّیاسیّ المعاصر، ص ۹۶، «التّرجمه الفارسیّه لمحمّد تقی دلفروز».

الأسس المقيّده بحاكميّه الدّوله - الشّعب. و يرى لاش «بأنّ تيّار الرأسماليّه و تقنيه المعلومات - باعتبارها عوامل عولميّه مؤثّره - لا تعترف بالأفكار والثّقافات والحدود الجغرافيّه، وفى خطوه أوسع، فهو يتلمّس تسارعاً مضاعفاً وصنع عالم أصغر وأصغر. إنّ هذا التيّار الشّامل والواسع والمؤثّر قد خرج من سيطره الحكومات الوطنيّه والمنظّمات والمؤسّسات الدّوليّه».(۱) وأنّ هذا التّنامى المستمرّ لتداول المعلومات والعلم سيؤدّى بشكل ما إلى انفتاح فكرىّ محدّد وفرض ثقافه ما بعد الحداثه، وسوق الأفكار والاتّجاهات والسلائق باتّجاه معيّن.

ولأجل معرفه واستيعاب رأى أنصار ما بعد الحداثه بشكل أفضل، ينبغى أوّلاً الاطّلاع الدّقيق على مفهوم (ما بعد الحداثه) وأهم نظرياته ثمّ العروج على مناقشه ونقد نظريّه (عالميّه ما بعد الحداثه) بناءً على أسس وآراء أنصارها.

مفهوم ما بعد الحداثه

يعدّ تونبى عالم الاجتماع المعروف أوّل من استعمل اصطلاح ما بعد الحداثه وذلك فى موضوع نهايه الحضاره الغربيّه. وقد أورده بمعنى (عدم التّعقّل والنسبيّه) أمّا فى الجانب الفلسفىّ، فقد استخدمه جان فرانسوا ليوتار بعنوان (الشّرط) أو (ظرف ما بعد الحداثه)، ففى رأيه أنّ (الشّرط) يمثّل بياناً للظرفيّه الّتى افتضح فيها عجز العصرنه بأزماتها الشّامله. إنّ البادئه (ما بعد) تفيد الصّفه الغامضه، وممّا لا يُعلم هو أنّ الانفصام عن الحداثه نفسها، هل هو حركه حداثيّه أم انفصالاً عنها وتجاوزاً لها؟ وبعباره أخرى أنّ العبور من العصرنه يعدّ تغييراً ونهايه لها. ففى العصرنه يعدّ التغيير، التّجديد، النّقد،

۱- (۱) المصدر السّابق، ص ۹۶.

العقلانیّه، الإبداع والعلم أمراً مقدّساً، ولکن مرحله ما بعد العصرنه تتطلّب الابتعاد عن اللّغه، الفلسفه، العلم، الفن والتّعصرن الصّناعیّ. ومن هنا، فإنّ مفهوم (ما بعد الحداثه) فی العقود الأخیره یمثّل أعقد وأکثر المفاهیم تضلیلاً فی قضایا شتّی کعلم الجمال، الأدب، الفن، علم الاجتماع والفلسفه وأنّ لفظه ما بعد الحداثه ترتبط بشبکه من مفاهیم وتأمّلات (الماورائیّه). وتطلق علی عملیّات مختلفه، أمثال مجتمع ما بعد التّصنیع، ما بعد التّجدّدیّه، ما بعد المبدئیّه، ما بعد التّجریبیّه وما بعد التّعقّلیّه (بمعنی تجریب موت العقل) والنّهایه التّاریخیّه للعصرنه.

لقد تعرّضت نظریّه ما بعد العصرنه للنّقد والتّحلیل من خلال النّظره المبتنیه علی نظریّات ماوراء المبدئیّه لجان فرانسوا لیوتار، ریتشارد رورتی، جمسون دریدا، ادرنو مارکیزه، الدّایر ماک اینتایر وغیرهم والّذین یعدّون من منظّری ما بعد العصرنه، وعُرفوا بنظرتهم الانتقادیّه للعصرنه، فکره العقل الشّمولیّ الدّیکارتیّ والعقل الّذی یعدّ من المکاسب المهمّه لعصر التّنویر: «لقد عُرفت نظریّه ما بعد الحداثه علی أنّها تستبطن عدم الاعتقاد بالنّظریّات الشّمولیّه وانتهاء الاعتقاد بالتّطوّر التّاریخیّ باعتباره من نتائج العقل والعلم الحدیث، والإصرار علی إلغاء السّعی لاکتشاف الأسس العقلانیّه الّتی یعتمد علیها العلم والأخلاق والواقعیّه».(۱)

یدّعی (ولمر)(۲) أنّ نقد ما بعد الحداثه للعقل، التّنویر، العالم الشّمولیّ وعمومیّه العلم قد طُرح بصوره جامعه وناضجه فی الآراء الفلسفیّه لیوتار. ففی رأیه أنّ لیوتار طالب بالإعراض عن جمیع النّظریّات الشّمولیّه والمقولات العصرانیّه.

۱- (۱) منوجهر نوذری، العصرنه وما بعد العصرنه، ص ۲۷۶.

۲- (۲) .Welmer. on the dialectic. P ۳۳۷ .

إنّ من مميّزات ما بعد العصرنه هو أنّها ذات اتّجاه تشتّتیّ، تجزّؤیّ، لامرکزیّ «إنّ هذه المسأله بشکل خاصّ تتناقض وعملیّه العولمه الّتی تعدّ نوعاً ما حرکه باتّجاه الوحده والاندماج والدّخول فی القریه العالمیّه الواحده».(۱)

إنّ التّعدّدیه قد نجمت عن النّسبیّه وإنکار الحقائق الملموسه والمطلقه وبحسب تعبیر کارل مارکس «إذا تخلّیتم عن الله، فقد أنکرتم فی الحقیقه المذاهب والقیم المطلقه أیضاً».(۲)

إنّ التّعدّدیّه ترتکز علی عدم وجود المطلقات «إنّ ما بعد الحداثه وفی سلوک متناقض تسعی لاکتشاف الحقیقه الغائیّه فی حال أنّها تهزج وتدبک لأجل موت الحقیقه و کلّ شمولیه موحِّده».(۳)

ویکتب جمسون فی کتابه (ماهیّه ما بعد العصرنه): «إنّ هدف ما بعد العصرنه هو تحقیق وعد التعدّدیّه الثّقافیّه والحرّیّات المختلفه والابتعاد عن الأنظمه ذات البعد الواحد، فالعصرنه تفرض علی الفرد والمجتمع نظاماً خاصّاً مبتنیاً علی الأسس الشّمولیّه والعقلنه».(۴) فی حال أنّ ثقافه ما بعد الحداثه تدعو إلی التشتّت وعدم التّشخّص أو الانسجام وتجاوز المبادئ و الأصول والحدود الجغرافیّه.

نقد العصرنه حسب رؤیه ما بعد الحداثه

إنّ اتّجاه ما بعد الحداثه یری بأنّ أیّه دعوه ذات نزعه عامّه، تعدّ بنفسها سعیاً نحو التّسلّط الإمبریالیّ، فهی فی ظاهرها شمولیّه، ولکن فی حقیقتها ذات نزعه ذاتیّه ومصلحیّه. إنّ ما تسعی إلیه العصرنه یبتنی علی افتراضات

۱- (۱) رامین جهانبکلو، الموجه الرّابعه، ص ۶۸. «باللّغه الفارسیّه».

۲- (۲) المصدر نفسه، ص ۵۷.

۳- (۳) المصدر السّابق، ص ۴۶.

۴- (۴) رامین جهانبکلو، الموجه الرّابعه، ص ۶۸. «باللّغه الفارسیّه».

علميّه فی حال أنّ کثیراً من نظریّات ما بعد الحداثه لا تنسجم وبعض الوجوه الخاصّه لمقولات العصرنه، وعلی هذا الأساس فقد أبدت معارضتها لمقوله معیاریّه العقل، وتعرّضت لنقد دعوی الشّمولیّه العصرانیّه. وبنقضها معاییر وأسس هذه المقوله فقد أنکرت افتراضات شمولیّتها. وقد عارضت وناقشت الاتّجاه السّلطویّ والاستعماریّ للعصرنه الّذی تمخّض عن دعوی شمولیّتها.(۱)

ویری هذا الاتّجاه أنّ العصرنه فقدت بریقها فی مجال التّرابط الاجتماعیّ. وقد أطلق علی المرحله الرّاهنه مرحله (أزمه العصرنه) أو العصرنه المتأزّمه.

ویوافق الآن تون أنصار ما بعد الحداثه ویخالف غینز، کانلی، بومن، هوبرماس فی أنّه یری أنّ النّزعه العقلیّه و (العقلانیّه الحدیثه) و (إراده القوّه) النّیتشویّه تؤدّی إلی أن یکون الإنسان أحادیّ الجانب، وخلق المجتمع الاستهلاکیّ ووسائل الاتّصال المعقّده والمتنامیه وضیاع وتشتّت المجتمعات، وأزمه المعنویّه والهویّه والشّعارات المضلِّله والأفکار ذات النّزعه التّعدّدیّه.

إنّ ما بعد الحداثه قد تعرّضت دون شکّ لنقد نظریّات الفلسفات الشّمولیّه والنّزعه العقلیّه المطلقه والنّزعه العلمیّه المحضه بصوره جدّیّه. وأنکرت أیّ معیار یؤدّی إلی الحتمیّه والوحدویّه. وقد اتّبعت نوعاً ما أسلوب هیغر وویتغنشیون فی مفهوم نقد العقل، واندفعت إلی الأمام فی نقد العصرنه لأسباب متعدّده وأنکرت مکاسبها العامّه والشّمولیّه.

و قد أشار البعض - أمثال لیوتر - إلی مخاطر الشّمولیّه العصرانیّه، ابتداءً من الأصعده الثّقافیّه والقیّمیّه، وانتهاءً بأزمه الشّرعیّه وفقدان المعنویّه والهویّه والنّزعه العدمیّه، وبروا أقلامهم لنقدها ومعارضتها. ومن خلال إنکارهم للرؤی الدّینیّه الشّمولیّه، رأوا أنّ التّفریق والتّمییز

۱- (۱) حسین علی نوذری، العصرنه وما بعد العصرنه، ص ۵۶.

فیما بین مجالات القیم والأخلاق ومجال العلم ما هی إلّا نتیجه للعقلنه الثّقافیّه الغربیّه، وأشاروا فی هذا السّیاق إلی الکانتیّین الجدد فی تفریقهم بین مجالات العلم والفن والأخلاق والحقوق وقالوا بعدم إمکانیّه حلّ التّضادّ الموجود بین تلک المجالات، من خلال منهجیّه فلسفیّه أو رؤیه دینیّه أشمل. ومع أنّ هذا الاعتراض یعدّ واقعیّاً ومهّماً ویضرب أسس العصرنه فی الصمیم، ویُثبت أنّ الاتّجاه العصرانیّ (المیّز فیما بین مجالات العلم ومقولات القیم) لا ینسجم ودعوی العولمه واستبداد الحضاره الغربیّه. ولکنّه من جهه أخری یتوافق ونظریّات ما بعد الحداثه نفسها؛ لأنّ ما بعد الحداثه تنفی عموماً أیّه شمولیّه ووحدویّه وتعتقد بتنوّع وتشتّت ونسبیّه العلم والثّقافه، ومن هنا فعولمه الثّقافه لا تنسجم بأیّ من الأشکال وأسس ما بعد الحداثه، وهم یعترفون بعدم إمکانیّه وضع العالم فی إطار (نظام نظریّ) واحد ومتّحد، وأذعنوا أنّ الحیاه البشریّه بطبیعتها لها صور متعدّده ومتضادّه.

إنّ أنصار ما بعد الحداثه یعلمون بأنّ دعوی العولمه لم تکن سوی غطاءً لبعض القوی ومجرّد أفکارٍ تسعی لمصالحها الخاصّه المضادّه للعداله والعقلانیّه، من خلال دعوتها إلی الشّمولیّه والعقلنه والعداله. ویرون أنّ أیّه دعوه إلی الوفاق والوحده تعدّ عاملاً للتّنفّر والخداع. وینادون بشعارهم: «هبوا للنّضال ضدّ دعاه الشّمولیّه، فقد تجرّعنا علقم الرّهبه والخوف بما یکفی فی القرنین الماضیین».(۱)

ففی رأی أنصار ما بعد الحداثه أنّ مرحله الحداثه ومقتضیاتها قد عفا علیها الزّمن. ونحن نعیش الآن مرحله الاستیقاظ، من کابوس العصرنه والعقل الخلّاق وإبداعاته وعبادته العمیاء. وأنّه قد آن الأوان للتّخلّص من زمن صنمیّه

۱- (۱) لیوتر، الثّقافه و المجتمع، ص ۳۰۰.

سلطه ووحدويّه العصرنه، وأنّا دخلنا عصر السّباق نحو تعدّديه ما بعد الحداثه، وأنّ النّظره الشّموليّه قد أخلت السّاحه، لانتشار عدم التّماثل الثّقافيّ وأساليب الحياه المتنوّعه والتعابير المختلفه. ويوضّح وولمر بأنّ مفهوم ما بعد الحداثه يعدّ من أكثر المفاهيم إبهاماً وإضلالاً فى البحوث الثّقافيّه، الاجتماعيّه، الفنيّه والأدبيّه فى العقود الأخيره، فى حال أنّ غينز يعتقد أنّ أهمّ إفرازات العصرنه هو النزعه العقليّه ونشوء حكومات ترتكز على مقوله الدّوله – الشّعب، وتأسيس الشّبكات الواسعه والمنظّمه للتّصنيع، ويعزو ذلك إلى دخول العصرنه فى عمليّه العولمه.

إنّ بعض المفكّرين المعاصرين وبناءً على التّغيّرات الإجتماعيّه والثّقافيّه فى المرحله الحاضره، يعتبرون أنّ هذه المرحله – بلحاظ مميّزاتها – هى فى الحقيقه مرحله ما بعد الحداثه. ففى رأى جمسون وهارى أنّ ما بعد الحداثه تعدّ عبوراً من مرحله الإنتاج الواسع والمتماثل إلى مرحله الرأسماليّه المرنه الّتى يتخلّى فيها إنتاج السّلع الواسع والمتماثل عن مكانته ليحلّ محلّه الإنتاج المتنوّع ذو القوالب الحديثه. ففى مرحله العصرنه كنّا نواجه النّزعه العقليّه، محوريّه الإبداع، معياريّه العلم والإنتاج والتّطوّر الإملائيّ والشّموليّه، ولكنّنا فى مرحله ما بعد الحداثه نواجه تنوّعاً ثقافيّاً، فكريّاً، نظميّاً وتشتّتيّاً ونهايه المقولات ذات الرؤيه المطلقه، وبعباره أخرى (نهايه القراءات الشّموليّه) وأيّه نظريّه جامعه ذات شموليّه عالميّه فى مجال العالم والتّاريخ.

فبينما نلاحظ انتونى غينز يعدّ العولمه من أهمّ إفرازات العصرنه، ولكنّها حضت بتأييده بوصفها سبباً لتطوّر وتغيّر جميع مكاسب وآثار العصرنه بشكل عميق؛ وأنّ النّزعات الوحدويّه والمركزيّه الدّاخليّه للعصرنه تؤدّى إلى النّزعه التّعدّديّه الخارجيّه، على أمل حلول التّعدّديّه محلّ الوحدويّه فى هذا النّوع من العولمه. ولا بدّ من التّنبيه على أنّ هناك

ممیّزات للعولمه، لایمکن عدّها بأیّه حال من الأحوال نتاجاً لما بعد الحداثه؛ لأنّ الفعل الوحدویّ للعولمه علی المستوی الخارجیّ والإقلیمیّ هو فی تضادّ مع التّعدّدیّه الخاصّه لما بعد الحداثه. لأنّ للعولمه جانباً دیالکتیکیّاً (جدلیّا)،(۱) و أنّها تدعو إلی التّوافق والوحده والتّماثل من جهه أخری، وفی نفس الوقت تحاول أن تلعب دوراً تجزیئیّاً وتعمل علی مسخ الهویّات والأسس الثّقافیّه والإجتماعیّه.(۲)

ویؤکّد ماکیزه بأنّ مسیره العولمه هذه تؤدّی إلی ولاده الإنسان أحادیّ الجانب، وتجعل من العقلانیّه مجرّد أداهٍ وإلی سلب المعتقدات المذهبیّه والأخلاق الإنسانیّه، وأنّ هذه العقلانیّه الأداتیّه والعلم الفاقد للمعنویّه، أدّی إلی نشوء نظام یضمّ أخصائیّین فی المعنویّه.

ومن جانب آخر فقد أنتجت هذه النّظره وهذا الاتّجاه النظام الرأسمالیّ، الّذی یهدف إلی بذل جهد أکبر للحصول علی إنتاج أکثر، وإنتاج أکثر للوصول إلی ربح أکبر، وذلک باکتشاف أسواق جدیده، وعدم الاعتداد بأیّه قیم دینیّه، فیکون من «نتائجها التّنافس لأجل السّیطره علی الطبیعه وموارد الثّروات العالمیّه وامتلاک ثروات المجتمعات الأخری، العنف غیر المقیّد والتّدمیر المنظّم والعلمیّ لأسس الحیاه البشریّه».(۳)

ویری ماکس ویبر أیضاً بأنّ نتیجه هذا النّظام ستکون الصّراع بین بنی الإنسان. ویصف مکاسب هذا النّظام العلمیّ المرتکز علی الرأسمالیّه (بالقفص الحدیدیّ) ویعدّ الولایات المتّحده الأمریکیّه الأنموذج البارز له والّذی یتکوّن من (الخبراء اللامعنویّین).

۱- (۱) کیت نش، علم الاجتماع السّیاسیّ المعاصر، ص ۵۵. «التّرجمه الفارسیّه لمحمّدتقی دلفروز».

۲- (۲) نفسه، ص ۵۵.

۳- (۳) ماکیزه، الثّقافه والمجتمع، ص ۲۰۷.

ویصف بیتر سکوت بدوره أیضاً نتائج هذا الاتّجاه فیقول: «إنّ النظام الذّکی الّذی أنتج القنبله الذّریّه، انهزم فی مجال تأسیس مقولات أخلاقیّه، باستطاعتها الحیلوله دون مثل هذا العلم وتوجیهه توجیهاً حضاریّاً یصبّ فی خدمه الإنسان».(۱)

وقد وجّه أنصار ما بعد الحداثه نقداً لاذعا لنظره أصحاب النّزعه العلمیّه هذه (الّذین یعتقدون بأنّ العلم الطّبیعی هو إحدی القوی المعنویّه والمتحکّم فی الزّمان ومفتاحاً لحلّ جمیع مشاکل البشریّه) وشکّکوا فی قدرته تلک.(۲) ففی اعتقاد أصحاب النّزعه العلمیّه أنّ العلم ما هو إلّا مقوّماً ومعیاراً للعقل الإنسانیّ، بحیث یحتل مکانه بارزه فی هذا المضمار، وأنّ (العلمیّه) تعمل باعتبارها الأیدیولوجیّه الأفضل والمقتدره، ولأجل هذا رمت جانباً بالأسس الأخلاقیّه والقیم الثّقافیّه والدّینیّه والإنسانیّه لعدم إمکان تعریفها بواسطه الاستدلال العلمیّ، وأدّی هذا الاتّجاه لفقدان المعتقدات المذهبیّه حیویّتها وعزله الدّین والقیم الأخلاقیّه فی المجتمع.

عولمه ما بعد العصرنه

«هناک بعض المنظّرین نزّلوا العولمه منزله ما بعد الحداثه، ویرون أنّها مرحله من الرأسمالیّه التّوسعیّه الّتی انفلتت وخرجت عن سیطره نظام الدّوله - الشّعب، وانعکست بأنواع حدیثه من الاستثمار فی کافّه أرجاء العالم».(۳)

إنّ هذه النّظره، تطرح ما بعد الحداثه وکأنّها بنیه تحتیّه ثقافیّه واجتماعیّه.

وتعتبر العولمه بمثابه التّحدیث والتّجدید. ومن هنا تکون فی حاله تعارض مع

۱- (۱) الثّقافه والمجتمع (۱۹۸۳)، ص ۲۸۴.

۲- (۲) الثّقافه والمجتمع (۱۹۸۳)، ص ۲۸۴.

۳- (۳) کیت نش، علم الاجتماع السّیاسیّ المعاصر، ص ۸۰. «التّرجمه الفارسیّه لمحمّد تقی دلفروز».

الماركسيّه والمقوله الّتی تقول بأنّنا دخلنا فی نوع مختلف من المجتمعيّه الجديده. وتعتقد بوجود علل ودواعی كثيره للعولمه وأنّ هذه الدّواعی فی الواقع ما هی إلّا علائم لاستمرار المميّزات المتجدّده لزمن العصرنه.

ولكنّ هـذه النّظريّه تواجه إشـكالاً جدّيّاً وهو أنّه إذا نظرنا إلی العولمه فی إطار ظروف الحداثه فقط، فسـتكون «معرفتنا محصوره فی إدراك إمكان بروز قوالب جديده تتّجه نحو توسيع عمليّات العولمه».(۱)

ديفـد هاری فی كتابه (مسار ما بعـد الحداثه) يربط العولمه بما بعد الحداثه ويسـتدلّ علی ذلك بقوله: «يمكن إدراك الأسـلوب الحـديث للرأسـماليّه فی صوره «ما بعد الحداثه المرنه».(۲) ففی رأيه أنّ العولمه الرأسـماليّه ليست ظـاهره جديـده، ولكن ما بعد الحداثه المرنه نجمت عن ازدياد تراكم وانضغاط الزّمان والمكان، ويخصّ بالتّحليل كيفيه الاستفاده من تقنيه المعلومات ووسائل الاتّصال الحديثه لاستحداث أشكال مرنه وحديثه للرأسماليّه.

ويعـدّ جمسون ممّن سـاروا علی خطی هـاری فی اعتقـاده بارتكـاز عولمه الرأسـماليّه علی مـا بعـد الحـداثه. ففی رأيه أنّ مـا بعد الحـداثه هی (المنطق الثّقـافیّ المتأخّر للرأسـماليّه). ويری أنّ نتاجات ثقافيّه معيّنه كعلم الجمال والإعلام النّفسـیّ فی هـذه العمليّه يصـبّ فی خـدمه الاسـتهلاك اللامتنـاهی للسـلع والإنتـاج، وأنّ أذواق وأفكـار النّـاس تُسـتفزّ وتعـاد صـياغتها بواسـطه الإعلاـم الفوضویّ، فتؤدّی هـذه الحـاله إلی إيجـاد ثقـافه ما بعـد الحـداثه والّتی تتميّر بتبـدّل الأفكار، النّظره السّـطحيّه، الفوضـی الشامله، التّعدّديّه، عدم التّرابط، القلق وفقدان الثّقه وظهور القراءات الشّموليّه.(۳)

۱- (۱) المصدر نفسه، ص ۸۳.

۲- (۲) ر. ك: ديفد هاری، ص ۸۱.

۳- (۳) المصدر السّابق، ص ۸۵.

وفی مقابل النّظریّه القائله باستیلاء الثّقافه الموحّده الغربیّه، یمکن الاستدلال بشکل متین «بأنّه لم یوجد علی الإطلاق غرباً منسجماً ومتماثلاً، وأنّ هذه الفکره لا یمکن تجسّدها إلّا من خلال المواجهه مع (الغیر) الّذی یُعرف بتمیّزه الأساسیّ عن الغرب. ولذا لا یمکن أن تکون العولمه بمعنی الثّقافه العالمیّه الواحده أو عولمه ثقافه خاصّه. وإنّ تصوّر وجود ثقافه عالمیّه واحده ومتّحده ومهیمنه، استنتاج مبالغ فیه وغیر مقبول، وعلی هذا فلابدّ من الأخذ بنظر الاعتبار أنّ حاله الثّقافه العالمیّه بمعناها فوق الحداثوی هی أوسع من قبول التّماثل والتوحّد والتبعیّه والسّیاسه الواحده.(۱)

وفی مورد تسمیه الثّقافه العالمیّه بثقافه ما بعد الحداثه، فإنّ هذا لا یعنی (غربنه الثقافه العالمیّه). إنّ الّذین یصرّون علی تصدیر هذه الثّقافه إلی أنحاء العالم بواسطه وسائل الاتّصال الجمعی، یغفلون عن أنّ اصطلاح (ما بعد الحداثه) هو فی الواقع بمنزله نفی آثار أیّ اتّجاه یجعل ثقافه ما متماثله.

ومن جانب آخر، فإنّنا نلاحظ حضور حرکات دینیّه ولا دینیّه متعدّده فی عصر العولمه، فعلی سبیل المثال (الأصولیّه الدینیّه) الّتی تعدّ بمثابه ردّ فعل ثقافیّ واجتماعیّ فی قبال (التغریب) أو (الغربنه). وکذلک حیال الاضطرابات، الخداع والأزمات الرّوحیّه والفکریّه الّتی انتجتها الحضاره العلمانیّه والانفصام الدّینیّ الغربیّ.

ثقافه ما بعد العصرنه ومسارها العولمیّ

لقد بحث ارغون ابدوری مسأله طبیعه عدم تماثل الثّقافه العالمیّه بشکل رائع فی مقالته الشّهیره (الانفصام والتّمایز فی اقتصاد الثّقافه العالمیّه)، فقد وضعها

۱- (۱) المصدر نفسه، ص ۹۶.

وحلّلها فی قالب الإطار النّظری «عدم الثبات والنّزاع فی الثّقافه العالمیّه» فهو یشیر فی نظریّته إلی خمسه أبعاد لتیّار الثّقافه العالمیّه: «الآفاق القومیّه، التّقنیّه، الماليّه، الإعلامیّه والآفاق الأیدیولوجیّه».(۱) وبعد بیانه لتلک الآفاق یکشف عن کیفیّه أداء کلّ واحد منها إلی النّزاع والانفصام الثّقافیّ فی العالم. إنّ فکره آفاق ابدوری تشبه إلی حدٍ ما (نظریّه المقولات).

ومن ضمن المفکّرین الآخرین الّذین قاموا باستعراض إمکانیّه التّماثل الثّقافی وتبلور ثقافه عالمیّه واحده فی عملیّه العولمه هو، هوبرماس، الفیلسوف وعالم الاجتماع المعاصر، فهو یعتقد: «أنّ التّعامل والتّعاون والحیاه المشترکه لا یمکن أن تکون مُقنعه فی مثل هذه الظروف، حیث إعلام السّوق العالمیّه، وسائل الاتّصال الجمعیّ، اضمحلال الحدود الجغرافیّه، التعدّدیّه والتّجزئه الثّقافیّه، تغیّر المُثل الحیاتیّه والتّحوّلات المتسارعه، دخول بعض المسائل الفاقده للانسجام فی دائره الإجبار وفرض آلاف السّلع الّتی أضحت ثقافیّه علی المجتمعات الأخری، وتأثّر أبرز الهویّات والتّقالید معنویّه وأصاله بها، کلّ ذلک کان من إفرازات ونتائج العولمه».(۲) ویقول فی مکان آخر: «فی الجواب علی الضّغوط التّماثلیّه للثّقافات المادّیّه غالباً ما تبرز أنظمه جدیده، تعمل علی تأسیس وجوه مختلفه، من الثّقافات التّرابطیّه والهجینه قبل أن تتطرّق إلی تقویم الاختلافات الثّقافیّه».(۳)

ومن هنا فإنّنا سنشاهد انتشار عدم التّماثل والنّماذج الثّقافیّه المتعدّده. إنّ وجود تیّارات أمثال القومیّه الجدیده، الحرکات الإنسانیّه، الحرکات البیئویّه کحرکه الخضر، حرکه السّلام الآن، والحرکات ذات النزعات المذهبیّه، مثل الأصولیّه الدّینیّه والرّوحیّه، تعدّ من علامات التّعدّدیّه الثّقافیه فی عصر العولمه.

۱- (۱) المصدر السّابق، ص ۹۷.

۲- (۲) یورغن هوبرماس، العولمه ومستقبل الدیمقراطیّه، ص ۷۳، «التّرجمه الفارسیّه».

۳- (۳) المصدر نفسه، ص ۷۳.

ویُنزل مارتن لبرو عصر العولمه منزله التّجدید ویری أنّ (العولمه والاتّجاه العالمیّ) تؤسّس لقواعد النّظام الاجتماعیّ الجدید. وتحلّ محلّ العقلنه الحداثویّه والدّول القومیّه والشّمولیّه الحداثویّه. وفی هذا السّیاق یطلّ علینا منظّرون یعتقدون بأنّ مرحله (ما بعد الحداثه) تنطبق علی دنیا العولمه ویؤکّدون علی أنّ عالم الغد سیکون عالم المعلوماتیّه (الإعلامیّه) (فوق الحقیقه) (الافتراضیّه) و (التشابهیّه).(۱) ویعدّ امتزاج الثّقافات، عدم التّماثل الثّقافیّ، نزعه النّسبیّه، التّشتّت الفکریّ، أزمه الهویّه واضمحلال الحاکمیّه الوطنیّه والاضطراب والفوضی من علائم هذه المرحله.

العلائم ما بعد الحداثویّه للعولمه

۱. إنّ أنصار ما بعد الحداثه ینفون المدّعیات العلمیّه کالواقعیّه والعقلانیّه و «ینکرون أیّ معیار عام وعقلانیّ للحقیقه المطلقه. ویؤمنون بأنّ العلم مقیّد وغیر ثابت».(۲) إنّ هذا النّوع من المعرفیّه (ما بعد العصرانیّه) یری بأنّ العلم جمیعه یرتبط بالزّمان، المکان والمجالات الشّخصیّه، الثّقافیّه والتّاریخیّه. ومن هنا ففی رأی أنصار ما بعد الحداثه أنّ جمیع العلوم تتکافئ فی القیمه والمکانه ولا یعتقدون بأیّ أساس للتفاضل فیما بین القیم والثّقافات سوی المیل الشّخصیّ. ولهذا «لا یمکن ترجیح اللیبرالیّین والشّیوعیّین علی الفاشیّین وغیرهم. ولا یوجد أیّ معیار للتمییز فیما بین الفنّ الحسن والسیّء».(۳)

«إنّ العلم المعرفیّ لما بعد الحداثه یمکن أن یکون مرتبطاً بالعولمه من جهات متعدّده. فعلی سبیل المثال، إنّ زوال الحدود الجغرافیه یؤدّی إلی ازدیاد الاتّصال فیما بین الثّقافات وتعزیز الاطّلاع العام علی التّنوّع الثّقافیّ».(۴)

۱- (۱) المصدر السّابق، ص ۱۳۱.

۲- (۲) شولت یان ارت، نظره فاحصه لظاهره العولمه، ص ۲۳۸، «التّرجمه الفارسّه لمسعود کرباسیان».

۳- (۳) المصدر نفسه، ص ۲۳۶.

۴- (۴) المصدر السّابق، ص ۲۳۷.

إنّ ما بعد العصرنه ومن خلال نقدها للعقل الحديث وإبراز تاريخيّته آمنت بأنّ كلّ شيء ومن ضمن ذلك العقل تابع للقوّه، الزّمان والمجتمع. وتعدّ النّسبيّه هی الحاكمه الحقيقيّه للمجتمع بكلّ ما يعنيه ذلك. وبحسب تعبير ريتشارد رورتی: «إذا كان العقل هو إله العصرنه، ففی مرحله ما بعد الحداثه لا وجود لأیّ إله».(۱)

أمّا ليوتار ومن خلال استدلاله على أنّنا فی حاله دخول إلى (المجتمع الصناعیّ) يصف الميزه المهمّه للعالم المستقبلیّ بهذا الشّكل: إنّ العلم فی عالم المستقبل سيكون هو القوّه الأساسيّه للإنتاج والتّوسّع التّقنیّ والمجتمع المعلوماتیّ. ويعارض دانيال بول وتوران(۲) فی عدم اعتقاده بأنّ التّنميه التّقنيّه دليل على التّطوّر والتّقدّم.

ففی عقيده ليوتار «أنّ العلم فی عصر العصرنه قد تعهّد بنجاه البشريّه بواسطه العقل، ولكنّه لم يعدّ قادراً حتّى على حلّ مشاكل اليوم. إنّ المجتمع فی عصر (ما بعد العصرنه) يذوب فی قراءات متعدّده، والعلم كذلك باعتباره قراءه إلى جانب باقی القراءات. ولكنّه فقد قيمته، باعتباره مصدراً للحقيقه ومعياراً لقيمه العقل البشریّ، وكونه أفضل من العوامل الأخرى».(۳) ويصف هذه الحاله بتميّزها بالنّزعه التّعدّديّه واللايقينيه وفقدان القرار وعدم الحتميّه الهايزنبرغيّه، واضطراب البرامج والأنظمه الفكريه، وبروز بعض الثّقافات وتقطّع أوصال المجتمع وشيوع الشّعارات المضلّله.

۲. ويعدّ من ضمن المميّزات الأخرى لهذا العصر عدم وجود القيم الأخلاقيّه وإنكار القيم العامّه ذات الشّموليّه العالميّه وشيوع النزعه الاستهلاكيّه والتضليل.

۱- (۱) مجلّه كيان، العدد ۳۰، عبد الكريم سروش.

۲- (۲) كيت نش، علم الاجتماع السّياسیّ المعاصر، ص ۹۷، «التّرجمه الفارسيّه لمحمّد تقی دلفروز».

۳- (۳) المصدر السّابق.

و لکنّ العصرانیین یرون بأنّ الحضاره الحدیثه تقترب من مرحله العمومیّه والعالم الشّمولیّ الحقیقیّ والأصیل قبل أیّه حضاره أخری معروفه، وأنّ العصرنه أشرفت علی التّحوّل إلی حضاره عالمیّه شامله. إنّ هذا الاستنتاج قد توصّل إلیه آخرون، أمثال بتراوس، غلینغ، هریس، هنتیغتون، فوکویاما. فالعولمه فی هذه الرّؤیه لا تعنی حضور ثقافات متعدّده فی ساحه مشترکه للإبداع والإنتاج والتأثیر، ولکنّها ستکون ساحه للتّنافس وسیطره الثّقافات المتسلّطه الّتی تمتلک القدره الماليّه، الإبداعیّه، التّقنیه المعلوماتیّه وقنوات الاتّصال العالمیّه، فلا یمکن للثّقافات الأخری المقاومه والصمود فیُحکم علیها بالهزیمه والاندحار. إنّ هذه الطائفه تری أنّ العولمه ترافق الغربنه والعولمه الغربیّه. وینبغی البحث عن الأسس والبنی الفکریّه والعلمیّه لهذه النظریّه فی المدارس الفلسفیّه الغربیّه، وکما أشرنا فی الفصل السّابق، فإنّ بدایه هذه الفکره یمکن ملاحظتها فی آراء هیجل، مارکس.

فإنّ مارکس کان یعتقد بأنّ الاختلاف الثّقافیّ، یعدّ سبباً للتّوتّر والخلاف، فالاختلاف الثّقافیّ یُوجد أزمات عالمیّه لا یمکن تذلیلها إلّا بإسقاط إحدی الثّقافتین وهذا ما یتسبّب فی نشوب الحرب والخصومه فیما بین الثّقافات.

ففی رأی کثیر من الفلاسفه والمفکّرین الغربیّین أنّه قد اتّضحت أفضلیّه الحضاره الغربیّه وأنّ العصرنه أفضل أنموذج ومثال فکریّ لجمیع الثّقافات والمجتمعات. وقد وصلت الحاله ببعضهم کهنتیغتون وفوکایاما(۱) بختم هذه الأفضلیّه علی جبین البشریّه، وأنّ نهایه التّاریخ ستکون معادِله للسّیطره الغربیّه وعولمه الحضاره الغربیّه.

۱- (۱) ینبغی التّذکیر بأن فوکویاما مع أنّه ذو اتّجاه یتساوق وما بعد الحداثه، ولکنه علی خلاف أنصارها الآخرین لا یعتقد بالتّعدّدیّه الثّقافیّه والتّعاطی بین الثّقافات، ویطرح فکره سیطره الثّقافه اللیبرالیّه الرأسمالیّه الغربیّه.

حصیله الفصل الرّابع

کـان بإمکـان الأیـدیولوجیّه فی عهـد العصـرنه إعاده الاطمئنان للفرد فی الظّروف الّتی یحیاها من الحیره والشّـعور بفقـدان الأمن واسـتلاب الهویّه، ولکنّ الأیـدیولوجیّه هـذه فقـدت قـدرتها الموحِّده الّتی کـانت تتمتّع بها فی مرحله الحـداثه لتزعزع المقولات الثّلاث: الوحده، المبدأ والغایه فی عصـر العولمه. ومن خلال هذه النّقطه بالذّات علینا أن لا نتوقّع فی عصـر العولمه وجود صـیغه لإقرار الوحـده والنّظام بناءً علی معایر ونماذج العصـرنه، «فی رأی أنصار ما بعـد الحـداثه، أنّ اضـمحلال عالم الـدّول التّقلیـدیّه، وبروز مجتمع عالمیّ فوضویّ نوعاً ما، قد ارتبطا معاً، ممّا أوجب أن تکون السّیاسه فی المقیاس العالمیّ أمراً غیر ممکن».(۱)

إنّ اللیبرالیّین الجـدد یرون السّـیاسه العـالمیّه لإـزاله قوانین الاقتصـاد العـالمیّ، تسـیر فی الاتّجـاه غیر الصّـحیح. ولهـذا فإنّ ما بعد الحـداثه واللیبرالیّه الجدیـده اتّفقت رؤیتهمـا فی مجـال الحیـاه العـالمیّه کـلّ بحسب أسـبابه الخاصّه، ففی رأیهما أنّ تیّار العولمه سیحوّل المؤسّـسات السّیاسـیّه والاجتمـاعیّه إلی شـبکات منفصـله ومتفرّقه تکون مجبره علی التّنسـیق فیمـا بینهمـا عملیّاً ویتشـکّل بذلک نظام (ما فوق الوطنیّه).(۲)

إنّ ثبـات مسـیره العولمه بحسب رؤیه مـا بعـد العصـرنه والّـذی تحقّق فی ظـل الوحـدویّه، المرکزیّه وتحکّم المقولاـت العقلانیه الحـدیثه، تعرّض للاضـطراب وعـدم الفعّالیّه والتأزّم. وغیّر مقولات نظیر الحاکمیّه الوطنیّه، العقود المؤقّته، المعاهدات الدّولیّه فی مجال الحفاظ علی البیئه والصّحه، الاتّصالات، الأمن والسّلام، التّنمیه والقیم الثّقافیّه الأخری. إنّ أنصار ما بعد

۱- (۱) یورغن هوبرماس، العولمه ومستقبل الدّیمقرطیّه، ص ۱۳۲، «التّرجمه الفارسیّه لکمال فولادی».

۲- (۲) المصدر نفسه، ص ۱۲۰.

الحداثه يسعون من خلال محو الأسس التّاريخيّه ومعرفه علم الأجناس والّذى يعبّر عنها ميشال فوكو (بالأنظمه الحقيقيّه)؛ الأجابه عن هذا السّؤال، وهو أيّه دوائر شموليّه تبعث على تبلور أسس القوّه وتكسبها الشّرعيّه؟ وبعباره موجزه إنّ أنصار ما بعد الحداثه ومن خلال تحليلهم لعلاقه العلم والقوّه، يؤكّدون على الدّور الأساسىّ لهما فى الحكم والأسس الحكوميّه والاجتماعيّه والثّقافيّه والاقتصاديّه.

إنّ أنصار ما بعد الحداثه لا يؤمنون بالنّظريّات الشّموليّه وقد تعرّضوا لانتقاد نماذج هيجل العقلانيّه، نيتشه وماركس، وأنكروا المشاريع والأفكار المقترحه للوصول إلى النّظام العقلانىّ للطّبيعه والمجتمع، ويرون أنّ الثّقافه العالميّه فى عصر العولمه متنوّعه ومتعدّده ومنفصله عن بعضها.

ص:١١٣

۵. علاقه العولمه والثّقافه

عولمه الثّقافه

لقد كان التّبادل الثّقافیّ منذ أقدم العصور وعلی مرّ التّاریخ عاملاً بنّاءً ومؤثّراً فی توطید الأواصر فیما بین المجتمعات. ویری المفکّرون فی مجال علم الثّقافه، أنّ الثّقافات مرتبطه بعضها مع البعض الآخر ومدینه کلّ منها للأخری ولا یمکنها التّجدّد والتفتّح إلّا من خلال تخطّیها الحدود الجغرافیّه وممارستها الأخذ والعطاء مع الخارج. إنّ التّبادل الثّقافیّ المعلوماتیّ والفکریّ الواسع، لا یمکن أن یؤدّی إلی تبلور ثقافه واحده واندماج الثّقافات ببعضها ومحو الهویّه الثّقافیّه. ومع الأخذ بنظر الاعتبار الحاجه إلی التّبادل الثّقافیّ فیما بین المجتمعات وکذا نتائج وتبعات تأثّر بعض الثّقافات بالثّقافات السائده، ینبغی النّظر فی أبعاد وحجم هذا التأثیر والتأثّر، وهل هو بمعنی اضمحلال وفقدان خصوصیّات ثقافات معیّنه وضعیفه؟ وهل أنّ الثّقافات التّسلّطیّه السّائده تمتلک القابلیّه والتّمیّز والأفضلیّه نسبه إلی الثّقافات الأخری؟ ألیس من الممکن أن تفقد العوامل الفکریّه، المعنویّه، التّاریخیّه، اللُّغویّه والمذهبیّه الّتی لها دور فی تکوّن وتمیّز المجتمعات؛ هویّتها من خلال الغزو الثّقافیّ الأجنبیّ؟

ص:۱۱۵

يعتقد البعض أنّ جميع الثّقافات الوطنيّه والمذهبيّه تقع تحت شعاع تأثير التّطوّرات العالميّه والتّقنيّات المعلوماتيّه الّتى تتّصف بالشّموليّه فى عمليّه العولمه، وتفقد هويّتها وقيمها وفعاليّتها وتتعرّض للتّحلّل والتّفسّخ. وحسب افتراض أنصار نظريه (الحضاره العالميّه الواحده) فإنّ تعزيز العلاقات الثّقافيّه والتّواصل فيما بين الثّقافات والمجتمعات يؤدّى إلى تبلور (ثقافه عالميّه). وتكون: التّجاره العالميّه و إزاله الحدود الاقتصاديّه، اتّساع العلاقات الإنسانيّه، الهجره والسّفر، تبادل الأفكار، الثّقافات والأديان، سهوله التّواصل فيما بين العلماء وتوسيع التّبادل العلمىّ والتّعليمىّ، انتشار السّياحه، وسائل الاتّصال الجمعىّ، توطيد العلاقات النّاجمه عن التّقنيه المتقدّمه المعلوماتيّه والألكترونيّه الّتى تجعل من العالم (عالما متّحدا) و (عالما متحرّكاً)، من أسباب ولاده هذه الثّقافه العالميّه.(۱)

فهل أنّ مسيره العولمه تؤدّى إلى التّوحّد الثّقافىّ وولاده الحضاره والثّقافه العالميّه الواحده؟ وبعباره أخرى، فى أىّ اتّجاه يسير العالم فى مستقبله من خلال هذه العمليّه؟ توحّد الثّقافات أم تشتّتها وتجزّؤها وتعدّدها؟ ومع غضّ الطّرف عن الاتّجاهات المختلفه والمخاوف الموجوده، فقد اتّجهت بعض الدّول باتّجاه القبول بالعصرنه والثّقافه الغربيّه، وأصرّ البعض الآخر على الحفاظ على ميزاته وإرثه الثّقافىّ والدّينىّ لإحساسه بخطر فقدان هويّته وقيمه وثقافته.

إنّ عمليّه العولمه سيكون لها تأثير عميق و واسع على الأسس الثّقافيّه والاجتماعيّه والعلاقات الدّوليّه. وستعرّض المفاهيم التّقليديّه للحاكميّه، الهويّات الدّينيّه والمذهبيّه، القيود الثّقافيّه والأيديولوجيّه؛ للتغيّر و الانسلاخ.(۲)

۱- (۱) جاءت هذه العباره على لسان دغلاس ميسى (Douglaes massey).

۲- (۲) على أصغر حاتمى، العولمه و أزمه النّظريّه السّياسيّه، ص ۸۳.

فعولمه الثّقافه هی إحدی مستلزمات وإفرازات العولمه. ولکنّها لا تعنی تنامی الاتّجاه نحو ثقافه عالمیّه واحده ومتوحّده. وفی الحقیقه لا یمکن تسمیه التّماثل الثّقافیّ واستنساخ الثّقافه الغربیّه عولمه؛ ولکنّ الاستدلال للعولمه الثّقافیّه یأتی بمعنی «تمخّض وسائل الاتّصال الجمعیّ، التّطوّر التّقنی، تیّار الهجره البشریّه، انتشار السّیاحه وتشکیل المؤسّسات الاجتماعیّه و الثّقافیّه (الثّقافه الثّالثه)؛ عن نوع من التّرابط الثّقافیّ المتنامی فی مختلف أرجاء العالم».(۱)

إنّ طبیعه العولمه الثّقافیّه غیّرت وطوّرت الأفکار، العقائد، السلوکیات والأهداف لمختلف المجتمعات والثّقافات، و جرّت المفاهیم البنیویّه للثّقافات کالحاکمیّه الوطنیّه، الهویّه، النّظم القیمیّه والدّینیّه نحو مشاکل متعدّده، وطلّت فی الأفق إرهاصات الاندماج ومسخ القداسه من خلال انهیار المقاومه علی مستوی العقائد والقیم.

إنّ العولمه وعلی خلاف آثارها السّلبیّه ونتائجها المؤلمه علی الثّقافات الأخری، یمکن أن یکون لها آثار إیجابیّه علی الثّقافات: «فبعض الآثار الإیجابیّه للعولمه علی الثّقافه عباره عن: تسارع الحرکه الاجتماعیّه، تعزیز و نمو الفکر البشریّ، ازدیاد الاتّصالات، وإمکانیّه تنامی تبادل المعلومات والآراء، الفهم الأفضل للتّعامل المتبادل فیما بین الثّقافات، وتأسیس منظومه من النّظم القیمیّه المشترکه، واکتساب الهویّه العالمیّه الجدیده.(۲)

۱- (۱) کیت نش، علم الاجتماع السّیاسیّ المعاصر، ص ۷۶، «التّرجمه الفارسیّه لمحمّد تقی دلفروز».

۲- (۲) محمد رضا دهشیری، «العولمه و الهویّه الوطنیّه»، فصلیّه مطالعات وطنیّه، السّنه الثّانیه، العدد ۵، ص ۷۳.

و یعتقد الوین تافلر أنّ الاتّصالات تعدّ من أهمّ وسائل نمو المجتمعات البشریّه فی عالم المستقبل،(۱) والّتی سیکون لها تأثیر باهر علی جمیع المستویات الثّقافیّه، الاقتصادیّه، الاجتماعیّه، الخدمیّه و غیرها.

إنّ العولمه تهیّء الأرضیّه لموجبات التّجانس الثّقافیّ والحضاریّ علی عکس رأی بعض المفکّرین الّذین وصفوا عملیّه استقرار ثقافه عالمیّه واحده وحدوث التّجانس الثّقافیّ بأنّها نظریّه ساذجه، ویمکن ملاحظه شواهد ونماذج للنّزعه العالمیّه نحو الثّقافه العالمیّه المشترکه فی بعض المجالات.

و فی مقابل ذلک فإنّ منتقدوا هذه النّظریّه ومن خلال طرح بعض الشّواهد کالأصولیّه المذهبیّه، الحرکات المُحبّه للسلام، سلامه البیئه وغیرها عدّوا ذلک داعیاً إلی رفض هذا الاتّجاه ودعواه. ولکن لابدّ من الإذعان الیوم بوجود اتّجاه عالمیّ یتعلّق بمقولات العلم والتّقنیه، تقنیه المعلومات، التّبادل الثّقافیّ، السّلام والأمن العالمیّ، قضایا البیئه، الصّحه، حقوق الإنسان والدّین. وکمحصّله عامّه للآراء المتعلّقه بمستقبل العالم ونهایه العولمه؛ یمکن الإشاره إلی ثلاثه أسالیب أساسیّه:

۱. إدغام جمیع الثّقافات فی ثقافه عالمیّه واحده سائده وذوبان باقی الثّقافات فیها.

۲. القبول بمنطق الحوار بین الثّقافات والحضارات والتّعامل العقلانیّ للثّقافات مع بعضها البعض.

۳. اعتماد استراتیجیّه الصّراع والحرب فیما بین الثّقافات والحضارات.

ونظراً للافتراضات الفعلیّه؛ ینبغی القول: إنّ النّظریّه الثّانیه تعدّ أکثر النّظریّات منطقیّه وواقعیّه لمستقبل الحضارات والثّقافات. ونظراً لارتباط حدوث العولمه بشراکه کافّه الثّقافات والحضارات والمذاهب، ابتداءً من

۱- (۱) الوین تافلر تغییرات القوی، ج ۲ ص ۱۷۶، «التّرجمه الفارسیّه لشهیندخت خوارزمی».

الفکر العالمیّ الدّینیّ وحتی الفکر الفلسفیّ ذوالنزعه العالمیّه، وإلی المکاسب العلمیّه والأحداث العالمیّه المهمّه، فجمیع ذلک یساهم فی عملیّه العولمه. ومن هنا؛ وعلی أساس هذه النّظریه طُرحت بعض القراءات بخصوص العالمیّه، ویمکن ذکرها فی أربعه محاور:

الأوّل: القراءه التّعلیمیّه.

الثّانی: القراءه الحضاریّه.

الثّالث: القراءه الأیدیولوجیّه (کقراءه محوریّه الدّین، القراءه الشّیوعیّه أو اللیبرالیّه أو الرأسمالیّه).

الرابع: القراءه المبتنیه علی النّزعه العِرقیّه والمحوریّه القومیّه والجنسیّه.

ففی القراءه الأولی ینبغی إقامه نظام تعاملیّ عالمیّ مشترک یشمل کافّه المجالات یتّخذ من العلم محوراً له ویعتمد علی التّطوّرات العلمیّه العالمیّه وعدم محدودیه العلم، و یکون منسجماً و مقتضیات الاتّجاه العلمی. و تمکین جمیع مواطنی العالم من المکاسب العلمیّه فی کافّه المجالات، واجتناب النّزعه الاحتکاریّه.

أمّا القراءه الثّانیه، فهی تؤکّد علی دور الحضاره والثّقافه والمذهب، فالعولمه فیها تعنی التّوازن والتوحّد علی الصعید الثّقافیّ والخصائص المشترکه للأدیان والتّعامل المشترک للمجتمعات بعضها مع البعض الآخر.

إنّ المقصود من المیّزات المشترکه للأدیان فی هذا التّعریف؛ المفهوم العامّ لها والّذی هو عباره عن: الاعتقاد بوجود الله والتّصدیق بماوراء الطّبیعه (الغیب) والإیمان بالأمور القدسیّه، والقبول بالدّور الإنقاذیّ والبنّاء للدّین.

فالعولمه فی هذه النظریّه، تعدّ فی الحقیقه نتیجه لتواصل الحضارات وتتمیّز بصفه الوصله الحضاریّه، وأنّ الثّقافات والحضارات تستطیع الوصول إلی التّفاهم والتّعامل المشترک والعالمیّ من خلال هذا التّواصل والتّفاعل.

وعلی هـذا ینبغی النّظر فی أنّ العولمه - بنـاءً علی منطق العصـرانیّین - هـل تمتلـک القابلیّه وأن تُوجـد الأرضـیه لأن یکون لباقی الثّقافات والحضارات دور تعاملیّ وبنّاء فی عملیّتها أم لا؟ وکما مرّ فی البحوث المتقدّمه، فقد أثبتنا أنّ العصـرنه مع أنّها فی بعض صورها ذات اتّجاه عالمیّ وخصائص عالمیّه وشمولیّه، ولکنّ العولمه بمعناها الحقیقیّ والخارجیّ لا یمکن عدّها عولمه عصرانیّه، إلّا فی حال عـدم وجود أیّه حضاره وثقافه منافسه للعصـرنه، ففی ذلک الوقت یمکن الإذعان بوجود عولمه عصـرانیّه علی أرض الواقع.

ومن جـانب آخر، سـتواجه العصـرنه تعارضـاً فی أغلب مبانیهـا، وأزمـات ومشاکـل متعـدّده معرفیّه؛ علمیّه واجتماعیّه. إضافه إلی تجاهلها دور الدّین وبعض القضایا المهمّه المؤثّره فی الحیاه البشـریّه. فالعولمه بهذا المعنی؛ سـتؤدّی إلی ازدیاد الأزمات العالمیّه وتعمیق مشاکل العالم الفعلیّه، وهی وفقاً للقراءه العصـرانیّه؛ تکون مفروضه ولیست اختیاراً وفرصه وانتخاباً. والّذی یعدّ فی الواقع قبولاً بأنموذج الحضاره الغربیّه وسـیطره ثقافتها علی العالم. ولذا فالعولمه بهذا المعنی لیست واقعیّه، وإنّما یمکن تسـمیتها (غربنه) والّتی تؤدّی إلی رفض الحضـارات الأـخری وتهمیش الثّقافـات وتتسـبّب فی اختلافات ومشاکل کثیره. وکما ینبّه هوبرماس علی ذلـک: «و فی وسـط هـذه القراءات الثّقافیّه نواجه اسـتدلالات لأصـحاب سائر الثّقافات یُشـکلون فیها علی الثّقافه الغربیّه بناءً علی قوالبهم وتقالیدهم الفکریّه. وأنّ السّبب فی ذلک یعود إلی أنّ جمیع الأدیان والثّقافات تتعرّض لإشکالیّات تجدّد العولمه الغربیّه وإلی ضـغوط الثّقافه المادّیّه الّتی تسـعی نحو التّماثل العالمیّ».(۱) وسـتواجه عملیّه العولمه ردود أفعـال اجتماعیّه وثقافیّه مختلفه، تنعکس علی شـکل حرکـات تحرّریّه تقف بوجه الاسـتعمار والعولمه، وذلـک من خلال اضـطراب الأنظمه الاجتماعیّه والأسـس الثّقافیّه. إنّ

۱- (۱) یورغن هوبرماس، العولمه ومستقبل الدّیمقراطیّه، ص ۱۱۴، «التّرجمه الفارسیّه».

هـذه الحركات الّتى تتمتّع بالقيم العقلانيّه والـدّينيّه تسـتبطن الرّدّ النّاجع الّـذى يهـدف إلى ترميم العقلانيّه العالميّه والخلاص من مغامراتها الباهضه الثّمن. ويحدّد هوبرماس فى هذا المجال ثلاث مهمّات ووظائف لعقلنه عالم الحياه:

١. لزوم استمرار التّقاليد الثّقافيّه والدّينيّه.

٢. لزوم وضع السّلوكيّات والقيم فى خدمه الوحده والتّكاتف الجماعىّ.

٣. يجب على الجيل المعاصر السّعى نحو التّواصل والتّلاحم الاجتماعىّ.

إنّ نظريه هوبرماس تؤكّد على عقلنه عالم الحياه، فى مقابل جعلها مسـتعمره، وقد طرح هذه الصّيغه نظراً للحاجه الماسّه إلى دور الأفعال التّفاهميّه أو العقلانيّه التّفاهميّه.

ولتنقيـح نظريّته هـذه، ينبغى التّـذكير أوّلاً ـ بأنّها مع كونها تبـدو نظريّه استراتيجيّه ومنطقيّه، ولكن نظراً إلى أنّ هوبرماس يعـدّ من الّذين يعتقدون بعدم وصول العصـرنه إلى نهايتهاً حتى الآن، وأنّ بإمكانها الاستمرار فى إعاده البناء وفى شموليّتها العالميّه. وعلى هـذا فهو يحلّل العولمه على أساس المقوله العصـرانيّه. ولكنّه يقول بالعقلانيه التفاهميّه والاعتراف بسائر الهويّات الثّقافيّه والدينيّه. ومع كونه مطّلعاً وبصوره واسـعه على فعّاليـات النّظـام الليبرالىّ الغربىّ وفعاليّـات السّوق الرأسـماليّه فى النّظـام الاقتصادىّ الغربىّ والاتّجـاه العلمـانىّ للعصـرنه، ولكن لم يتّضـح سـبب إذعانه فى كتابه (العولمه ومسـتقبل الـدّيمقراطيّه) بأنّ «العولمه تجبر الـدّول والأـمم على فتـح أبوابهـا بوجه النّمـاذج الأـجنبيّه الجديـده للحيـاه الثّقافيّه» ويصـرّح «بأنّ الـدّول لا تتمكّن بعـد الآن من المقاومه والوقوف بوجه عمليّه التّماثل والتّعصرن».(١) وعلى هذا لا يُعلم سـبب قوله بإمكانيه الجمع فيما بين فرض النّماذج الثّقافيّه للغرب والعقلانيّه التّفاهميّه.

١- (١) هوبرماس، العولمه ومستقبل الدّيمقراطيّه، ص ١١۴، «التّرجمه الفارسيّه».

تعارض الثّقافات

فی رأی هوبرماس أنّ هناک نزاعاً وجدالاً سیحدث فیما بین التّراث، الهویّه، القیم الوطنیّه ومافوق الوطنیّه فی عملیّه العولمه، وأنّ هذا الجدل یحکی عن التّوازن الحاصل فیما بین الثّقافات من جانب والتّحرّر الخلّاق لها من جانب آخر.

إنّ الثّقافه الأصیله وردّا علی الضّغوط الثّماثلیّه للثّقافه المادّیّه غالباً ما تبرز علی شکل أنظمه جدیده، تسعی لصنع أشکال حدیثه من الثّقافات التّرابطیّه والالتقاطیّه قبل أن تحاول المقارنه بین الاختلافات الثّقافیّه. إنّ التّواصل الثّقافیّ یؤدّی إلی نشوء ثقافات جزئیّه وقوالب حدیثه ومتعدّده. فعلی سبیل المثال لو نظرنا إلی الهجره غیر المقصوده والاتّصالات الواسعه لرأینا کیف تؤدّی إلی تغیّرات عمیقه فی التّرکیبه العِرقیّه، الدّینیّه، الثّقافیّه والوطنیّه.

إنّ العولمه تعدّ عملیّه تمایزیّه وتماثلیّه فی ذات الوقت، فهی من جانب تسوق العالم نحو التّعدّدیّه الثّقافیّه وتهیّء الأرضیه لعرض الهویّات الوطنیّه والقومیّه علی السّاحه العالمیّه؛ من خلال قبولها بقیمه الثّقافات الجزئیّه والقدرات المحلّیّه. ومن جانب آخر تتسبّب فی التّأثیر علی الثّقافات والهویّات المحلّیّه والوطنیّه من خلال إبراز ثقافه عالمیّه واحده.

إنّ التغیّرات ذات الصّور المتناقضه والّتی تنجم عن هذا الوضع المتجدّد والمعقّد والمتعدّد الجوانب تؤدّی إلی تسهیل العلاقات الفردیّه فی مجالات متعدّده، وترسیخ المواجهه فیما بین الثّقافات. وتُوجد نزاعات تضطرّ معها المجتمعات الدّینیّه والثّقافات الأصیله إلی اتّخاذ اتّجاهات معقوله وبنّاءه فی هذا المجال. إنّ تعزیز العناصر الثّقافیّه المشترکه فیما بین مواطنی العالم والثّقافات المختلفه یمکن أن یعدّ اتّجاهاً إیجابیّاً وبنّاءً، ویبرز من خلال نموّه وتکامله علی شکل (ثقافه عالمیّه واحده).(۱)

۱- (۱) جنکیز بهلوان، علم الثّقافه، ص ۴۰۵، «باللّغه الفارسیّه».

إنّ النّزاع الثّقافیّ الیوم یتمّ فی إطار مجتمع عالمیّ واحد، والّذی ینبغی علی مجموع اللّاعبین فیه النّظر إلی السّنن الثّقافیّه المختلفه، لیتوصّل إلی اتّفاق حول السّلوکیات المعاشه. ففی الوقت الرّاهن لا یمکن أن تکون العزله والأنانیّه جدیره بالانتخاب. فتاملسون یعتقد: «بأنّ الثّقافه المتعولمه الیوم هی ثقافه عالمیّه غیر مبتنیه علی الفوضی والاختلاف وفی الوقت ذاته لا تأتی الثّقافه من خلال الجمع بین التّجارب والحاجات البشریّه؛ ولکنّها تحکیم لنوع من أنواع الثّقافه تمتلک قدره أکبر»(۱) وإنّ هذه الثّقافه الغالبه هی نفسها الثّقافه الغربیّه والّتی بادر الغرب من خلالها لطرح فکره ومشروع العولمه لتوحید الثّقافات وغربنه العالم. إنّ هذه الطائفه وبناءً علی نظریّات أمثال هنتیغتون وفوکویاما تعتقد بأنّ الثّقافه اللیبرالیّه الغربیّه تتّصف بقیم العالم الشّمولیّ ومن خلال الدّفاع عن نظریّه (نهایه التّاریخ) تعتقد بأنّ العولمه ما هی إلّا انتشار الثّقافه الغربیّه الّتی هی ثقافه الرأسمالیّه واللیبرالیّه والعلمانیّه الغربیّه. ویصرّح هنتیغتون بشکل سافر فی هذا المجال: «فی نهایه القرن العشرین، کان مفهوم الحضاره العالمیّه یصبّ فی خدمه تبریر التّسلّط الثّقافیّ الغربیّ علی باقی المجتمعات، أمّا الآن فقد أخذت المجتمعات الأخری فی تقلید ومحاکاه الأسالیب والمؤسّسات الغربیّه. إنّ النزعه العالمیّه والأیدیولوجیّه الغربیّه جاءت لمواجهه الثّقافات غیر الغربیّه. إنّ الغربیّین لا یعرفون عن العولمه سوی أنّها (تغریب) غیر الغربیّین. وإنّ ما یسمّیه الغربیّون بالتّماثل العالمیّ التّدریجیّ (کانتشار الإعلامیّات العالمیّه) یعتبره غیر الغربیّین إمبریالیّه شیطانیّه غربیّه.

۱- (۱) صاموئیل هنتیغتون، صراع الحضارات وإعاده بناء النّظام العالمیّ، ص ۱۰۳، «التّرجمه الفارسیّه لمحمّد علی رفیعی».

مناقشه نظریّه صراع الثّقافات والحضارات

إثر سقوط الشّیوعیّه وانتهاء الحرب البارده، عُرضت نظریّات مختلفه فی مجال البحث عن منشأ القوّه والتخطیط لمستقبل الوضع العالمیّ. إنّ إحدی النّظریّات الّتی أحدثت ضجّه فی الأوساط العلمیّه والسّیاسیّه؛ نظریّه صراع الحضارات، لصاموئیل هنتیغتون. ففی اعتقاده أنّ مرحله التّنافس الأیدیولوجیّ قد انتهی بانتهاء الحرب البارده. إنّ هنتیغتون طرح هذه النّظریّه متأثّراً ببرنارد لویس المؤرّخ والمستشرق الأمریکیّ. فأسباب صراع الحضارات الإسلامیّه والمسیحیّه والکنفوشیوسیّه فی هذه النّظریّه لا ترتبط بالأبعاد السّیاسیه ولکنّها سترتکز علی المیّزات الثّقافیّه والمذهبیّه لهذه الحضارات، ففی اعتقاده أنّ المواجهه الحضاریّه لابدّ منها، وأنّ المذهب یلعب دوراً أساسیّاً ومحوریّاً فی تبلور الحضارات ومسار اتّجاهها. وأنّ الاختلافات الثّقافیّه فیما بین الحضارات لها جذور عمیقه ولا نهایه لها: «إنّ الثّقافه والحضاره تتضمّن قیماً وسلوکیّات وأسالیب فکریّه وأفعالاً وأحکاماً ومؤسّسات تتمتّع فی کلّ مجتمع بأعلی درجات الاحترام من قبل أفراد ذلک المجتمع».(۱)

ویوضّح هنتیغتون نظریّته بهذا الشّکل: «إنّ افتراضی مبتنی علی أنّ المصدر الأساسیّ للصّراع فی العالم المعاصر؛ لم یکن أیدیولوجیّاً أو اقتصادیّاً بالضّروره، ولکنّه الهوّه السّحیقه بین أفراد البشریّه، و إنّ أهم مصدر للصّراع هو الطّبیعه الثّقافیه، ولا یبدو أنّها قد فقدت فاعلیّتها، کما أنّها تعارض وتخالف التّحکّم والسّیطره. إنّ الحضارات تُعرّف من خلال عناصرها الواقعیّه المشترکه کاللّغه، التّاریخ، المذهب، التّراث والمؤسّسات، وأنّ الهویّه الحضاریّه سیکون لها أهمّیّه متزایده فی المستقبل». ثمّ ومن خلال طرحه

۱- (۱) . Samuel p. Huntington the clash of eivilization and the Remarleing of the world order tendon ۱۹۷۷ p.A.i

السّؤال التّالی، وهو لماذا ستتواجه الحضارات فیما بینها؟ یجیب قائلاً: «أوّلاً؛ إنّ وجوه الاختلاف فیما بین الحضارات لیست فقط واقعیّه، وإنّما ممّا لابدّ منها. ثانیاً؛ إنّ العالم فی حاله تصاغر وانضغاط. ثالثاً؛ إنّ مسیره التّحدیث فی المجالات الاقتصادیّه والاجتماعیّه فی جمیع أنحاء العالم تؤدّی بالإنسان إلی الانفصال عن هویّته القدیمه والأصیله. رابعاً؛ إنّ الدّور المزدوج للغرب یُنمّی ویعزّز الاطّلاع الحضاریّ. خامساً؛ لا یمکن إخفاء المیّزات والاختلافات الثّقافیّه إلّا بشکل یسیر. سادساً؛ إنّ الإقلیمیّه الإقتصادیّه هی فی حاله نموّ وتوسّع وهذا ما یساعد علی تقویه الحضارات الأخری».(۱)

ثم یستنتج بأنّه: «یمکن التکهّن بعدم بقاء أیّه حضاره ذات شمولیّه عالمیّه فی المستقبل، ولکن سیکون هناک عالماً متعدّد الحضارات تضطرّ کلّ حضاره فیه إلی تعلّم کیفیه التّعایش مع الأخریات».

وبعد سنوات من طرح هنتیغتون نظریّته هذه، ومن خلال ملاحظته قرائن وشواهد واقعیّه عن التّطوّرات الّتی نجمت عن الإسلام، أذعن بأنّ مقولته فی: «أنّ الحضاره الإسلامیّه فی طریقها إلی الزّوال» فی نظریّته تلک غیر صحیحه وصرّح معقباً: «اعتقد بأنّ الحضاره الإسلامیّه حضاره راسخه وخالده».(۲)

إنّ أغلب مفکّری العالم یذعنون بأنّ أکثر المواجهات والحروب الّتی حدثت مؤخّرا فی العالم ذات بُعد ثقافیّ، وقد سخِروا من نظریه (صراع الحضارات) و (نهایه التّاریخ) واعتبروها نوعاً من النّبوءه غیر العلمیّه. ویعتقد البعض الآخر ومن خلال مناصرتهم لنّظریّه هنتیغتون بتمخّض ثقافه وحیده وهی الحضاره العالمیّه الواحده (الرأسمالیّه). أمّا باقی الحضارات والثّقافات

۱- (۱) صاموئیل هنتیغتون، صراع الحضارات، مجلّه معلومات سیاسیّه واقتصادیه، العدد ۶۹-۷۰ «التّرجمه الفارسیّه لمجتبی أمیری».

۲- (۲) محسن قانع بصیری، «هنتیغتون، غیّرت عقیدتی»، مجلّه الفکر الحدیث، العدد الأوّل، ص ۷.

فستتعرّض للهزيمه والانـدحار. ومن هنا، فإنّ أجواء الصّـراع فيما بين الثّقافات والحضارات يعـدّ منتفياً من الأساس، ولكنّنا نشاهد ضمن هـذه الحضاره العالميّه الواحـده عـدم المساواه والحروب العنيفه، فيما بين المنبوذين من جهه والمدعومين من جهه أخرى، وبين السّـاده الجـدد والمواطنين الضّـعفاء. ولـذا سـيتعرّض التّوحـد الثّقـافيّ والاجتماعيّ لهـذه الحضاره العالميّه الواحـده لمخاطر وصدمات.(۱)

ويصف هنتيغتون العـالم الجديـد إثر انهيار النّظام الشّـيوعيّ بما يتكهّن به، من «أنّ افتراضـى هو أنّ السّـبب الأساسـيّ للمواجهات والحروب فى العـالم الجديـد ليس هـو المسائـل الأيـديولوجيّه أو الاقتصـاديّه، و إنّمـا السّـبب المهمّ للتّنـافر والخلاـف والمصـدر الأساسـيّ للصّـراع هو المسائـل الثّقـافيّه». «فى صـراعات العالم المسـتقبليّه، سـتقف الأمم والطوائف وجهاً لوجه، والّتى ترتبط كل واحده منها بحضاره مختلفه. وإنّ هذا الصّـراع والتّوتّر فيما بين الحضارات سـيتحكّم بالسّـياسه العالميّه، وأنّ الجبهات المسـتقبليّه؛ ستكون ساحه التّنافس والصّراع الحضارىّ».(۲)

ففى اعتقـاده أنّ النّزاع العالمىّ فى المسـتقبل ذو طبيعه ثقافيّه وأنّ النتاج السّياسـيّ له هو الصّـراع فى خطوط التّماس والتّقاطع فيما بين الحضارات الأساسـيّه فى العالم. إنّ اعتقاد هنتيغتون بعدم إمكانيّه تبلور حضاره عالميّه واحده يقوم على الأسباب التّاليّه: أوّلاً؛ اعتقـاده بتكـافؤ الحضـاره مع الثّقافه، ثانياً؛ وإنّ العناصـر الأساسـيّه الّتى تكوّن الحضاره هى اللّغه والـدّين، ويؤكّـد على أنّ «عامل الدّين، هو من أكثر عناصر الثّقافه محوريّه».(۳)

۱- (۱) كاظم علم دارى، نقد نظرّيه صراع الحضارات وحوار الحضارات، ص ۵۳ و ۱۱۷.

۲- (۲) ر. ك. اكناسيو رامونه، هل يسير العالم نحو الفوضى، «الترجمه الفارسيه لبريجهر شاه سوند».

۳- (۳) كاظم علم دارى، نقد نظريّه صراع الحضارات وحوار الحضارات، ص ۱۸۷، «باللّغه الفارسيّه».

وبناءً على هـذا المبنى يذكر بأنّه «إذا أرادت الحضاره العالميّه الواحده الظهور والبروز، فينبغى عليها السّعى نحو إيجاد لغه عالميّه واحده ودين عالمىّ».(۱)

نقد ووجهه نظر

إنّ نظريّه هنتيغتون ترتكز على محورين أساسيّين:

الأوّل: محوريّه الدّين فى الحضارات الكبيره.

الثّانى: إنكـار إمكـانيه وجود حضـاره عـالميّه واحـده أو اتّحـاد حضارات. يعـدّ هـذان المحوران من المظاهر المهمّه و الأساسـيه لنظريته، و لكنّ الدّين حسب رأيه يعدّ العنصر الأهمّ فى نشوء وانتشار الحضارات.

وهو يعتقـد أيضاً ويؤكّـد على المواجهه الذّاتيّه والّتى لا يمكن فيها المساومه فيما بين الأديان والثّقافات والّتى يتمحور من خلالها التّعـارض الجوهرىّ بين الحضـاره الغربيّه والشّرق، وعلى الخصوص مواجهه الغرب مع العالم الإسـلامىّ. ويسـتمرّ فى بيان نظريّته فيكتب «تتواجـد فى عـالم اليوم تسع حضـارات كبيره وهى عبـاره عن: الحضاره الغربيّه، الأمريكيّه اللاتينيّه، الأفريقيّه، الإسـلاميّه، الصّينيّه، الهنديّه، الأرثوذكسيّه، البوذيّه واليابانيّه، ويتركّز التّعارض الأساسىّ فيما بين الحضاره الإسلاميّه والغربيّه والصّينيّه من بين هذه الحضارات».(۲) ويقول: إنّ استدلال مؤيّد و نظريّه الحضاره العالميّه الواحده يرتكز على ثلاث فرضيّات:

۱. انهيار الاتّحاد السّوفيتىّ السّابق والنّظام الشّيوعىّ.

۲. انتهاء الحرب البارده.

۳. نظريّه نهايه التّاريخ وانتصار الليبراليّه الدّيمقراطيّه الغربيّه وانتشارها فى العالم.

۱- (۱) المصدر نفسه، ص ۱۸۸.

۲- (۲) كاظم علم دارى، الأزمه العالميّه ونقد نظريه صراع الحضارات، ص ۷۸، «باللّغه الفارسيّه».

أمّا فی مجال نقد هذه النّظریّه فینبغی القول: إنّ افتراض الاستدلال الآنف غیر صحیح؛ وذلک لأنّ هنتیغتون یعتقد بأنّ المواجهه السّابقه فی مرحله الحرب البارده، قد حلّت محلّها المواجهه فیما بین الحضاره الإسلامیّه والمسیحیّه. وعلی هذا؛ أوّلاً: لا یمکن احتساب المواجهه فیما بین الغرب والشّیوعیّه مواجهه فیما بین حضارتین دینیّتین. ثانیاً: من الواضح أنّ أغلب النّزاعات والحروب الفعلیّه فی العالم لم تقم من خلال الدّین أو علی أساس محوریّته. ثالثاً: ینبغی أن لا نأمل خروج الحضاره الغربیّه منتصره من هذه المواجهه وأن تعمّ العالم بعدها. و «أنّ المسلمین والحضارات الصّینیّه، الهندیّه، البوذیّه وغیرها ستسارع للالتحاق برکب اللیبرالیّه الغربیّه باعتبارها البدیل الأوحد عن هذه الحضارات».(۱)

نقد نظریّه صراع الحضارات

۱. إنّ الشّواهد والقرائن الّتی عُرضت لإثبات هذه النّظریّه لا تصل إلی درجه تستطیع معها إثبات کلّیاتها، وهی فی حدّ ذاتها أیضاً قابله للمناقشه.(۲)

۲. إنّ هذه النّظریه تؤکّد علی المواجهه فیما بین الحضارات ولیس فیما بین الأمم والدّول، فی حال أنّ النّظریات المنافسه لها، تؤکّد علی العوامل السّیاسیّه، الاقتصادیّه والعسکریّه وعلی أنّ لها الدّور الأساسیّ والمحوریّ فی ذلک.

۳. إنّ نظریّه هنتیغتون ترتکز علی تحلیل خاطئ وسطحیّ للإسلام، وبحسب تعبیر محمد علی إسلامی ندوش: «إنّ هنتیغتون لا یعرف الشّرق. فلایمکن النّظر إلی العالم الإسلامیّ بعین واحده»، فالأمر الصّحیح هو عدم وجود آراء مشترکه حول الغرب فی العالم الإسلامیّ.

۱- (۱) المصدر السّابق، ص ۱۳۸.

۲- (۲) السّیّد صادق حقیقت، حوار الحضارات وصراع الحضارات، ص ۳۵-۴۰، «باللّغه الفارسیّه».

۴. أوّلاً؛ إنّ هـذه النّظريّه تفترض غربـاً موحّداً، ولكنّ القرائن تحكى عن خرق وصـدع أصـبح سـافراً فى داخل الحضاره الغربيّه. ثانيـاً؛ من غير الواضـح كيف يُلبس الحضـاره الغربيّه لباساً مـذهبيّاً ويبرّر الاتّجاه العلمانىّ لها فى حال أنّ أسسـها الفكريّه والعلميّه تؤكّد على رفض المذهب.

۵. النقطه الأخرى فى هـذه النّظريّه (صـراع الحضارات) عدم الاعتداد بإمكانيّه التّعاون والتّعايش فيما بين الحضارات. فى حال إنّ التقـارب فيمـا بينهـا والميل نحو التّعامل والحوار هو أكثر قبولاً وذو قيمه استراتيجيّه. إنّ الإشـكال الآخر الّـذى يرد عليها تأكيـدها على محوريّه الـدّين فى الحضـارات العالميّه المهمّه، ولكنّ هـذه المسأله فى نظريّه هنتيغتون تتضـمّن غموضاً كبيراً. و هو لم يُشـر من جهه أخرى إلى النّهايه غيرالعقلائيّه والخطيره لصـراع الحضارات. ثالثاً؛ إنّ هذه النّظريه تتضمّن تناقضاً داخليّاً؛ لأنّه يؤكّد على الـدّور البارز للدّين فى عمليه صـراع الحضارات، ولكنّه يحدّد العوامل المصـيريّه للحضاره الغربيّه بالعامل الاقتصادىّ، العسـكرىّ، السّياسىّ والتّقنىّ. ثمّ من غير الواضح ما المراد من كون الحضاره الغربيّه دينيّه.

۶. إنّ هـذه النّظريه لاـ تأخـذ بعين الاعتبـار الضّـعف والأزمـات غير القـابله للحلّ فى الحضاره الغربيّه والّتى برزت نتيجةً لإتّجاهها العلمانىّ واضمحلال القيم الإنسانيّه والأخلاقيّه فيها.

۷. إنّ هنتيغتون فى نقـده لنظريّه العالم الواحد، يعتقد بوجود تعارض فيما بين الأديان والثّقافات، و أنّ الدّين يعدّ الهويّه الأساسيّه للمجتمعات والحضارات الفعليّه. فهو يقول: «إنّ للـدّين فى عالم اليوم مركزيّه مشـهوده، ومع وجود الهويّه الـدّينيّه والتّعارض فيما بين الأديـان والثّقافـات؛ لاـ يمكن تحقّق الحضـاره العـالميّه الواحـده». وللإجـابه على ذلـك ينبغى القول: إنّ الشّواهـد الخـارجيّه والتّاريخيّه تدلّل على أنّ التّعارض الموجود هو قوميّ

ووطنيّ وليس دينيّاً وحضاريّاً، إنّ السّبب الأساسيّ للحروب التّاريخيّه، والتّمايز فيما بين المجتمعات كان يرتكز على عامل القوميّه واللّغه أكثر منه على الدّين والثّقافه. فعلى سبيل المثال، نحن نشاهد مجتمعات متعدّده ذات لغات وقوميّات مختلفه غير مجتمعه على مذهب واحد، كالدول المسيحيّه والإسلاميه، ولكنّ هويّتها الوطنيّه، اللّغويّه والثّقافيّه تبلورت من خلال العِرق، اللّغه، الثّقافه وتاريخها الأصيل. فإذا كان الدّين هو المحور للحضاره والثّقافه فينبغى أن يكون للمجتمعات المسيحيّه أو الإسلاميّه ثقافه شامله وواحده، ومن جهه أخرى، ومن خلال الشّواهد التّاريخيّه والدّراسات الّتى أجريت فى مجال الحضارات البشريّه، تؤكّد على وجود عوامل متعدّده لبروز ونموّ الحضارات وأفولها وانهيارها، والّتى غدت محطّاً لأنظار علماء الثّقافه والاجتماع. ومن هنا، ولأجل عوامل متعدّده أخرى لا يمكن أن يكون الدّين هو العامل الأساسيّ والبارز للحضارات الفعليّه، وعلى هذا الأساس فسّرت هذه النّظريّه صراع الحضارات على أنّه مواجهه فيما بين الأديان والثّقافات.

علاقه الشّرق والغرب

النّظريّه الثّانيه: التّعامل المتبادل بين الشرق والغرب.

إنّ بعض الباحثين(۱) والتّجديديّين قاموا ببيان علاقه الشّرق و الغرب مؤكّدين على أهميّه الاقتباس والاستفاده من التّقنيه الغربيّه، اعتقاداً منهم بأنّ الغرب يمكنه إهداء مكاسبه المهمّه العلميّه والاقتصاديّه وغيرها للشّرق، وأنّ الشّرق يمكنه إعاره معنويّاته وقيمه الإنسانيّه الأصيله وفنّه الباهر للغرب. ويستطيع الاثنان من خلال الحركه والنّشاط الدّائب للمجتمع البشرىّ

۱- (۱) السيد حسن نصر، و من ضمنهم المفكّر والعالم الإسلامىّ الإيرانىّ.

التّعاون من أجل تكميل بعضهما البعض. «إنّ الّذين يعتقدون بالتّلفيق، ينقسمون إلى صنفين: فصنف يفرّق فيما بين مفاهيم الحضاره والثّقافه ويوافق على الاستفاده من الحضاره الصّناعيّه مع الحفاظ على ثقافته الوطنيّه». وصنف يفرّق فيما بين مادّيّه الحضاره الغربيّه ومعنويّه الحضاره الشّرقيّه، ولكنّه يعتقد بإمكانيّه التّلفيق فيما بين الاثنين، إنّ بيان وتحليل كلٍّ من هذه النظريّات يرتبط بالإجابه على المشاكل النّظريّه لهذه النّظريّات والّتى لا يسعها المجال الآن. ولكون القيام بهذه العمليّه يعدّ من الجوانب الأساسيّه لنظريّه (عولمه العصرانيّه) والّتى لم تغب عن بال الباحثين مطلقاً. و «إنّ هذه المعرفه والاتّجاه نحو تطبيق الحقائق الدّينيّه مع الفكر اللادينىّ والدّفاع، من خلال قراءه واحده عن حقائق الأديان الأخرى فى مقابل المؤخذات والادّعاءات الّتى تدور حولها، يزداد أهميةً على غيره بين التّنويريّين والمفكّرين الدّينيّين».(۱)

اموس وبوديار يشير فى تحليله النّقدى للعصرنه الغربيّه إلى هذه الحقيقه وهى أنّ الشّرق يعدّ مرآةً للغرب وبإمكان الشّرق إعطاء الغرب ما لا يمكنه الحصول عليه فى أقطاره. ومن المتيقّن أنّ الاختلاف الجوهرىّ والأساسىّ فيما بين الشّرق والغرب هو فى هذه النّقطه بالذّات وأنّ الشّرق يعدّ متنفّساً للغرب للخروج من أزمته الفكريّه والثّقافيّه والمعنويّه، وساحه تتبلور فيها القيم الإنسانيّه، الّتى بإمكانها المساعده فى إخراج الغرب من محنته ومعضلاته تلك.

إنّ الشّرق باعتباره مهد الحضارات والأديان السّماويّه والعرفانيّه، يمتلك محفّزات واسعه لجذب انتباه الغرب واستطاع التّأثير عليه من خلال نقد العصرنه وقراءه الغرب من جديد.

۱- (۱) هوبرماس، العولمه ومستقبل الدّيمقراطيّه، ص ۱۸۴، «التّرجمه الفارسيّه».

الحصیله

تعرّضنا فی هذا الفصل لتحلیل علاقه العولمه بالثّقافه والآراء المطروحه فی هذا المجال، وأشرنا إلی أنّ أغلب المفکّرین مع أنّهم یذعنون بعدم إمکانیّه اجتناب التّبادل الثّقافیّ والارتباط فیما بین الحضارات، فقد اتّخذ کلّ منهم اتّجاهاً مختلفاً فی مجال وضع الثّقافات فی إطار عملیّه العولمه. وقد طُرحت عموماً ثلاثه اتّجاهات من الممکن أن تتعرّض للتّحلیل والدّراسه:

۱. دراسه إمکانیّه العولمه الّتی هی بمعنی سیطره ثقافه ما أو حاکمیّه ثقافه عالمیّه واحده.

۲. دراسه نظریّه صراع الحضارات والثّقافات ونظریّه نهایه التّاریخ.

۳. إنّ السّاحه المستقبلیّه للثّقافات والأدیان من الممکن أن تکون ساحه للتّعامل والحوار فیما بین الثّقافات والحضارات.

و قد أثبتنا وبأدله وافره أنّ الصّورتین الاحتمالیّتین الأولی والثّانیه لایمکن تحقّقهما من النّاحیه الخارجیّه والواقعیّه، ولا تمتلکان أدلّه کافیه وأسساً منطقیّه من النّاحیه العقلیّه. إنّ عولمه الثّقافات بمعنی توحّدها یواجه موانع ومشاکل لا تحصی. وأنّ نظریه صراع الثّقافات بدورها لاـ تنطوی علی أسس علمیّه وأدلّه عقلیّه کافیه، ومن جانب آخر، فإنّ تفسیرها المنحاز والخطیر قد تمّ نقضه وإبطاله من خلال الشّواهد التّاریخیّه والخارجیّه. فلذا یمکن لمس النّتیجه وهی أنّه سیکون الوجه المعقول والمحتمل لقبول التّعدّدیّه الثّقافیّه والتّعایش والتّعامل فیما بین الثّقافات هو الاتّجاه العالمیّ.

إنّ التّبعیّه المتبادله فیما بین الثّقافات والتّواصل الثّقافیّ الواسع أخلی مکانه للثّقافه العالمیّه الواحده والمتّحده والّتی ارتبطت والتّحمت نظراً للأهداف والمصالح والمخاطر المشترکه. إنّ العولمه الثّقافیّه أو الثّقافه العالمیّه والّتی تتمخّض من خلال اندماج الثّقافات، تؤدّی إلی زوال الثّقافات

المتعدّده. فهل تمتلك هذه النّظريّه أدلّه وشواهد كافيه فى هذا المجال؟ وما هى الأسباب والعلل الّتى تجعل الثّقافات الأخرى تستسلم وبسهوله إلى مقتضيات العولمه؟ هل أنّ الثّقافات وبسبب عدم القابليّه والتّناغم مع الظّروف الجديده، فقدت قدرتها على المنافسه؟ أم أنّها بسبب عدم امتلاكها لأدوات العولمه وللتّطوّرات العالميّه السّريعه تسير نحو الاضمحلال؟

لقد تبيّن واتّضح أنّ المدافعين عن هذه النّظريّه لم يطرحوا أسباباً كافيه يمكن قبولها فى مجال (الثّقافه العالميّه الواحده). إنّ الثّقافات الأخرى مع أنّها لا تمتلك القدره على مواجهه الضّغوط التّماثليه للعولمه، ولكنّها ومع إعاده بناء نفسها والاستفاده من ظروف وفضاءات العولمه يمكنها الاستمرار فى المقاومه وضخّ أهدافها وقيمها، واستثمار أدوات وأسباب العولمه لنشر أهدافها وتوجّهاتها. وخصوصاً من خلال التّفسير الّذى يفسّر العولمه على أساس النّظريّات الّتى تعتبرها بمثابه عولمه العصرانيّه، الاتّجاه نحو الشّموليّه، المركزيّه والوحده؛ ولكنّ العولمه وبناءً على مكوّنات ما بعد العصرنه لا تقتضى ذلك، وإنّما تؤدّى هى أيضاً إلى تعزيز التّعدّديّه الثّقافيّه، وتُوجد ثقافات متنوّعه ومتعدّده وقنوات واسعه ومفتّته.

وفى هذا الوسط سيكون الخاسر الوحيد من بين الثّقافات الثّقافه الّتى تقف معارضه لعمليّه العولمه، أمّا بقيه الثّقافات فبإمكانها الاستفاده من فضاء العولمه بالشّكل المطلوب، وعرض متاعها على أبناء البشريّه بكافّه مللهم.

القسم الثّانی: إفرازات العولمه

اشاره

ص:۱۳۵

إفرازات العولمه

اشاره

إنّ العولمه وكما مرّ فی الصّفحات المتقدّمه ذات أبعاد واسعه ومتنوّعه، فمن الطّبیعی أن تتمخّض عن آثار ونتائج تتمیز بالسّعه والتنوّع أیضاً، ویمکن إیجازها بالأبعاد الأساسیّه (الاقتصادیّه، السّیاسیّه، الاجتماعیّه والثّقافیّه)؛ وبما أنّ هذا البحث ذو اتّجاه نظریّ ومعرفتیّ؛ فسنقتصر علی الإشاره إلی أهمّ نتائجها الثّقافیّه والاجتماعیّه، ونوکل النّتائج الاقتصادیّه والسّیاسیّه إلی المختصّین فی هذین المجالین.

العولمه و التعولم

إنّ قضیه التّعولم تعدّ من أهمّ الهواجس الفکریّه فی العصر الحالی وعلی جمیع الأصعده الّتی سبقت الإشاره إلیها، وقد برزت من خلال النّموّ العلمیّ والتّقنی وتسبّبت فی طیّ الحدود وانتشار تداول المعلومات والتبادل العلمیّ والثّقافیّ فیما بین دول العالم ومؤسّساته.

وفی مقابل التّعولم، تقف العولمه بمشروعها المضاد للعلم وبنظریّتها السّلطویّه والسّیاسیّه والّتی خُطط لها علی أسس سیاسیّه، والّتی تحاول

جعل النّظام الليبرالىّ الغربىّ نظاماً عالميّاً محوريّاً وإعطائه بعداً فكريّاً. ومن هنا؛ فإنّ إجبار الأمم والثّقافات الأخرى على اتّباع هذا النّظام يتسبّب فى نتائج خطيره وأزمات عميقه. وعلى خلاف (التّعولم) الّذى يعدّ عمليّه وصيغه وتحوّلا يشمل كافّه الجوانب التّاريخيّه والثّقافيّه والاجتماعيّه والتّقنيّه والّذى ينشأ من عوامله الطّبيعيّه الخاصّه به، أمّا العولمه فما هى إلّا مشروعاً مضادّاً للعلم وبرنامجاً سياسيّاً واقتصاديّا غربيّاً يهدف إلى السّيطره على جميع مصادر الثّروات فى العالم من خلال إزاله الحدود السّياسيّه والثّقافيّه والاقتصاديّه. وبناءً على هذه النّظره فإنّ (التّعولم والعولمه) سواء كانت مشروعاً أم موضوعاً فهى قد ابتنيت على أسس الحضاره الغربيّه. لذا؛ فإنّ هذه العمليّه سواء فُسرت حسب أسس العصرنه أو حسب نظريّات ما بعد العصرنه أو بعنوان نشر الرأسماليّه؛ لا يوجد أدنى شكّ فى التّغييرات الأساسيّه الّتى أحدثتها على مختلف الأصعده وربّما كان بإمكانها المساعده فى حلّ المعضلات والمشاكل الفكريّه والاجتماعيّه والاقتصاديّه وأزمه الهويّه الوطنيّه، ولكنّ جوانبها السّلبيّه غطّت على جوانبها الإيجابيّه باعتراف أغلب المفكّرين والنّقاد.

فنحن لم نشاهد مطلقاً وعلى مرّ التّاريخ فرض نموذج ثقافىّ معيّن على العالم وبهذه الدّرجه من السّرعه. نموذج ألقى بظلاله الكثيفه وبشكل واسع على البنى السّياسيّه والاقتصاديّه والثّقافيّه لباقى المجتمعات. فالثّقافه الغربيّه بفرض نفسها على الثّقافات الأخرى، من خلال الاستفاده من الموارد الماليّه والمعلوماتيّه والتّقنيّه الفنيّه المتقدّمه فى عمليه التّعولم؛ عملت على إضعاف وتدمير كافّه الثّقافات، وأدّت إلى تمييع التّقاليد المحلّيّه والتّراث الأصيل والتّعاليم المذهبيّه باستخدامها وسائل الغزو الإعلامىّ من الأنترنيت، الأقمار الاصطناعيّه، التّلفاز والإذاعات العالميّه، السّياحه، تصدير السّلع وفرض اللّغه

الانجليزيّه باعتبارها لغه العلم والمعلومات، وترويج النّزعه الاستهلاكيّه والتجديديّه، وإشاعه الليبراليّه فى كافّه مجالات الحياه والدعوه إلى العلمانيّه، وتمكّنت بذلك من توسيع سيطرتها على العالم.

وقد حملت عولمه الرأسماليّه والأنظمه المرتبطه بها؛ بين طيّاتها نوعاً من النّزعه التّجديديّه ومعارضه التّقاليد والآداب ممّا لا ينسجم والهويّات التّاريخيّه والمذهبيّه الأصيله. وقد فرضت هذه الثّقافه مستلزماتها الخاصّه على باقى المجتمعات، كالأخلاق المتعلّقه بالطّبيعه الّتى أتحفتنا بالمشاكل البيئويّه، والأخلاق المتعلّقه بالتّنميه النّاجمه عن الشّرخ الواسع فيما بين الأثرياء والفقراء والّذى هو فى حال اتّساع متزايد تنوء البشريّه بعبئه الثّقيل، وأخلاق عباده الثّروه والتّرف والتّرفيه والتّنعم والاستهلاك، والأخلاق العلميّه الجافّه الّتى تُنكر وبشدّه الالتزام بالأخلاق والقيم الدّينيّه، والهندسه الجينيّه والّتى تخوّل لنفسها تغيير كلّ ما يتعلّق بأسس جميع المظاهر الحياتيّه.

ففى جميع المجالات المتقدّمه لا يمكن التّحدّث عن القيم والضّوابط العالميّه؛ كحقوق الإنسان، الحفاظ على الطّبيعه، الأمن العالمىّ والعداله العالميّه دون اعتماد أساليب جماعيّه وعقلانيّه وتفاهميّه.

ونظراً لهيمنه الثّقافه الحديثه على عالم اليوم واتّساع الأزمه المعاصره عالميّاً فإنّ الظواهر الّتى تبرز هنا وهناك تعدّ خطيره جدّاً مهما بدت تافهه وصغيره حتّى لقد خيّم على الإنسانيه نوع من الشّلل والعجز المهول إلى درجه وكأنّ العالم فى انتظار معجزه ما «إنّ التّجارب البشريّه المؤلمه، الثّورات السّاعيه نحو العداله، الأحلام المدنيّه العصيّه على التّحقّق، النّزعات الدّيالكتيكيّه، الفلسفات الاجتماعيّه المتعدّده، كالماركسيّه، الليبراليّه،

الوجوديّه... الخ، كلّ ذلك ألقى بظلاله الكثيفه على الفكر والنّفس الإنسانيّه، وأوجد ثقافه معقَده ومأساويّه ومضلّله».(۱)

إنّ هـذا البعـد المأسـاويّ للفكر الغربيّ، والعـدميّه اللاـذعه والهـدّامه؛ ينعكس من خلال بعض المظاهر الخـدّاعه وجـذّابيّه السّـلع الكماليّه الأنيقه والتّقنيه الغربيّه الّتى ربّما تكون خافيه علينا بعض الشيء ولكنّها تنمّ عن أزمه ثقافيّه عميقه.

۱- (۱) تحت سماوات العالم (حوار شايكان داريوش مع رامين جهانيلكو).

۱. آثار العولمه علی الثّقافات

اشاره

یقول ورنر شاب: «إنّ العالم یمرّ فی حاله تغییرات تنشأ عنها تحوّلات أخری کان لها وجود سابق فی تاریخه المنصرم».

إنّ العالم فی حال توحّد وتصاغر وتحوّل إلی سوق مشترکه، وإنّ القریه العالمیّه الّتی تکهّن بها مارشال ماک لوهان فی طریقها للتّحقّق. وقد قال بطرس غالی الأمین العام السّابق للأمم المتّحده یوماً: «نحن نحیا فی صمیم ثوره عالمیّه، فکوکبنا الأرضی هذا یتعرّض لضغوط متزایده ومتضادّه من جهتین: موجه العولمه والنزعه نحو التفتّت والتشتّت».(۱)

إنّ العالم القادم سیکون عالماً بلا حدود، عالماً واسعاً غیر قابل للسّیطره، عالم الاتّصالات الّتی لا تحصی والتّطوّرات الخاطفه، عالم المتضادّات والغموض، عالم التّجدّد والاختراق، عالماً موحشاً ومجهولا.

أثر المجتمع المعلوماتی علی حیاه الإنسان

إنّ التّقدّم التّقنیّ من الممکن أن یعرّض المجتمع لمزید من الأضرار، و

۱- (۱) هانس بیتر وهارولد شومان، فخّ العولمه، ص ۱۰۱.

خصوصاً من خلال انتشار الوسائل والمنتجات الألكترونيّه. وسيتنامى ارتباط الأفراد والدّول مع بعضهم البعض بسبب زياده إمكانيّه الحصول على المعلومات الفوريّه. وهذا ما سيؤدّى إلى تشابك وتداخل وتعقيد غالبيّه المؤسّسات والمجتمعات. إنّ مراكز الاتّصال ومصارف عرض المعلومات تُشبه إلى حدّ ما عمل جذور الأعصاب، ولكن تحديد ما هو الإفراز الاجتماعىّ الأعمق ومعرفه نفسيّه المجتمع المعلوماتىّ أكثر صعوبه من ذلك.

وحسب وجهه نظر بعض المفكّرين فإنّ: (تقنيه وسائل الاتّصال جعلت الثّقافات العالميّه المتعدّده فى حاله تواصل واحتكاك ومواجهه مستمرّه، ولكن ينبغى أن لا نتوقّع فى الظّرف العالمىّ الفعلىّ تكافؤ نصيب الأمم والثّقافات المتعدّده فى الفرص والأخطار الّتى تواجهها. إنّ عصر المعلومات يتّسع تأثيره شيئاً فشيئاً على دائره الدّين؛ حتى شمل أيضاً الأساليب الّتى تتّبعها الأديان والمذاهب فى تعليم و نشر مفاهيمها و عقائدها، و أصبحت جميع الأديان و المذاهب فى معرض غزو تلك المعلومات القادمه من خارج حدودها الوطنيّه: «إنّ المعلومات الدّينيّه وأساليبها الدّعوتيّه ستُعرَض بشكل يختلف وأساليب المعرفه السّابقه».(۱)

تبلور قيم الثّقافه الجديده

اشاره

الوين تافلر فى كتابه (الموجه الثّالثه) يرسم عالماً يكون فيه الوفاق والوئام مع المعطيات النّاجمه عن صراع وتصادم الموجات التّاريخيّه واضحاً وضروريّاً، والّذى سيؤدّى إلى زوال الحدود السّياسيّه والسّعى نحو الوحده والتّبعيّه المتبادله وشموليّه القيم الثّقافيّه الجديده.

أمّا آل دوس هكسلى فهو أيضاً يتحدّث فى كتابه (عالم جديد مذهل)

۱- (۱) اينو باتاكا، الإعلام المذهبىّ فى عصر المعلومات «التّرجمه الفارسيّه لفيروزه درشتى».

عن عمليه العولمه ويقرّر بأنّ الثّقافه والقيم الإنسانيّه والتّاريخ البشريّ ستطوى فى درج النّسيان، ويفقد فيها الإنسان إرادته وإحساسه، ويقتصر على تلبيه رغباته فى الرّخاء والتّقدّم والتّنوّع والتّسلّى بصناعاته وتقنياته. فإنّ (الإنسان المصطنع) حسب تعبيره سيكون مقيّداً فى حكومه عالميّه واحده تحصى وتراقب وتسيطر على كلّ شىء بنظام حديدىّ صارم، عالم يستحيل فيه الإنسان والفكر والثّقافه.

هناك اعتقاد بأنّ العولمه تسير نحو إيجاد صيغه ثقافيّه وسياسيّه تماثليه وتناغميّه حيث تضمحل فيها الثّقافات المحلّيّه، ويرى فوكوياما:

بأنّ عمليّه العولمه جلبت معها ثقافه استهلاكيّه غربيّه (الأقمار الاصطناعيّه، التّلفاز، هوليود... الخ) وتسبّبت كذلك فى إيجاد نوع من عدم المساواه وعدم تكافؤ الفرص، ولكنّى أعتقد بأنّ العولمه تؤدّى إلى التّرابط المالىّ والاقتصادىّ بين جميع دول العالم.(۱)

إنّ إحدى الآثار السّلبيّه للعولمه الثّقافيّه تتمثّل فى عمليّه (العلمنه)، فقد أوجب هذا الاتّجاه الثّقافىّ الغربىّ محو قداسه الشّؤون الثّقافيّه والاجتماعيّه والأخلاقيّه قاطبه. وتقوم العولمه حالياً بترويج ثقافتها هذه عن طريق شبكات الاتّصال ووسائلها الأخرى، ويعدّ الوضع التّضادىّ فيما بين العلم والدّين، العقل والدّين، عدم تلائم الدّين مع الحرّيّه، الدّين والدّنيا، الدّين والتّنميه، الدّين والتّجدّد، أسطوريه الدّين، خصخصه الدّين والإيمان، يعدّ كلّ ذلك من علائم شيوع فكره ثقافه الاتّجاه العلمانىّ (اللادينىّ) ونفوذ ثقافه الغرب فى المجتمعات الأخرى. فراج من خلال ذلك الانفلات الأخلاقىّ والاجتماعىّ، عدم المبالاه، النّزعه الاستهلاكيّه، النّزعه النّفعيّه، عدم تحمّل المسؤوليّه وتهميش القيم الدّينيّه والأخلاقيّه.

۱- (۱) فوكوياما: نهايه التاريخ.

۱-۱. استراتیجیّه الثّقافات فی مواجهه العولمه

یشیر نیل بوستمان(۱) إلی عالم هکسلی:

حیث یعتقد بأنّ سعی صنّاع الثّقافه من أجل استسلام الإنسان؛ المطلق وغیر المشروط والمنفعل للموجات الشّمولیّه لثوره المعلومات ووسائل الإعلام، یعدّ عامل القلق الأساسیّ لعالم الیوم، ویحذّر البشریّه من الاغترار والولع بعالم هکسلی الخیالیّ والمشوّق، العالم الّذی تتحوّل فیه السّیاسه والثّقافه إلی وسیله للإغراء والغربه النّفسیّه».(۲)

وتتعرّض الثّقافات الأخری للتّدمیر من قبل ثقافه العولمه الغربیّه.

فما هی وسائل الثّقافات الأخری لمواجهه المدّ المروّع لعملیّه عولمه ثقافه الغرب؟ وتقوم المجتمعات فی هذا الاتّجاه وفی أغلب نقاط العالم باتّخاذ أسالیب متنوّعه لمقاومه الاستحاله الثّقافیّه واضمحلال الهویّه الثّقافیّه الأصیله، ومنازله ومنازعه الثّقافه الغربیه. وتسبّب ذلک فی بروز اتّجاهات مذهبیّه وحرکات اجتماعیّه ونقابیّه وبیئویّه متعدّده.

وتزامن هذا الاندماج العالمیّ للثّقافات المتنوّعه مع مسار واتّجاه معارض ورافض أیقظ الأمم والشعوب وأثارها للسّعی لاستعاده تقالیدها و تاریخها وثقافتها الرّفیعه واکتساب هویّه جدیده.

ولأجل هذا؛ ونظراً لمخاطر وإفرازات العولمه ینبغی التّوجّه إلی المسائل المعنویّه والشّعور بالقیمه العلیا للرّوح الإنسانیّه وللدّعوات الّتی طالما انطلقت فی أوساط جمیع المجتمعات لصیانه حرمه الأدیان والثّقافات. وبتعبیر سلاف هافل: «نحن نعیش مدنیّه عالمیّه واحده... فقد استظلّت جمیع الثّقافات، الأمم والأدیان، السّنن التّاریخیّه والأفکار بسقف مدنیّه عالمیّه».(۳)

۱- (۱) . neil postman.

۲- (۲) علی أصغر کاظمی، عولمه الثّقافه والسّیاسه، ص ۲۸۸، «باللّغه الفارسیّه».

۳- (۳) الثوره العالمیّه الأولی، ص ۲، «باللّغه الفارسیّه».

«وللرّدّ على الضّغوط التّماثليّه للثّقافه المادّيّه؛ غالباً ما تظهر منظومات جديده تعمل على بلوره ثقافات ارتباطيّه وهجينه متنوّعه بدل أن تحاول المقارنه بين الاختلافات الثّقافيّه».(۱)

ومن خلال تشتّت الأنظمه التّقليديّه والأسس الثّقافيّه فى عمليّه العولمه؛ تبرز ردود الأفعال والانفعالات الاجتماعيّه على شكل حركات مقاومه للاستعمار تتميّز وتتّسم بالقيم العقلانيّه وتمتلك القابليّه على أن تكون جواباً شافياً وموفّقاً على ذلك. ولإثبات هذه الدّعوى ينبغى إثبات كون هذه الحركات لها القدره والقابليّه على تحمّل عبء الوحده المتناقضه للنّشوء والسّلوك.

ويحدّد هوبرماس بعض الوظائف الّتى تؤدّى إلى عقلنه عالم الحياه:

۱. ينبغى أن تتّسم السّنن الثّقافيّه بالانسجام والتّوافق.

۲. ينبغى أن تكون العادات والقيم فى خدمه وحده وتكاتف الطّوائف والمجموعات.

۳. على الجيل الجديد التّوصل إلى السّلوك الاجتماعىّ المقبول.

إنّ نظريه هوبرماس الّتى تقوم على أساس عقلنه عالم الحياه فى مقابل أن يكون مستعمره؛ تعتقد بأنّه من الممكن استمرار السّنن الثّقافيّه والوظائف المتّحده والمتناغمه للعادات والقيم والتزام الجيل الجديد، بأن يكون اجتماعيّا (بدل أن يكون فرديّاً)، وذلك من خلال عمليّه الإدراك والتّفاهم العلاقاتىّ.(۲)

إنّ نظريّه الانفعال التّفاهمىّ لمفهوم عالم الحياه فى نطاق نظريّه اكتساب العقلانيّه الاجتماعيّه؛ هى فى صدد بيان انفصال عمليات النّظام المفتوح للنشوء الاجتماعى.

۱- (۱) هوبرماس، العولمه ومستقبل الدّيمقراطيّه، ص ۱۱۴، «التّرجمه الفارسيّه».

۲- (۲) العصرنه والتّعصرن، ص ۱۹۶، «باللّغه الفارسيّه».

۱-۲. العولمه وتعارض الثّقافات

یعتقد ماركس بأنّ الفارق الثّقافیّ یعدّ سبباً للتّوتّر والنّزاع والتّعارض، ویوجد أزمات عالمیّه لا یمكن حلّها إلّا من خلال حذف أحد الطّرفین، وأنّ الحرب فیما بین الثّقافات حرب لا نهایه لها.

إنّ العولمه الفعلیّه تعدّ اضمحلالاً حضاریّاً وفرصه لبروز ثقافه مركّبه وجدیده، أیّ؛ إیجاد فضاء مشترك للإبداع والإنتاج الثّقافیّ، والتّمهید لحصر التّأثیر بالقوی العظمی عن طریق امتلاكها التّقنیات الحدیثه والإمكانات المادّیّه والقدره الأكبر فی الاستفاده من شبكات الاتّصال العالمیّه، وتعریض سائر الثّقافات الأخری الّتی لا تمتلك ذلك إلی الهزیمه والاندحار والوقوع تحت سیطره الثّقافه العولمیّه الغربیّه.

من دون شكّ إنّ العولمه ترافقت مع ظاهره أخری الا وهی (الغربنه) أو العولمه أحادیّه الجانب، والّتی «تهدّد فیها الدّول الغربیّه العصریّه الثّقافات الأخری، من خلال الاستفاده من التقنیه المتقدّمه والعلوم الاستراتیجیّه وصناعه النّماذج الثّقافیّه».(۱)

إنّ هذا الاتّجاه برز فكریاً فی نظریات بعض المفكّرین الغربیّین، وخُطط له و أُقرّ عملیّاً من قبل صنّاع السّیاسه الغربیّین وقادتهم. فهنتیغتون الّذی یعدّ من المنظّرین والاستراتیجیّین الغربیّین، وفی نطاق نقده نظریّه (الحضاره العالمیّه الواحده) واعتقاده بتعارض الأدیان والثّقافات؛ اعتبر الدّین هو الهویّه الأساسیّه للمجتمعات، فیقول: «یتمتّع الدّین فی عالمنا المعاصر بمركزیّه ومحوریه، وأنّ الهویّه الدّینیّه للثّقافات السّائده والتّعارض الموجود فیما بین الأدیان والثّقافات یقضی علی إمكانیه تحقّق الحضاره العالمیّه الواحده».(۲)

۱- (۱) (مصدر العولمه، اضمحلال الثّقافه و أزمه الهویّه) صحیفه همشهری، ۲۰۰۳، «باللّغه الفارسیّه».

۲- (۲) كاظم علم داری، نقد نظریّه صراع الحضارات، «باللّغه الفارسیّه».

وفی الجواب علی ذلک ینبغی القول: إنّ الشّواهد الواقعیّه والتّاریخیّه تدلّل علی أنّ أهمّ عوامل الصّراع الإجباری فیما مضی هی المسائل القومیّه ولیست الدّینیّه أو الحضاریّه، وأنّ انقسام المجتمعات کان یرتکز علی أساس القومیّه أکثر منه علی الدّین والثّقافه.

ایزابیل مونال ذات الاتّجاه الشّیوعیّ تقول فی روایتها للتّطوّرات العالمیّه: «إنّ المجتمع الواحد فی المقیاس البشریّ یعنی فی الواقع إیجاد ظروف، لعدم المواساه علی المستوی العالمیّ فی ظلّ حکومه واحده».(۱) ویأتی الحلّ فی نظرها من خلال العمل علی «بسط العداله والمساواه عالمیّاً بادئ الأمر، ثمّ السّعی لتأسیس هذا المجتمع الواحد». ومن البدیهی أنّ مثل هذا الحلم لایمکن تحقّقه مطلقاً، وأنّ هذه الوحده غیر مرغوب فیها وغیر ممکنه عملیّاً. إنّ الدّخول إلی المجتمع العالمیّ بشکل متکافئ تعدّ فکره ساذجه ومجرّد حلم لا یمکن تطبیقه علی أرض الواقع لعدم تکافؤ الثّقافات أساساً. ومن هنا فإنّ بسط المساواه فی المجتمع العالمیّ یؤدّی إلی زوال ومحو التّنوّع الثّقافیّ. أضف إلی ذلک أنّ فکره المساواه لیس لها معنی واحداً ومشابهاً علی مستوی کافّه الثّقافات. ولهذا فإنّ الدّخول المتکافئ والحرّ وإن حدث بلا ضغوط فستکون نتیجته الاستسلام الثّقافیّ لثقافه أقوی وأقدر، «إنّ المجتمع العالمیّ کمیدان للأفعال والانفعالات المترابطه والّتی تمتزج فیها العوامل السّیاسیّه لایمکن أن تتحقّق فیه ثقافه متماثله وواحده، بل إنّ ندره الثّقافه الأصیله کندره الأمّه والعِرق الأصیل».(۲)

ومن خلال محصّله المسائل الّتی تعرّضنا لنقدها ومناقشتها نستنتج أنّه بسبب الضّغوط التّماثلیّه للعولمه سیبرز النّزاع فیما بین التّقالید والهویّه والقیم؛

۱- (۱) جنکیز بهلوان، علم الثّقافه، ص ۴۷۹، «باللّغه الفارسیّه».

۲- (۲) المصدر نفسه، ص ۵۴۰.

الوطنيّه وما فوق الوطنيّه. إنّ التّحقيقات المتعلّقه بمعرفه الإنسان الجديد تشير إلى أنّ الجدل يحكى عن أنّ توازن الثّقافات من جهه، والافتراق الخلّاق لها من جهه أخرى يؤدّى إلى اتّساق الثّقافات الأصيله فى منظومات جديده للرّدّ على الضّغوط التّماثليّه للثّقافه المادّيّه العالميّه. وبدل أن تخوض فى تمييز الاختلافات الثّقافيّه، تسعى لتأسيس صيغ ثقافيّه جديده ومتعدّده. فعلى سبيل المثال؛ الهجره غير المقصوده، وسائل الاتّصال الواسعه والتركيبات العِرقيّه عرّضت الاتّجاهات الدّينيّه والثّقافيّه والوطنيّه لتغييرات عميقه. فهل نحن نعيش حاله تماثل وتجانس ثقافىّ فيما بين الأمم أم لا؟ وهل من الممكن تحقيق الثّقافه العالميّه الواحده؟ وهل من الممكن أن تتبلور ثقافه عالميّه فى ظل حاكميّه الدّوله - الشّعب أم لا؟.

ولو افترضنا إمكان ذلك، فما هو السّبيل لتبلور ثقافه عالميّه؟ وللإجابه على هذه الأسئله يمكن عرض بعض الآراء فى هذا المجال:

١. نظريّه النّزعه التّكامليّه؛ وتعتقد هذه النظريّه بأنّ مسار العولمه يحافظ على نموّ الثّقافات الأصيله، وتتعرّض الثّقافات الوطنيه للتّغيير فى عمليّه تبلور ثقافه عالميّه، ولكن الثّقافه العالميّه بذاتها لا يمكنها إضعاف الثّقافات الدّينيّه والوطنيّه والقضاء عليها؛ لأنّ الأنظمه القيميّه وسلوكيّات وعادات الثّقافات الأصيله هى على درجه من القِدم والقدره لا يمكن معها إجبارها على الانسحاب وإخلاء مكانها للخصوم، وأنّ الثّقافات الوطنيّه تستطيع ضمن المقتضيات الجديده إدامه حياتها وأن لا تتعرّض للاستحاله فيما لو كانت متجدّده ومنتجه ومندمجه فى إطار أصولها الدّينيّه والأخلاقيّه.

٢. نظريّه المؤامره أو (نزعه الهيمنه)، وترى هذه النّظريّه أنّ ثقافه العالم المستقبليه ستشهد ثقافه إمبرياليّه وغربنه وأمركه الثّقافات فى العالم. وتعبّر هذه النّظريّه عن رأى أغلب المنظّرين والمفكّرين وعلى رأسهم فوكوياما.

۳. نظریه صراع وتضادّ الحضارات؛ وأوّل من طرح هذه النّظریّه برنارد لویس وتبعه فی ذلک هنتیغتون.

۴. نظریه التّعدّدیّه الثّقافیّه؛ والّتی یعتقد بها الحداثویّون.

۵. نظریه النّزعه الوحدویّه غیر التّسلّطیّه؛ إنّ أحد الذّین تعرّضوا لمبحث الثّقافه فی إطارها العالمیّ هو والرّشتاین. فبطرحه نظریّه الأنظمه العالمیّه یری أنّ نظریّته هذه ترتکز علی منطق خاص. ویحلّل ذلک علی أساس أنّ الاقتصاد العالمیّ وبالتکدّس غیر المحدّد لرأس المال ومن خلال نهایه الرأسمالیّه؛ یؤدّی إلی إیجاد مشاکل للثّقافات، وفی الواقع أنّ عولمه الاقتصاد یؤدّی إلی عولمه نوع خاصّ من الثّقافه تنعکس مقتضیاتها علی شکل انفصام وانشراخ فی الأنظمه العالمیّه.

ونظراً لهذا الوضع من جهه وللتّنوّع الثّقافیّ من جهه أخری؛ فهل یمکن الیوم التّحدث عن ثقافه واحده وقیم عامّه وعالمیّه تکمن خلف الثّقافات الخاصّه؟

من المؤکّد أنّ الجواب سیکون إیجابیّاً، وذلک لکون الإنسان وبغضّ النّظر عن الثّقافات والأدیان والفلسفات؛ متعطّش بطبعه للحرّیّه ویأمل فی إزاحه القیود والمشاکل والمعوّقات عن طریقه لیتمکّن من السّیطره علی ظروف حیاته المحلّیّه، ففی عملیّه التّطوّرات العالمیّه والعالم المشحون بالتّعقیدات وعدم الیقین، لم یعد للمجتمعات البشریّه حیله سوی استحداث ظروف تتطابق وتنسجم مع تلک التّطوّرات، لیتمّ التّغلب علی المشاکل العالمیّه من خلال المواجهه المعقوله مع الحاجات والفرص المتاحه والّتی تمرّ مرّ السّحاب.

وبهذا التّعریف الشّائع للعولمه، فهل یمکن اعتبارها مدینه فاضله کالمدن الفاضله الغابره؟ إذا أخذنا التّقدّم الفکریّ والمعرفه البشریّه المتطوّره وثوره

المعلومات بنظر الاعتبار يمكن أن يكون الجواب كالآتى: إنّ البشريّه قد وصلت إلى طريق مسدود من خلال تجربتها كلّ الوسائل والطّرق، فلذا عليها أن تأخذ العبره من ذلك وتقلع عن الاشتباهات الّتى ارتكبتها وتصوغ حياتها على أسس ومعايير إنسانيّه أخرى لتحسين حياتها المستقبليّه، فمسأله أن تفكر البشريّه بمستقبلها لتصنع حياه أفضل يعدّ من أهم الهواجس الّتى راودت مخيّلتها طويلاً.

فإذا افترضنا أنّ حلّ وانفراج الأزمات العالميّه بحاجه إلى أساليب جماعيّه، فإنّ هذه الأساليب لا يمكن تحقّقها إلّا باتّباع العقلانيّه الجماعيّه والعالميّه الّتى تبتنى على قواعد وأصول وقيم ثقافيّه مشتركه، وإلّا فإنَّه من المستبعد جدّاً تحقّق العولمه فى الواقع الملموس مع عدم وجود الباعث المشترك والمشاركه الجماعيّه لكافه الثّقافات والمجتمعات.

۱-۳. مواجهه العولمه الغربيّه

«يعدّ الكفاح دون السّيطره الثّقافيّه، وإغناء الثّقافه العالميّه من خلال الثّقافات الوطنيّه والدّينيّه؛ من البرامج الأساسيّه والأساليب المؤثّره فى هذا المجال».(۱)

وينبغى طرح نموذج جديد للعولمه يستبدل فيه الاستغلال، الاحتكار، التّفوّق، عدم المساواه والفقر؛ بالتّضامن، الشراكه، المساواه، المعرفه وتمكين جميع النّاس من الاستفاده من المعلومات والتّقنيات الحديثه. فإنّ الظّرفيّه والاستعداد والقدره متوفّره لأجل صنع عالم متكامل ذى شعور بالمسؤوليّه وعلى الإراده الإنسانيّه والعقلانيّه والتّفاهم

۱- (۱) باروى ايزاك وآخرين، المسارات الأخيره للعولمه، ص ۱۱۳، «التّرجمه الفارسيّه لأحمد جواهريان وهما».

ویتبلور علی أساس النّماذج والحقوق الإنسانیّه، ویعترف فیه بحق التّنمیه لجمیع الثّقافات والحضارات.

إنّ السعی لإیجاد عالم یهدف إلی توفیر الرّخاء والنّفع العامّ والسّلام والعدل العالمیّ لیس ممکناً وعملیّاً فحسب، و إنّما ونظراً للمعضلات والأزمات العالمیّه الحالیّه وعجز المدارس اللیبرالیّه والاشتراکیّه؛ یعدّ الحلّ الوحید والأسلوب الأمثل والمعقول الّذی یوثق به. ومن هنا؛ ینبغی بلوره العولمه بالارتکاز علی التّضامن والشراکه واحترام حقوق کافّه أفراد البشریّه والثّقافات والعلم والقیم المعنویّه والإنسانیّه.

۱-۴. آثار العولمه علی الدّین

إنّ إحدی آثار العولمه الحالیّه؛ النّزاع المستعر فیما بین النّزعه الدّنیویّه والدّین، فتعدّ النّزعه الدّنیویّه من المواضیع المعقّده الّتی لها نتائج أخلاقیّه، تربویّه، ثقافیّه ومذهبیّه. ومن الطّبیعیّ أنّ ذلک لا یؤدّی إلی المحو الکامل للفکر والفعّالیّات المذهبیّه؛ لأنّ الدّین ما زال بإمکانه الإجابه عن الأسئله المعاصره، کما کانت له القدره علی الإجابه عن الأسئله الماضیه. ومع کلّ ذلک فإنّ أغلب أوضاع الحیاه الاجتماعیّه الحدیثه لا تنسجم وتحکّم الدّین بجزئیّات الحیاه البشریّه.

«إنّ المعرفه المذهبیّه للعالم أخلَت مکانها للمعرفه التّنویریّه والتّجریبیّه. المعرفه الّتی ترتکز علی التّقنیه المادّیّه والأصول الاجتماعیّه».(۱)

فلطالما کان الدّین والتّقالید مترابطین، وإنّ الفکر الانفتاحیّ الّذی یختصّ بالحیاه الاجتماعیّه الحدیثه مغایر وبصوره مباشره للتّقالید والآداب، وإنّ ما تعرّضت له التّقالید من الضّعف قد جاءها فی أغلب الأحیان من قبل الدّین.

۱- (۱) انتونی غینز، إفرازات العصرنه، ص ۱۳۰، «التّرجمه الفارسیّه لمحسن ثلاثی».

مع أنّ العولمه بـذاتها تعـدّ حلمـاً لجميع الأمـم والأديـان، ولكنّهـا فی الوقت الحاضـر «تواجه معوّقـات أساسـيّه ومهمّه كاختلاـف الثّقافات والأيديولوجيّات وتعارض المصالح الوطنيّه الّتی ما زالت تعدّ الأساس فی العلاقات الدّوليّه».(۱)

ومن ضـمن نتائج العولمه؛ الضّـغوط الّتی يتعرّض لها الدّين والعقائد المذهبيّه والثّقافات الأصـيله للمجتمعات الأخری. ففی عمليّه العولمه تمـارس العلمـانيّه والنّزعه النّسبيّه ضـغوطاً علی الـدّين والفكر الشّـعبیّ، فالعلمـانيّه تـدّعی بـأنّه من غير المناسب أن يكون الدّين مؤثّراً من النّاحيه الاجتماعيّه. فهی لا تنسجم والالتزام بالقيم الأخلاقيّه والإنسانيّه.

فهـل أنّ العولمه تؤدّی إلی القضـاء علی الـدّين والقيم المـذهبيّه أم أنّ الـدّين يسـتطيع كسب إمكانات وفرص ومخاطبين جـدد، وتكون العولمه فضاءً مفتوحاً لإنجازات ثقافيّه وإعلاميّه للدّين؟ وتسـتطيع الأديان من خلال تشذيب نفسها والتّأكيد علی العقلانيّه والقيم الإنسانيّه أن تلعب دوراً مؤثّراً فی بلوره ثقافه جديده. إنّ الإسلام لا يتنافی والجوانب الإيجابيّه والعقلانيّه للثّقافات الأخری، ومن هنا لا يوجد أیّ سبب لإبعاد الدّين عن واقع الحياه الاجتماعيّه مستقبلاً وفی عصر العولمه.

إنّ شـرط اسـتمرارالدّين فی عـالم اليوم؛ هو التّجـدّد والنّشـاط والاتّجـاه العقلاـنیّ لأتباعه. فالإسـلام ومن خلال دعوته إلی العلم، الكرامه الإنسـانيّه، حقوق الإنسان، العـداله الاجتماعيّه، حرّيّه الفكر والـدعوه إلی السّـلام ونبـذ العنف وكثير من التّعاليم الأخری؛ باستطاعته المساعده فی عمليّه التّنميه، التّقدّم العلميّ ونموّ الدّيمقراطيّه. ومن النّواحی الأخری يستطيع الإسلام ومن

۱- (۱) الجامعه الرضويّه للعلوم الإسلاميّه، فكر الحوزه، العدد السّادس، سنه ۲۰۰۳.

خلال ارتکازه علی الفلسفه الإسلامیّه الّتی تؤکّد علی أصاله الوجود والإلوهیّه والاعتقاد بهدفیّه عالم الوجود؛ تحقیق مکاسب جدیده وتجسید آمال وطموحات المجتمع البشریّ فی معرفه الوجود والعلم المعرّفی، وبإمکان البلاغات الأخلاقیّه والعرفانیّه والمعنویّه للإسلام من إیجاد حلول مناسبه للأزمات المعنویّه فی عالم الیوم.(۱)

ص:۱۵۳

۱- (۱) (العولمه و أزمه الهویّه) فصلیّه مطالعات وطنیّه، العدد العاشر، سنه ۲۰۰۲، «باللّغه الفارسیّه».

۲. الإفرازات الاجتماعيّه للعولمه وعولمه العصرنه

أ) الإفرازات الاجتماعيّه للعولمه

فی حال أنّ أنصار العولمه يعتقدون بشمول إيجابيّتها جميع أبناء البشريّه وأنّها صيغه لا يمكن تلافيها لدوام عمليّه التّنميه، وأنّها نتيجه طبيعيّه للإبداع والتّقدّم العلميّ والتّقنی. يری مخالفوها بأنّها ليست سوی مشروعاً سياسيّاً واقتصاديّاً تصبّ فی صالح الدّول المتقدّمه والليبراليّه الجديده، ويحذّرون من أبعادها المتشعّبه السّياسيّه والاقتصاديّه والثّقافيّه، وأنّها مجرّد شماعه للتّغطيّه علی أهدافهم الرأسماليّه الليبراليّه.

فعولمه الفقر، زياده البطاله واختلال توازن التّنميّه الّتی تعدّ من ضمن إفرازاتها؛ استُخدمت فی المجال السّياسیّ كحربه سياسيّه ضدّ دول الجنوب ممّا أدّی إلی تنامی الحركات ذات الاتّجاه القوميّ، العِرقیّ، الاقتصاديّ والمذهبیّ. وبينما يشير أنصارها إلی النّمو الثّقافیّ وتنوّعه فی مجالها الثّقافیّ، يصف معارضوها ذلك بأنّه إمبرياليّه ثقافيّه وتسلّط ثقافه لاديتيّه ولاأخلاقيّه تعرّض القيّم التّراثيّه للخطر.

إنّ البشريّه علی طول تاريخها لم تواجه يوماً مثل ما تواجه اليوم من تهديدات ومخاطر عديده:

۱. تأزّم التركيبه القديمه للتّقاليد وتعرّض الأنظمه القيميّه لغزو الثّقافات اللاقيميّه وفقد الأيديولوجيّات قدرتها على التّأثير وعدم وجود رؤيه موحّده للمعضلات العالميّه. ووصول المواقع والمؤسّسات الدّوليّه الحاضره إلى طريق مسدود.

۲. ازدياد تضامن المجتمعات الوطنيّه فی مجالات متعدّده كانتقال العلم، الهجره المؤقّته والدائمه، غزو الثّقافات الأجنبيّه والتبادل الاقتصادیّ واتّجاه المجتمعات غير المتجانسه الّتی تتفاوت مع بعضها ثقافه وآداباً وحاكميّه تفاوتا أساسيّا؛ إلى الاتّصال ببعضها البعض.

وحسب قول السّيد سويد ياتكومو عميد جامعه الأمم المتّحده: «لقد تعرّض الجميع للضّرر والأذى فی عمليّه الاتّحاد العالمیّ. وأنّ مجتمعاتنا أضحت تتلاعب بها قرارات تُتّخذ فی مكان آخر من العالم».(۱)

۳. وقد أثّرت تأثيراً جدّيّاً على علم المعرفه ومعرفه الوجود فأدّى ذلك إلى اختلال تصوّراتنا حول المكان والزمان والعالم الواقعیّ، كما يشير إلى ذلك روبتسون:

«إنّ العولمه وسّعت من نطاق وعمق معرفه الإنسان بالدّنيا بعنوانها مكاناً واحداً» فهی تسوقنا باتّجاه (عالم افتراضیّ) و (واقعيّه افتراضيّه) من جهه، وتبعدنا عن العالم الواقعیّ والطّبيعیّ من جهه أخرى. وتعمل على تغيير ماهيّه الحياه، الهويّه الفرديّه والاجتماعيّه، الزمان، الفضاء، المكان، الحدود المادّيّه، الحاجات البشريّه وخلقت لنا مشاكل جديده. وأدّت إلى تطوّرات مهمّه على مستوى العالم اجتماعيّاً واقتصاديّاً وثقافيّاً وتعليميّاً، وغيّرت المشهد فيما بين الواقعيّات والقيم.

۱- (۱) كينغ، الكساندر وشنايدر، الثّوره العالميّه الأولى، ص ۲۱۸، «التّرجمه الفارسيّه لشهيندخت خوارزمی».

إنّ العولمه ذات اتّجاه تغييرىّ للزّمان وارتباطه بالمسافه، ومن خلال تأكيدها على السّرعه وتسريع عجله الحياه؛ ساهمت فى إيجاد حياه تتّصف بمنافسه مشحونه امتزجت فيها سرعه الزّمان وتراكم وزحام المعلومات.

۴. أمّا من الوجهه الثّقافيّه والعلميّه فإنّ النّمو والتّقدّم التّقنىّ والمعلوماتىّ والتّبادل الثّقافىّ والعلمىّ هيّأ جوّاً من الحاجه إلى تعامل وانسجام المجتمعات المختلفه مع بعضها البعض على مستوى العالم. ويعدّ هذا التّطوّر بذاته ممهّداً لعمليّه العولمه وتسارعها. إنّ هذه العمليّه المعقَده عزّزت التّواصل فيما بين الدّول والشّعوب، وأوجدت تبعيّه متبادله فيما بين المجتمعات، أدّت بها إلى النّزوع نزوعاً إقليميّاً وعالميّاً.

۵. إنّ سلسله الإفرازات الاجتماعيّه والتّقدّم العلمىّ والتّقنى غيّر وبصوره واسعه أساليب التّواصل والعلاقات الإنسانيّه، وإنّ التّطوّرات المرتكزه على الفكر العلمى والتّقنى أمثال؛ زخم الطّاقه الذّريّه، السّفر الفضائىّ، الأقمار الاصطناعيّه، الأنترنيت، كشف الرموز الجينيّه وتقنيه النّانو... الخ؛ تُبدّل كلّ يوم نظرتنا إلى العالم. فقد توصّلت التّقنيه الحديثه فى برمجه وخزن واستعاده المعلومات إلى نتائج مذهله وحصدت مكاسب رائعه. وتقدّمت وسائل الاتّصال الدّيجيتاليّه بظرفيّتها ونطاقها على جميع الوسائل الأخرى.

إنّ آثار شبكه الاتّصال المعلوماتىّ «الأنترنيت» باعتبارها أداه الكترونيّه جديده والّتى غيّرت أساليب الاتّصال ساهمت فى تطوير المجالات الفكريّه والعلميّه، ومازالت لها انعكاسات متعدّده لا يمكن تحديدها واكتشافها فى الوقت الحاضر.

۶. وقد عزّزت عمليّه الاتّحاد بشكل بارز، حيث ساعدت الثّوره المعلوماتيّه والبرمجه الكومبيوتريّه على توحيد المجال الثّقافىّ واتّساع تبادل المعلومات والثّقافات. فالوضع فى المرحله الرّاهنه يدلّل على أنّ (التّوسع) قد

وصل إلى نهايته المنطقيّه أكثر من أىّ شىء آخر، وأنّنا نعايش الدّخول فى عمق مرحله التّنميه، وأنّ العولمه تسير باتّجاه التّمركز والتّعقيد.

فعمليّه العولمه حوّلت العالم إلى عالم متوحّد، فينبغى علينا السّعى بتأنّ لإدراك علائم العصر الرّاهن والأزمات الّتى ستواجهنا، ومعرفه حقيقه التّعارض الاجتماعىّ والثقافىّ وأسبابه فى آفاق وأهداف المجتمعات البشريّه بشكل أفضل.

٧. إنّ الإفراز الآخر للعولمه؛ هو ظهور التعارض الاجتماعى العميق الّذى يؤدّى إلى تهديد الأمن والتّوازن والثّبات الاجتماعىّ أكثر من أىّ وقت مضى، وإنّ سيطره الثّقافه الرأسماليّه «أدّى إلى ازدياد مجال المنافسه لكسب أرباح أكثر».(١)

٨. «إنّ العولمه ومن خلال الاستفاده من المعلومات والوسائل المعلوماتيّه المتطوّره والمجاميع الإعلاميّه أفرزت نتاجات ثقافيّه متنوّعه ممّا جعلت الإنسان يفقد قيمه وهويّته الثّقافيه على إثر الغزو الثّقافىّ والمعلوماتىّ، وأن يتعرّض أسلوب حياته واستنتاجاته وأحاسيسه إلى تغيير عميق، ويواجه اضطراباً ثقافيّاً وحجماً واسعاً ومحيّراً من المعلومات».(٢)

٩. «وجعلت من القلق والاضطراب والحيره ميزات مهمّه تتحكّم فى حياه الإنسان، أخلّت بالانسجام والتّوازن البيئوىّ، وغيّرت العلاقات المعهوده للمجتمعات البشريّه، وسيطرت التّقنيه الحيويّه الخطيره على حياته حتى نفذت إلى صميم شخصيّته ومحيطه الاجتماعىّ».(٣) وأدّت إلى انتزاع قدرته على الاختيار والانتخاب إلى حدّ كبير، ولقّنته ثقافه خاصّه وحاجات موجّهه

١- (١) المصدر السابق، ص ٢٠٣.

٢- (٢) بارى ايزاك، الآثار الفلسفيّه والثّقافيّه للعولمه، نقلاً عن: المراحل الأخيره للعولمه، ص ١١٣.

٣- (٣) المصدر نفسه، ص ١١٥.

نحو أهداف معيّنه. وكان من نتيجه ذلك أن سلبت منه القدره على التّفكير الحرّ والعزم والمبادره. وها هو يواجه عالماً يروّج لعدم المساواه ويشجّع على الاستقطاب الواحد، وألقى الخوف والاضطراب والحيره بكاهله على حياته. إنّ العولمه وعلى خلاف ظاهرها الغامض والجذّاب تحاول الوصول إلى أهدافها الخفيّه. ومن خلال تحريضها وتشجيعها لبقيّه المجتمعات على القبول بها؛ فهى تدعوها إلى عدم المقاومه والاستسلام لقيادها.

١٠. إنّ العولمه لم تقتصر على أنّها عجزت عن جلب الرّفاه العام، الأمن الاجتماعىّ، العمل النافع والتعليم المفيد والعداله الاجتماعيّه؛ وإنّما أقحمت البشريّه فى أزمات قاتله كالابتذال الثّقافىّ من خلال ترويج الثّقافه الغربيّه المبتذله، اضطراد اللاأمن، اللاعداله، شيوع الثّقافه الاستهلاكيه، الفساد، تنامى الجريمه، الإرهاب، المخدّرات، التهريب، تهديد الصّحّه العالميّه، التّلوّث البيئوى، الاحتباس الحرارىّ، المخلّفات الذّريّه، تدمير الغابات الّتى تعدّ بمثابه (رئه الأرض)، ثقب طبقه الأوزون وتهديدات أخرى فى مجالات الأمن والسّلامه والصّحّه النّفسيّه؛ ممّا أدّى إلى فقد الأمل فى مستقبل أفضل.

١١. أمّا فى المجال الاقتصادىّ فقد ابتنيت العولمه على الرأسماليّه الّتى اتّخذت من المال والسّوق محوراً لها والّتى تحاول اكتشاف أسواق استهلاكيّه أكثر ومصادر جديده للنّهب والالتهام من خلال الاستفاده من القوّه السّياسيّه والإعلام الخدّاع والمضلّل. وقد شاهدنا فى هذا السّياق كيفيّه تمييع المميّزات الإنسانيّه والقيم الفطريّه والدّينيّه والأخلاقيّه والتّراث الثّقافىّ.

١٢. وقد تعرّضت الدّيمقراطيّه فيها لتهديد جدّى وخطير، فسُلبت فيها حقوق المواطن وقدرته على الاختيار والحرّيّه فى الحكم والمنافسه السّوقيّه.

١٣. إنّ أىّ جهد يبذل وحلّ يطرح لإقرار الدّيمقراطيّه فى العالم من خلال تيار عولمه الأيديولوجيّه الامبرياليّه الاقتصاديّه والسّياسيّه؛

سيحكم عليه بالفشل الذّريع، وأنّ أىّ انتقاد يوجّه سيحمل على محمل السّذاجه والجهاله. ولأجل ذلك فإنّ العولمه ليست مصيراً حتميّاً لا يمكن الخلاص منه، وكذا ليست صدفه تاريخيّه لزمت ووجبت، وإنّما هى بدايه الهزيمه للحضاره الغربيّه والعصرنه الجامحه الّتى ينبغى إصلاحها والسّيطره عليها.

۱۴. إنّ العولمه دخلت مرحله حسّاسه جدّاً ألقت بسحب القهر والقيم اللاإنسانيّه والنفعيّه والإعلام المضلّل وقيميّه المال والمادّيّه على باقى القيم؛ حيث تتعرّض حقوق الإنسان فى هذه المنافسه للهدر والضياع.

۱۵. وأمّا دور الحكومات الشّعبيّه فى الاقتصاد العالمىّ فهو يتعرّض للإضعاف، ودخل التّحكّم بالمعاملات التّجاريّه وبتبادل ومسار المعلومات تحت نطاق تأثير العولمه، وخرج التّعليم والتّربيه الوطنيّه والثّقافه عن السّيطره المحلّيّه وأفلتت الحكومات زمام القدره على السّيطره والمقاومه حيال السّوق العالميّه.

۱۶. استمرار تنامى وتفشّى عدم المساواه وعدم التّكافؤ، حيث عمّقت الشّرخ الطّبقىّ، ومهّدت للأزمات الدّاخليه كالبطاله، التّخلَف، العنف وأفرزت مشاكل أساسيّه أخرى، وتعرّض التّضامن الاجتماعىّ والوحده الوطنيّه للوهن الشّديد نتيجه ذلك.

۱۷. إنّ ميزه ظاهره العولمه هو توحيد وتعميم صيغه تنمويّه ونموذج اقتصادىّ معيّن على جميع البنى العالميّه، وطرح مثال اجتماعىّ وسياسىّ واقتصادىّ وثقافىّ تحتذى به جميع الدّول والمجتمعات. وبعباره أخرى؛ إنّ مفهوم العولمه يعدّ نوعاً من الوحده العالميّه لمصلحه الليبراليّه الغربيّه الّتى يعدّ استعمار واستثمار مصادر الثّروه العالميّه الّذى يصبّ فى مصلحه النّظام الرأسمالىّ من إفرازاتها الأساسيّه.

۱۸. وتعمل کذلک علی تعمیق أسباب التّخلَف والتّهمیش، باعتبارها من مؤشّرات العلاقات الدّولیّه علی المستویین الاقتصادیّ والاجتماعیّ. وتوسیع الهوّه فیما بین الأمم، وتمهید الأرضیّه للسّیطره علی المخاطبین بقدره أکبر ومن مسافه شاسعه. وإعاقه أیّه أمّه من أن تقیم استراتیجیّه مؤثّره لاستمرار بقائها واستحکام أمنها؛ إلّا من خلال التّمکّن من السّیطره علی التّطوّرات الدّائمه فی نطاق وسائل الإعلام والاتّصال.(۱)

إنّ الحضاره الغربیّه تؤمن وتدعو بشکل جازم للمساواه الإنسانیّه فی إعلاناتها الخاصّه بحقوق الإنسان، ولکنّها علی النّطاق العملیّ تطبّق أنواعاً من التّمییز واللاعداله الأخلاقیّه والفکریّه والمذهبیّه والاقتصادیّه والسّیاسیّه والاجتماعیّه. ففی حال أنّها تدّعی الدّیمقراطیّه وحکم الشّعب للشّعب وتضعه فی أولویّه شعاراتها السّیاسیّه ولکنّها تمارس حکم الأقلّیّه وتُجیز تفضیل فئه معیّنه علی غیرها.

۱۹. ومن ضمن الإفرازات الأخری للعولمه؛ التّعارض العملیّ والمنطقیّ فیما بین ترکیبتین: الترکیبه الغربیّه والترکیبه غیر الغربیّه، ففی المجال التّاریخیّ علی سبیل المثال؛ نلاحظ أنّه کلّما بدت بوادر ولاده مجتمع مثالیّ، عالمیّ ومتکامل؛ تبرز تیّارات علی خلاف ذلک ترتکز علی المذهب، اللّغه، التّراب والعِرق.... الخ لتقوم بزعزعه أسسه ومقوّماته.

إنّ بعض القوی السّیاسیّه سعت ومن خلال اتّجاه سیاسیّ واقتصادیّ وعلی مرّ التّاریخ لتوسیع وتعمیم حکمها وتسلّطها علی العالم، فبرزت ظواهر کالنّازیّه، الشّیوعیّه والیبرالیّه فی هذا المجال. وقد وقفت هذه التّیارات فی مقابل المساعی والبواعث الإنسانیّه والمثالیّه والمذهبیّه الّتی تسعی لعولمه القیم الإنسانیّه والدّینیّه الأصیله.

۱- (۱) الثّوره العالمیّه الأولی، «باللّغه الفارسیّه».

وعلى العموم، فقد عمل النّظام الليبرالى ومن خلال ارتكازه على فلسفه أصاله الفرد والحقوق الفرديّه؛ على إضعاف المقوّمات الأصيله للحياه الاجتماعيّه. ولذا فليس بإمكانه ادّعاء كونه عولميّاً، أو أنّه يسعى للوحده وإقرار المشتركات الثّقافيّه والتعامل المجتمعيّ العالميّ المشترك، أو لتحقيق العداله والسّلام والنّظم العالميّ والتّنميه الشّامله. أمّا العقلانيّه فلابتنائها على أسس كالنّزعه الإنسانيّه وأصاله المنفعه، فهى غير قادره على الاعتراف بالقيم الدّينيّه والثقافيّه للمجتمعات الأخرى.

ويعتقد البروفسور هارى ارتونر أستاذ الحقوق الدّوليّه فى جامعه تورنتو: «أنّ العولمه ظاهره معقّده وغامضه ومرموزه لا يمكن استنتاج قراءه واحده منها، فصحيح أنّها أمر محتوم لا يمكن تلافيه فى عالم اليوم، ولكن هذه الظّاهره بقسوتها المفرطه تسوق المجتمعات البشريّه نحو الضّلال والانحراف والدّمار».(۱)

وهى تسعى للاستبداد واستغلال الأمم الأخرى وتفضيل أصحاب التّقنيه والدّول الّتى تحتكر عاملىّ الثّروه والقدره العلميّه والتّقنيه. ولذا؛ فمثل هذه العمليّه وهذا النّموذج من العولمه سوف لا يتمخّض إلّا عن تزايد الفقر والإجحاف، والأزمات البيئيّه والاجتماعيّه والأمنيّه.

«وأخيراً فقد ودّع العالم القرن العشرين بأزمات بلغت من التّعقيد والعصيان على الحلّ إلى درجه أصبح التّصديق بإيجاد حلول لها أشبه بالمستحيل، حتى أطبق ضباب الحيره على البشريّه جمعاء. وأنّ شعوب العالم الّتى تشابكت روابطها فى مجتمع عالميّ تسيطر عليه المغامرات والمجازفات غير المرغوب فيها؛ أُكرهت على مواجهه ترابط السّاحه العالميّه وشبكات التّخطيط المشترك وندره الفرص ومحدوديّتها».(۲)

۱- (۱) زوغانوف غنارى، المراحل الأخيره للعولمه.

۲- (۲) يورغن هوبرماس، العولمه و مستقبل الدّيمقراطيّه، ص ۷۹، «التّرجمه الفارسيّه لكمال بولادى».

«فالعولمه ما هی إلّا مجموعه تعارضات تزداد اتّساعاً وتراکماً فی کلّ اتّجاه، ومع أنّ البشریّه تزداد قدره علمیّاً وتقنیّاً یوماً بعد یوم، ولکن اتّضح فی ذات الوقت أنّ تطوّر قوی الإنتاج لا یستطیع لوحده تذلیل المشاکل وحلّ تناقضات العالم الجدید».(۱)

«إنّ الأوضاع العالمیّه تتسارع نحو اللا استقرار، اللا عداله، عدم الثبات والفوضی السّلوکیّه. ففی الواقع أنّ عالم الیوم المتحضّر قد ابتلی بأزمات متعدّده خیّمت علیه بجمیع أبعاده».(۲)

ممّا دعی بعض قاده العالم المعاصرین إلی التّصریح بأنّنا: «إذا لم نستطع معالجه الصّعوبات والأزمات العالمیّه المعاصره من قبیل الحرب، الانفجار السّکانی والنّظام البیئویّ؛ فسیبدأ العدّ العکسیّ لنهایه الأیام الأخیره من الحیاه البشریّه علی سطح الأرض».(۳)

نحن لسنا بصدد التکهّن بمحتملات المستقبل، ولکنّنا فی صدد توضیح الإفرازات المستمرّه للتّطوّرات الحالیّه، ونتائج التّقنیه کهندسه الجینات وتغییر التّرکیبه البیولوجیّه الّذی یؤدّی إلی تغییر أساسیّ فی مفهوم الحیاه والمبادئ المرتبطه بها. فعلی سبیل المثال؛ أنّ استیلاد الشّبیه بواسطه حفظ الحُیی المنویّ للأب الّذی کان وافاه الأجل منذ سنین متمادیه والأسالیب التّربویّه والاجتماعیّه الواجب اتّباعها حیاله والمستلزمات الدّینیّه والأخلاقیّه والإنسانیّه لمثل هذا الکشف یبشّر بمستقبل مبهم وضبابیّ.

والحرکات النّسویّه الدّاعیه إلی استقلالیّه المرأه فی حیاتها الشّخصیّه والخلاص من الولاده، تربیه الأولاد، التّمتّع بحقوق متکافئه، الأمن والحرّیّه؛ تعدّ

۱- (۱) غنادی زورکانوف، المراحل الأخیره للعولمه، ص ۲۰۲، «التّرجمه الفارسیّه».

۲- (۲) روجیه دوباسکیه، الإسلام وأزمه عصرنا، ص ۱۷، «التّرجمه الفارسیّه».

۳- (۳) عالم الیوم والغد تحت ضغوط الحضارات الصّناعیّه، ص ۴۴، «اللّغه الفارسیّه».

من الاتّجاهات العلميّه والاجتماعيّه الحديثه والمتناميه والناجمه عن النّمو التّقنىّ والثّقافىّ، والّتى يبدو أنّها تسير فى اتّجاه تدمير الزّمان البيولوجىّ للإنسان.(۱)

ويؤكّد كاستلز فى كتابه «المجتمع الشّبكىّ» على أنّ إحدى مميّزات عصر المعلومات والمجتمع الشبكىّ هو أنّ التّوقيتات الزمانيّه تكون غير متميّزه فيه، وبعباره أخرى؛ خلود وعدم ثبات الزمان، أو الزمان اللازمانى.

ب) إفرازات عولمه العصرنه

الأزمات الاجتماعيّه

۱-۱. إنّ إحدى إفرازات عولمه العصرنه؛ ظهور حركات اجتماعيّه متنوّعه. فانتونى غينز، عالم الاجتماع المعاصر؛ يكشف ويعرض أربعه أنواع من الحركات الاجتماعيّه الّتى تأتى ردّاً على النسب المحوريّه ذات الوجوه الأربعه للعصرنه، فتكون الحركه العمّاليّه جواباً انتقاديّاً أو ردّ فعل حادّ على الرأسماليّه، و حركه حمايه البيئه تأتى كنتيجه لأفول حركه علم التبيّؤ(۲) و اعتراضاً على التصنيع و التقنيّه الهدّامه و فى مقابل الاستبداد غير المبرَّر و غير المنطقىّ للأنظمه الليبراليّه تبرز حركه الحقوق المدنيّه و حقوق الإنسان.(۳)

۱-۲. و الإفراز الآخر للعصرانيّه عدم المساواه المتفشّيه فى المجتمع، العنف، زوال البواعث الأخلاقيّه والإنسانيّه و روحيّه المحبّه و خدمه النوع الإنسانىّ، انعدام الاحترام المتبادل و التضامن الاجتماعىّ، و ظهور اختلالات عرّضت شأن و مكانه الحياه للخطر. و فى مقابل ذلك فإنّ الدين بإمكانه ملء هذا الفراغ الروحىّ و المعنوىّ.

۱- (۱) عصر المعلومات و ظهور المجتمع الشبكى، ص ۸۲۱، «باللغه الفارسيّه».

۲- (۲) فرع من علم الأحياء يدرس العلاقات بين الكائنات الحيّه وبيئتها، «المعرَّب عن قاموس المحيط».

۳- (۳) انتونى غينز، إفرازات العصرنه، «التّرجمه الفارسيّه لمحسن ثلاثى».

إنّ بعض التنويريّين المروّجين للعصرنه يرون بأنّ الحياه الدّينيّه إذا ما أرادت الاستمرار فی إطار العصرنه فينبغی عليها أن تنسجم و تتوافق مع مقتضيات العصر الحديث، و علی هذا الأساس فهم يعتقدون: بأنّ علی الدّين أن يصوغ كيانه بشكل؛ يتّصف بتعامل معقول تّجاه باقی الأديان فكريّاً ومعرفيّاً أوّلاً، وأن ينسجم والعلوم الّتی لها مرجعيّه اجتماعيّه فی مجال العلم المادّیّ ثانياً، وأن يرتبط برباط ينسجم وحاكميه الشّعب والإراده الشّعبيّه اجتماعيّاً ثالثاً.

وبعباره أوضح «ينبغی أن تنفصم السّياسه عن الدّين ليكون متناغماً ومنسجماً مع الحكومه».(۱) فلا يمكن القول بأنّ العلاقات الشّموليّه ليس لها أیّ أثر علی نماذج التّضامن الاجتماعیّ، بل إنّ الأمر علی العكس من ذلك؛ فيمكن تشخيص أربعه تغييرات مهمّه فی هذا المجال(۲): الأوّل؛ هو أنّ العولمه أدّت وإلی حدّ كبير إلی تجديد توجيه الرأسماليّه وفعّاليات الدّول، وكان من نتيجه ذلك تعزيز بعض التّغييرات الّتی طرأت علی الشعوب. وعلی الخصوص فی مجال نمو الحاله الشّموليّه، الّذی يشير إلی الاتّجاه نحو إضعاف الرّوابط التّقليديّه فيما بين الدّوله والشّعب. إذن فنتيجه هذه التّطوّرات والتّغيرات العالميّه هو التّأثير الشّديد الّذی أحدثته علی نوعيّه العلاقه فيما بين الدّول والشّعوب، وكذا علی؛ الحكم الذّاتیّ، قوّه الرّقابه، الرّقابه الإعلاميّه، نوعيّه الإنتاج، القدره التّثقيفيّه والبرامج التّعليميّه والثّقافيّه، وأحدثت مفاهيم وحاجات ووظائف جديده للأمم والشّعوب.

۱- (۱) صحيفه همشهری «ماهيّه العلمانيّه» محاضره ليورغن هوبرماس ألقاها عام ۲۰۰۲ فی جامعه طهران.

۲- (۲) شولت يان ارت نظره فاحصه لظاهره العولمه، ص ۲۰۰، «التّرجمه الفارسيّه لمسعود كرباسيان».

۱-۳. وأثّرت كذلك على الهويّات الاجتماعيّه والوطنيّه والّتى سنفصّل الحديث حولها فى قسم آخر من هذا الكتاب.

۱-۴. وقد أدّى انتشار النّزعه فوق الإقليميّه لازدياد العلاقات العالميّه الوطنيّه فى المجتمع الإنسانىّ وأوجدت ممهّدات وعلائم للتّضامن الاجتماعىّ.

۱-۵. وكان للعولمه دور فى نموّ الهويّات الهجينه والمجتمعات المتداخله وتسبّبت فى إيجاد الاختلاط العِرقىّ والثّقافىّ، وقد أثّر هذا الأمر تأثيراً فائقاً على الأسس الاجتماعيّه نظير التّضامن الوطنىّ، المصالح الوطنيّه، الهويّه الوطنيّه، الثّقافه الوطنيّه، اللّغه الوطنيّه واختلال توازن الثّروه المكدّسه وانتقال التّقنيه والفن وعلائم وطنيّه أخرى مختصّه بشعب ما.

۱-۶. ونواجه اليوم انعدام التّضامن الاجتماعىّ بسبب التّغيير والانفصام السّريع والمستمرّ للتّشكيلات الاجتماعيّه والثقافيّه للمجتمع المعاصر والّذى هو فى حاله تنامٍ وعلى الخصوص انهيار الأسس والهويّات والمنظّمات السّياسيّه والاجتماعيّه وفيما أبعد من ذلك وهو إضعاف الحاكميّه الوطنيّه. وكما يرى كلاوس أو: «أنّ انعدام التّضامن الاجتماعىّ يؤدّى إلى إضعاف الدّول الوطنيّه، فإنّ إضعاف الدّوله بواسطه عمليّات العولمه يعدّ مخاطره بالمصادر الوطنيّه. ويستدلّ على ذلك بأنّ المجتمعات المعاصره ينبغى تسميتها (بالمعقّده) لا (العصريّه) أو (الما بعد العصرانيّه) لأنّ الميزه الأساسيّه لها هى (المرونه). فإنّ هذه الميزه تتعارض وتوفّر الإمكانات الجديده من خلال العصرانيّه. ويوضّح ذلك بأنّ المجتمعات المعقّده أصبحت مرنه إلى درجه غدا أىّ جهد يبذل لتنظيمها وإحيائها والتوفيق فيما بين عمليّاتها الداخليه غير ممكن»(۱) وبهذا الاعتبار فإنّ التّعقيد و التّشتّت يقف حائلاً دون تحقّق الدّيمقراطيّه.

۱- (۱) كيت نش، علم الاجتماع السّياسىّ المعاصر (العولمه، سياسه القوّه)، ص ۲۶۲، «التّرجمه الفارسيّه لمحمّد تقى دلفروز».

فعلی الرّغم من أنّ الدّعوه إلی العولمه هی فی حاله اضطّراد وأعلی صوتاً من صوت الدّعوه لاحترام حقوق الإنسان والحاجه إلی السّلام والحرّیّه والحقوق الاجتماعیّه والتّغذیه السّلیمه والصّحّیّه وصیانه البیئه، ولکن ینبغی الالتفات إلی أنّ تحقّق السّلام العالمیّ، الأمن العالمیّ الشّامل، احترام حقوق الإنسان وصیانه البیئه؛ یتوقّف علی تحقّق المقدّمات المتعلّقه بها. ولهذا فمن الواضح أنّ العولمه بحاجه إلی ممهّدات وأدوات خاصّه بها، ومع أنّ التّبادل الحرّ للمعلومات وانهیار الحدود الفکریّه والسّیاسیّه والاقتصادیّه والطّبیعیّه یوجد تطوّرات عمیقه فی النّظره إلی السّلام والأمن وحقوق المواطن العالمیّ؛ ولکنّه بحدّ ذاته لا یعدّ ضماناً لتحقیق هذه المقولات العالمیّه.

فینبغی استبدال عولمه الاستغلال، الاحتکار، الأفضلیّه، التّمییز، الفقر، الأزمات البیئویّه الهدّامه، الأزمات الأخلاقیّه والاجتماعیّه؛ استبدالها بعولمه العداله والمساواه والمعرفه والمعلومات والعلم والتّقنیه والسّلام والأمن العالمیّ.

وینبغی علی العولمه؛ توفیر الفرص والنمو السّیاسیّ والاجتماعیّ والثّقافیّ المتکافئ بین جمیع النّاس. إنّ هذا الهدف یرتکز علی تعریفنا للعولمه مع الأخذ بنظر الاعتبار عواملها وأسبابها وأسسها.

۱-۷. إنّ إفرازات العولمه أحدثت تغییرات جدّیّه وأساسیّه فی طبیعه الحاکمیّه الوطنیّه، من خلال عولمه حکوماتها. وکما یقول کوفی عنان، الأمین العام السّابق للأمم المتّحده،: «نحن نعیش الیوم فی دنیا عالمیّه فینبغی أن یکون الردّ علی هذا التغییر من أهمّ وظائف قاده العالم».(۱)

۱- (۱) غنادی زرکانوف، العولمه بین العبور والانهیار، ص ۲۰۹، «التّرجمه الفارسیّه لأحمد جواهریان و هما».

وفی الوقت الرّاهن «رکعت الـدّول الوطنیّه إزاء الضّـغوط الّتی تتعرّض لها لفتـح أبوابها وحـدودها بوجه الأسواق العالمیّه، وترکوا الشّعوب لحالها، لتباشر بنفسها التّعامل مع السّوق العالمیّه».(۱)

لاـ یوجـد أدنی شکّ فی أنّ العولمه تعمل علی إضـعاف الحاکمیّه الوطنیّه علانیه، تسـهیل لغو الحـدود، تعزیز الثّوره المعلوماتیّه، اختراق الحدود الوطنیّه، والتأثیر علی الهویّات الوطنیّه والثّقافات والأفکار.

إنّ مسار العولمه مهما کان مبهماً ولکنّها واضـحه جدّاً من جهه دعوتها إلی نهایه السّیطره العالمیّه لنظام الدّوله - الشّعب فهی تعدّ بمثابه نموذج للنّظام السّیاسـیّ، وإنّ لفظه (ما بعد الوطنیّه) تشـیر إلی هذا التّغییر فی نموذج أسس القوّه والمؤسّسات الحکومیّه فی مرحله العولمه.

ومن هنا أیضاً تنشأ إبهامات وإشکالات العولمه، فهی لا تضمن کیفیّه جعل أسس مشروعیّه القدره الدّیمقراطیّه أوسع وأبعد نطاقاً ومـدی عن مسـتوی النّزعه الخـاصّه والمحـدوده فی عـالم (مـا فوق الوطنّیه). ففی هـذه الصّوره لیس بإمکـان مبـادئ الـدّوله و لا فعّالیات السّوق أن تکون مبنیً للمشروعیّه، وإنّما فقط القرار الجمعیّ هو الّذی بإمکانه توفیر مثل هذه الظّروف.

ولاـ تبقی الوحـده والانسـجام الاجتمـاعیّ للشّـعوب حکراً علی الحـاکمیّه الـوطنیّه فی عملیّه العـولمه؛ بـل تتحقّق فیهـا المشـارکه والإـراده الجمـاعیّه والمسؤولیّه المشترکه للمواطنین علی المسـتوی العـالمیّ. ویتعرّض هوبرماس لتحلیل منظومه (ما فوق الوطنیّه) وطرق الوصول إلی (الوحـده الوطنیّه العالمیّه) و یؤکّد علی الحرّیّه المتکافئه والحقوق المشترکه لمواطنی العالم بناءً علی الأصول الأساسیّه والانتزاعیّه للیبرالیّه الغربیّه.(۲)

۱- (۱) ایزاک باروی، المراحل الأخیره للعولمه، ص ۱۱۲، «التّرجمه الفارسیّه».

۲- (۲) یورغن هوبرماس، العولمه ومستقبل الدّیمقراطیّه، ص ۱۰-۱۱، «التّرجمه الفارسیّه».

«إنّ مسار العولمه یختفی خلف العصـرنه الظّاهره والعالم فوق الصّناعیّ والکومبیوتریّ وجنون الأنترنیت»،(۱) ویؤدّی إلی تحطیم أسـس العصـرنه ذاتها، ومن ضـمنها أسـس اللیبرالیّه والأصولیّه، أمّا الإفرازات الأخری للعولمه الّتی ابتلیت بها المجتمعات البشریّه فهی الإفرازات المعنویّه والدّینیّه والّتی سنشیر إلیها إجمالاً فی الفصل القادم.

۱- (۱) اکناسیورامونه، هل یسیر العالم نحو الفوضی، ص ۶۱، «التّرجمه الفارسیّه».

۳. الإفرازات المعنويّه والدّينيّه للعولمه

۳-۱. أزمه المعنويّه

إنَ إحدى نتائج وإفرازات العصرنه الغربيّه؛ بروز الأزمه الثّقافيّه وفقدان التّوازن والتّعادل فى المجالات الثّقافيّه والأخلاقيّه والقيّم الإنسانيّه والّتى تمخّضت عن النّمو والتّوسع الاقتصادىّ والمادّىّ للحضاره الغربيّه. فإنّ ابتعاد الإنسان الغربىّ عن المعنويّه والمذهب أدّى إلى تعرّضه لأنواع المخاطر وعدم الأمن واليأس والإحساس باللاهويّه والعزله والفراغ المعنوىّ والأخلاقىّ. وقد أدّى انتشار النزعه التّجديديّه ونقض الأسس الثّقافيّه ونماذج الحياه الاجتماعيّه والبنى الأخلاقيّه إلى تفتّت الأسره، وزوال العلاقات العاطفيّه والأخلاقيّه وأوجد مشاكل روحيّه ونفسيّه وساهم فى تفرّق وابتعاد الأفراد بعضهم عن البعض الآخر.

بمعنى أنّ الفرد فى المجتمع الغربىّ قد انفصم وانفصل عن تقاليده المذهبيّه، وعن تقاليده العائليّه والاجتماعيّه كذلك، وابتلى بالفقر المعنوىّ والإحساس بالعجز واليأس. فالأزمه الرّاهنه ليست أزمه علم وفلسفه فحسب، وإنّما هى أزمه عالميّه ومعنويّه وأزمه قيم كذلك. ويمكن القول بناءً على

تفاسیر علم الاجتماع: إنّ الزّمن الجدید هو زمن الأزمات، البطاله، التضخّم، الحروب العالمیّه والإقلیمیّه، الجفاف، التوزیع غیر العادل للثّروه، إنتاج الأسلحه المیکروبیّه والکیمیاویّه والذّریّه واختلال التّوازن البیئویّ وأزمه الهویّه والفراغ المعنویّ، کلّ ذلک یعدّ من علائم الأزمه فی العلم الحدیث وطریقه نظره البشریّه إلی عالم الوجود وعالمهم الذّاتیّ. إنّ جذور هذه الأزمه المعنویّه یمکن لمسها أیضاً فی ابتعاد الإنسان عن الله والغفله عن نفسه، وسیطر هذا النّسیان للنّفس علیه من خلال تعاطیه وأنسه بالأشیاء المادّیّه والفیّه؛ ممّا أدّی إلی فقده مکانته وأهدافه.

إنّ الحیاه البشریّه تتعرّص للخطر والمخاطره لارتباطها بالأمن الوجودیّ الّذی یتعرّض بدوره للاهتزاز وذلک لتمیّز أغلب جوانب الحیاه الاجتماعیّه فی الوقت الرّاهن بسمات دنیویّه علی حساب السّمات الأخری. إنّ الأمن یعتمد علی الشّعور بدوام الأشیاء والظّواهر والحاجه إلی الاعتماد علی الآخرین. وعلی هذا فکیف یمکن للإنسان أن یجد البدیل عن الدّین فی تأمین فلسفته الوجودیّه وأمنه وهویّته فی خضمّ هذه الأنظمه الانتزاعیّه والمصطنعه الحدیثه الّتی هُمّش فیها الدّین؟ وکیف یمکن توجیه أنّ استعاده أمنه المفقود یعتمد علی نوعیّه علاقته بالأفراد الآخرین والأنظمه الحاکمه؟

إنّ الوسط الثّقافیّ والمعلوماتیّ العولمیّ الّذی یعیشه الإنسان والّذی تغیّرت حدوده الخفیّه والظّاهره؛ انتزع منه ارتباطه المکانیّ والاجتماعیّ والتّاریخیّ والثّقافیّ، وأثمر عن شعوره بالغربه والوحده. وکلّما ازداد تعرّضه لغزو المعلومات المتنوّعه فإنّ حیره واضطراب عالمه الافتراضیّ یؤدّی إلی ابتعاده أکثر وأکثر عن الحقائق والواقعیّات.

إنّ ابتکار وسائل الاتّصال الألکترونیّه جعلتنا نواجه الأحداث و الأفعال والهیئات والعلاقات المصطنعه، فلا یمکن لهذه الأنواع من

الارتباط و الاتّصال أن تهب لنا الإخلاص والصّدق والهدوء النّفسىّ والرّوحىّ على الإطلاق. والسّبب الآخر لهذا الشعور باليأس واللا أمن للإنسان الحديث يستتر خلف التّغييرات المتسارعه فى ماهيّه الحياه الحديثه، الّتى تركته مشوّش الذّهن وفاقداً للإراده من خلال العمليّه المتبادله فيما بين الدّيالكتيك والتطوّر.

إنّ حقيقه العصرنه فى ذاتها لا تعير أهمّيّه للأحاسيس والعلاقات العاطفيّه، بل إنّ انعكاساتها القاسيه والعنيفه تعرّض تلك الأحاسيس والعلاقات للتّغير والتبدّل. فكثير من علماء الحضاره يؤكّدون على هذه النقطه وهى أنّ عزل الطّبيعه عن الجوهر الإلهىّ وترجيح الجسم والذهن على الرّوح والمعنويّه والانحياز إلى العلم والفكر اللادينىّ باعتباره الطّريق الصّحيح؛ أخلّ بالانسجام العملىّ والمعنوىّ للإنسان مع نظام الوجود؛ ممّا جعله يواجه أزمات غير معهوده دكّ ركائزها وألهب نيرانها بنفسه، ولكنّه يأبى ويرفض إلى اليوم التّعرّف على الأسباب الحقيقيّه لهذه المسأله.

فى حال أنّه «ينبغى البحث عن مرثيه هذه الأزمه فى تقديس العقلنه والنّهضه الإنسانيّه المادّيّه الغربيّه؛ فالإنسان الغربىّ يعتبر نفسه موجوداً مطلقاً تفوق خياراته وتصرّفاته خيارات الله وتصرّفاته، وأنّ هذه النّزعه الإنسانيّه الإفراطيّه نفسها أبعدته عن مصادر القداسه والمعنويّه. ومن هنا؛ فالمعوّل على هذا الإنسان ذاته للخلاص من هذه الأزمه. أمّا النزعه العلميّه تّجاه الإنسان والطبيعه؛ فقد جففّت بدورها الجذور المعنويّه للحياه البشريّه، فأنكر الإنسان المتجدّد والمتطوّر التّقاليد الدّينيّه جميعها من خلال تدميره للطّبيعه، والنّظره العلميّه الجافّه والمادّيّه البحته الممزوجه بالحرص النّاجم عنها».(۱)

۱- (۱) للاطّلاع أكثر؛ راجع ر. ك. حسين نصر (أزمه المعنويّه) مجلّه نقد، العدد ۳-۴، سنه ۱۹۹۸.

۳-۲. العدميه

مع غزو التّجدّد للحياه والنّزوع نحو فصل العقل عن نور الوحى؛ ابتلى الإنسان الحديث بالابتعاد عن الفضيله والدّخول فى دوّامه الانحطاط الأخلاقىّ. وغدت العصرنه فى نظره مظهراً للخيانه تجاه الإلهام والمكاشفه وانسداداً تاريخيّاً وفلسفيّاً، فهذه الأزمه فى الحقيقه قد اختلقها هو لنفسه؛ بإعراضه عن أصاله محوريّه الله.

واعتقاده بأنّ الطّريق الصّحيح يمرّ عبر متاهات العدميّه النّيتشيّه والركائز الواهيه للاستدلاليّين أو العلميّه المادّيّه.

يدّعى هيدغر أنّ (العدميّه) هى النّتيجه المنطقيّه للتّقنيه الحديثه. وأنّ الانعكاس العدمىّ للفكر التّقنىّ يؤدّى دون شكّ إلى الإنكار التّدريجىّ لجميع العقائد الشّرقيّه، هذا الانعكاس الّذى يتنفّس من خلال عمليّه التّشغيل الذّاتىّ (الأتمته) والنّمو الذّاتىّ، الاستقلاليّه والتفرّد، ويتقدّم بحركته التّنازليّه هذه ليهوى فى هوّته السّحيقه.

وإذا ما أردنا إحصاء مميّزات مسار الفكر الغربىّ ينبغى ذكر ما وصفه به عالم الاجتماع الفرنسىّ جاك لوى، فيميّزه فيما يلى:

تقنيه الفكر: إنّ الانسلاخ عن البصيره الشّهوديّه باتّجاه الفكر التّقنىّ هو عمليّه تحجيم الطّبيعه بشيئيّه الأشياء.

المادّيّه: إنّ الانسلاخ عن الصّور الجوهريّه باتّجاه المفهوم الميكانيكىّ يسبّب انتزاع جميع الكيفيّات الرمزيّه والصّفات السّاحره من الطّبيعه.

الغرائزيّه: إنّ الانسلاخ عن الجوهر الرّوحانىّ باتّجاه المسّوغات النّفسانيّه هو انتزاع لجميع الصّفات الرّبانيّه والملكوتيّه من الإنسان.

محو الأسطورهَ: إنّ الانسلاخ عن الغايه الفكريّه والمعاد والعوده إلى تاريخ الوثنيّه والدّهريّه هو خلو عن أىّ معنىً عدائىّ وغائىّ.

۳-۳. فقد المعنی والهدف

اشاره

إنّ إحدی مميّزات الحياه الحديثه هو ولع الإنسان فی البحث لاکتشاف قيمه الحياه ومعناها. فإنّ فقد المعنی تسبّب فی انجرار کثير من الأفراد وخصوصاً الشّباب نحو طرق معوجّه للتّمتّع بالملذّات المادّيّه الآنيه، وحتی الوقوع فی فخّ الفلسفات والثّقافات والأديان المبتدعه. فظاهره البحث عن المعنی بإمکانها تعريفهم بالبلاغات المعنويّه والأديان الحيويّه التّوحيديّه کالإسلام بشکل خاص.

وفيما إذا وفّقوا فی طیّ هذا البحث عن المعنويّه وعدم الوقوع فی کمين الأديان الحديثه والمصطنعه والبديل والشّبيه الّذی لا أساس ولا اعتبار له؛ فإنّهم سيعثرون علی ضالّتهم المنشوده فی الأديان المعنويّه والإلهيّه الّتی تؤمّن الجوانب الفرديّه والاجتماعيّه والمعنويّه للحياه بنحو معقول، والّتی بإمکانها التّأثير فی صنع فکر وعلم وثقافه المجتمع الجديد وإنقاذ البشريّه من خطر العدميّه والنزعه النّسبيّه وأزمه المعنويّه.

إنّ الإنسان لديه احتياجات مختلفه ومتنوّعه فإحدی هذه الاحتياجات ذات جانب مادّیّ ويتعلّق بمسائل مادّيّه کالتّغذيه، الصّحّه، السّلامه ومختلف المتع المادّيّه والرّفاهيه. وقد نال وتوصّل إلی القسم الأعظم من هذه الاحتياجات المادّيّه الّتی تريحه من المشاکل المادّيّه وتؤمّن له حياه أفضل. أمّا القسم الآخر من احتياجاته، فهی الحاجات المعنويّه الّتی ترتبط بالروح، الفکر، راحه البال والنّفس، ومن ضمن هذه الحاجات المعنويّه هی روحيّه معرفه الله والشّعور بالارتباط والاعتماد علی قدره أکبر تستحق التّقديس والإطراء والخلود، والاعتماد والتّوکّل عليها، وتمتلک الإحساس والعلم. ومازال التّاريخ يشهد علی أنّ الإنسان بذل جهوداً جبّاره ومتواصله من أجل الحصول والوصول إلی هذه الحاجه وهذا المراد، وقد واجه فی هذا المجال

مشاکل وصعوبات جمّه. فلطالما کان السّعی نحو المعبود والإحساس بالحاجه إلی مبدأ یمکن الاعتماد علیه؛ مرافقاً لتاریخ الحیاه البشریّه.

إنّ الإنسان وبحسب مقتضیات الفطره الإلهیّه المودعه فی روحه سعی علی طول حیاته للارتباط بالمبدأ الواقعیّ والحقیقیّ للخلق والإلوهیّه، ولکنّ هذا الشّعور بالحاجه تمثّل الیوم بشکل أوسع وأکثر جدّیّه، وعلی هذا الأساس والمقتضی قامت المدارس العرفانیّه المتعدّده الّتی تبغی تنمیه الرّوح وتعزیز الإراده، وکذا المدارس النّفسیّه الّتی تدعو إلی بعث الاطمئنان والهدوء الرّوحیّ؛ قامت بکسب المزید من الأفراد فی هذا الاتّجاه.

میلتن ینغر فی مقاله له بعنوان (الدّین و الحاجات الفردیّه) تحدّث عن الحاجات الّتی دعت الإنسان المعاصر أن یتوجّه صوب الدّین فیقول: «إنّ التّشرّد الرّوحیّ، الحیره، الشّعور باللاـ ملجأ، الإحساس بالعبث والاکتئاب والوحده؛ ما هی إلّا نتیجه للضّغوط النّاجمه عن التّقدّم الصّناعیّ والتّغیّر والتّحوّل العمیق الّذی تبعه فی الأسس الاجتماعیّه والثّقافیّه».(۱)

لقد جرّبت البشریّه الیوم مظاهر مختلفه من اللّذه واللهو والتّسلیه المادّیّه فی ظلّ المکاسب التّقنیّه، ولکنّها لم تتخلّص من مجموعه المشاکل الرّوحیّه والشّعور باللا أمن والعبث. بل إنّها ازدادت اضطراباً وإحساساً بالعبث واللا معنی الّذی یعصف بحیاتها.

ولأجل حلّ هذه المشاکل وتوفیر احتیاجات الإنسان المعاصر، فقد تشکّلت حرکات متعدّده وبُذلت جهوداً حثیثه علی هذا الصّعید؛ المدارس العرفانیّه، التّحلیل النّفسیّ، تناول المخدّرات والمواد المنعشه؛ ممّا یحکی عن عدم الاطمئنان الرّوحیّ والحاجه إلی الهدوء والاستقرار الرّوحیّ الّذی أصبح من هواجس علماء الدّین الّذین ینبغی أن یمثّلوا الدّواء والعلاج لآلام البشریّه هذه.

۱- (۱) ملتون ینغر، والستون و...، (الدّین والآفاق الجدیده)، ص ۱۵، «التّرجمه الفارسیّه لغلام حسین توکّلی».

دور الدّين فى الحياه

هل من الممكن أن نأمل من الفلسفه والعقل والعلم أن تقوم بدور علم النّفس فى جلب النفع وعلاج المشاكل الرّوحيّه والنّفسيّه، بينما ننحّى الدّين عن ذلك؟ يجيب يونغ عن ذلك بالسّلب: «فى مقابل الأمراض الروحيّه والأزمات الهدّامه النّاشئه عنها، لا يمكن أن ننتظر من العلم والفلسفه تقديم أيّه مساعده فى هذا المجال، إنّ العقل البشرىّ لا يستطيع لوحده حيال هذا البركان الهائل، من الغرائز والاستبداد البشرىّ؛ أن يقف بوجهه أو يحول دونه، فمهما كانت النّظريّه العلميّه دقيقه فإنّها على صعيد علم النّفس أقلّ قيمه من العقائد المذهبيّه. إنّ النّظريّه العلميّه لا تحوى تجارب فى المجالات العاطفيّه، وسرعان ما تُخلى مكانها لنظريّه علميّه أخرى، أمّا العقيده الدّينيّه فهى تستمرّ وتبقى على مدى قرون متطاوله».(۱) ثمّ يبيّن يونغ السّبب الأساسىّ (لأزمه الحضاره الغربيّه) فيقول:

«إنّ قيمه ما وراء الإيمان والعقائد والآداب والتّقاليد الدّينيّه وروحيّتها قد فقدت رونقها وضعفت إلى حدّ كبير، واستولت موجه التّشكيك والأساليب العلميّه والانتقاديّه تّجاه العقائد الدّينيّه. فالغرائز الفضوليّه والبواعث التّوسعيّه صنعت من الغرب تنّيناً ابتلع القسم الأعظم من العالم. ومنذ ذلك الوقت ألهب المذهب البروتستانتىّ الحماس فى الطوائف والأحزاب والمدارس الفكريّه على السّواء لتوسيع وتنميه العلوم والفنون. وكان من نتيجه ذلك أنّ غدا الإنسان المعاصر عرضه لعدم التّوازن والطغيان الروحىّ وما ذلك إلّا لإقصاء دور الله من حياته».(۲)

۱- (۱) يونغ، علم النّفس والدّين، ص ۵۳، «التّرجمه الفارسيّه».

۲- (۲) نفسه، ص ۸۶.

ویشیر یونغ فی موضع آخر إلی (أزمه الحضاره الغربیّه) ویقول: «إنّ الإنسان الیوم لا یفهم أنّ العقلنه قد أطاحت باستعداده للانفعال تّجاه جذور وأفکار ما فوق الطّبیعه والمیتافیزیّه فجعلته عاجزاً إلی أبعد الحدود أمام عالم النّفس الخفیّ».(۱) فمع أنّ الإنسان قد حرّر نفسه من ربق الخرافات إلی حدٍّ ما ولکنّه أوقع نفسه فی فخّ خطیر ألا وهو فقد القیم الأخلاقیّه والمعنویّه الأصیله، وانفصل عن تقالیدها وعرّضها للاضمحلال وعلُق فی شباک الحیره والتردّد. وعلی خلاف یونغ الّذی لاحظ الدّور الإیجابیّ للدّین وأرجع کثیر من أسباب المشاکل الفکریّه والرّوحیّه والمعنویّه لعالم الیوم إلی الإعراض عنه؛ یقف فروید و بإصرار شدید لیّتخذ موقفا انتقادیّاً حیال الدّین، ولکنّه مع ذلک یذعن بحقیقه أنّ الدّین کان حاضراً علی الدّوام ومرافقاً للحضاره البشریّه منذ فجر التّاریخ.

ففی اعتقاده: «لم تخل أیّه مرحله فی أیّه حضاره من المعتقدات الدینیّه».(۲) وفی رأیه أنّ العقائد والممارسات المذهبیّه علی العموم غالباً ما تکون ملجأً للإنسان فی مقابل مشاکل الحیاه الیومیّه، ولکنّها من جهه أخری یمکن أن تکون منبعا ذاتیّاً للاضطراب والقلق الذّهنیّ. إنّ الدّین متغلغل فی کثیر من مجالات الفعّالیّات الاجتماعیّه.(۳)

فبإمکان الدّین ومن خلال نموّ المؤسّسات الاجتماعیّه الحدیثه إحلال نوع من التّوازن فیما بین العقیده والمغامره، الأمن والخطوره.

۱- (۱) یونغ، الإنسان وجذوره، ص ۱۴۱، «التّرجمه الفارسیّه».

۲- (۲) فروید، مستقبل خیال، ص ۱۸۶، «التّرجمه الفارسیّه».

۳- (۳) إفرازات العصرنه، ص ۱۲۸، «الترجمه الفارسیه».

الدّين الدنيوىّ أو إنكار الدّين

۳-۴. إنّ إحدى إفرازات العولمه؛ النّزاع الجدّى فيما بين النّزعه الدّنيويّه والدّين، فالدنيويّه تعدّ موضوعاً معقّداً يتضمّن أبعاداً أخلاقيّه وتربويّه وثقافيّه ومذهبيّه، و لكن لا يبدو أنّها تؤدّى إلى الإنكار الكامل للفكر والفعّاليات المذهبيّه، لكون الدّين مازال بإمكانه الإجابه عن الأسئله الوجوديّه، كما عُهد ذلك منه سابقاً. فمع أنّ أسلوب أصاله التّجربه قد استولى على أغلب مراكز الحياه الاجتماعيّه الحديثه، ولكن مع ذلك لم يستطع الفكر المنفتح والمتجدّد الحديث الحلول محلّ المعرفه المذهبيّه للعالم.

وكذا ينبغى الإغماض عن هذه الحقيقه وهى أنّ الدّين والقيم الدّينيّه مازالت حاضره فى أكثر المجتمعات الغربيّه تحضّراً، ولم يفقد الدّين فيها سطوته، بل إنّ الاتّجاه نحو المذهب والمعنويّه يزداد اضطّراداً يوماً بعد آخر.

الإمام الخمينىّ رحمه الله فى رسالته إلى غورباتشوف، الرّئيس الأسبق للإتّحاد السّوفيتىّ السّابق، يذكّر: «بأنّ البشريّه ليس بإمكانها النّجاه من خلال المادّيّات. وإنَ عدم الاعتقاد بالمعنويّه يعدّ من أهمّ الآلام والمشاكل الّتى يعانيها المجتمع البشرىّ شرقاً وغربا».(۱)

إنّ الإنسان كلّما ازداد حصوله على اللّذه المطلقه والقوّه والرّخاء، قاده ظمأه الّلذى لا يُروى إلى التّوتّر والنّزاع واستغلال الإنسان الآخر وأبناء جنسه. فالعولمه فى رؤيه الغرب؛ تعنى النّزعه الإنسانيّه، الليبراليّه، العلمانيّه والفردانيّه الّتى لا تستطيع تكفّل وتحمّل مسؤوليّه عمل الدّين. فى حال أنّ البشريّه بحاجه إلى عالم حرّ وعارٍ من الظّلم والاستغلال واللا عداله، ممتلئ سلاماً وأمناً وعدلاً، وإنّ هذا ممّا لا يمكن للحضاره الغربيّه مطلقاً القيام به وتأمينه.

۱- (۱) صوت التّوحيد، رساله الإمام الخمينىّ رحمه الله إلى غورباتشوف.

فالنّظره النّاقصه والأرضيّه للحضاره الغربيّه إلى الإنسان جعلته يبتعد عن مكانته الإنسانيّه.

فمثل هذه الرؤيه لا يمكنها على الإطلاق أن تؤمّن السّلامه والسّعاده لمستقبل المجتمعات الإنسانيّه وأن تجلب لها الأمن والسّلام والعداله.

ومن هنا؛ ففى رأينا، أنّ العصرنه ذاتها تواجه أزمات مهمّه وبنيويّه، والمدرسه الوحيده القادره على أن تكون عالميّه، هى تلك الّتى تمتلك عمقاً علميّاً وفكريّاً وأساساً عقلانيّه أصيله، وتستطيع أيضاً الإجابه عن الحاجات الأساسيّه والتّاريخيّه للبشريّه، وليست هذه المدرسه سوى الإسلام وحده، الّذى يمتلك رؤيه شامله وكامله إلى العالم والإنسان تتطابق وتنسجم فى ذات الوقت مع العلم والعقلانيّه وتستطيع توفير جميع احتياجات الإنسان اليوم وغداً على السّواء.

و فى مقابل تأكيد البعض على أنّ الحضاره الغربيّه والعصرنه وصلت إلى طريق مسدود وتواجه فعليّاً أزمات لا تحصى؛ فلسفيّه ومعرفيّه ووجوديّه وعلميّه، تقف فئه أخرى يمثّلها غينز وهوبرماس تؤكّد على إعاده بنائها وعولمتها. إنّ نظره العصرنه إلى الإنسان نظره مادّيّه وذات نزعه إنسانيّه وعلمانيّه بحته تنازع وتعارض المعنويّه. فالإنسان حسب رؤيه العصرنه الغربيّه موجود ليس له غايه ولا ارتباط بمبدأ وجودىّ ويمتلك حرّيّه مطلقه تجعله يسرح ويمرح فى هذا العالم كما يحلو له، وتنعدم البواعث الأخلاقيّه والدّينيّه من حياته الفرديّه والاجتماعيّه. فهل من الممكن أن تكون مثل هذه النّظره، عالميّه؟ وهل بإمكان العالم الإنسانىّ أن يكون خالياً من المعنويّه والقيم الإنسانيّه؟ وفى مثل هذا العالم المفترض، كيف يمكن التّحدّث عن السّلام والاطمئنان؟ إنّ النّظره العالميّه للعالم والإنسان ينبغى لزوما أن تكون رؤيه معقوله وكامله وتأخذ فى نظر الاعتبار كافّه الحاجات والجوانب الواقعيّه

للعالم والإنسان. وهذا عكس ما نلاحظه فی الرؤیه المادّیه والأداتیّه للإنسان الغربیّ للعالم والإنسان، فلذا نحن نشاهد الأزمات المتعدّده الّتی لم تقتصر علی حیاه الإنسان الغربیّ بل عصفت أیضاً بجمیع العالم. فالرؤیه الإلهیّه الحکیمه هی وحدها الکفیله بمعرفه أسرار الوجود والتّوصّل إلی حیاه إنسانیّه معقوله، أمّا المدارس الغربیّه فتری الإنسان عاریاً من الله والمعنویّه ولیس له أیّه فلسفه وغایه.

وعلی هذا الأساس؛ فالارتباط بعملیّه العولمه الغربیّه هو فی الواقع القبول بقیم وإفرازات ومقتضیات عالمها الشّمولیّ أمثال؛ إزاله القیود والحدود الوطنیّه والفکریّه والدّینیّه والرضوخ للمعاییر العلمانیّه والتّعدّدیّه الثّقافیّه وزعزعه البنی الاجتماعیّه والتأثّر بالتّطوّرات السّیاسیّه والاقتصادیّه والثّقافیّه الغربیّه والقبول بکافّه المستلزمات الّتی لا یمکن تلافیها للعولمه.

الرؤیه الأخری المطروحه فی هذا المجال هی الرؤیه التّجزیئیّه الّتی تعتقد بأنّ عملیّه العولمه ولما تحمله من الجذّابیّه والإفرازات الإیجابیّه، توجب اتّخاذ موقف تّجاهها هو ذاته الموقف الّذی اتّخذته المجتمعات المتنوّعه تّجاه العصرنه لتتکرّر قضیّتها.

یطالب بعض النخب والتّنویریّین الالتحاق بمسار العولمه ونشر القیم العالمیّه والأسلوب الوحدویّ فی الثّقافه والقیم العالمیّه، ویصرّون علی نقض القیود المذهبیّه والعرقیّه والوطنیّه. وتقف طائفه من الجماعات التّقلیدیّه والمذهبیّه فی مختلف المجتمعات بوجههم للآثار والإفرازات السّلبیه للعولمه وخصوصاً علی الدّین والأخلاق والقیم الإنسانیّه، فهم یخالفون التحاق المجتمعات برکبها دون قید أو شرط. فهذان اتّجاهان وحرکتان تقفان مبدئیاً فی تضادّ مع بعضهما البعض، ویطرح کلّ منهما أفکاراً وأسالیب حسب هویّته الّتی تمیّزه عن غیره.

فما الحلّ؟ من المؤكّد أنّ طريقه حلّ مثل هذه المعضله لا تتمثّل فى إنكار واقعيّه العولمه والاعتقاد بكونها مؤامره وأسلوباً استعماريّاً، وليست كذلك فى اعتمادها المطلق وغير المشروط؛ وإنّما ينبغى التعرّف جيّداً على ممهّداتها وأسبابها وأسسها الفكريّه والفلسفيّه والاجتماعيّه ووعى مستلزماتها ومقتضياتها وإفرازاتها، كى يمكن بعنوانها ميزه وفرصه؛ استثمارها والاستفاده منها ومن أدواتها وإمكاناتها، والمبادره إلى عرض الثّقافه الدّينيّه لمنافسه الثّقافات الأخرى فى عرصتها، لكون العولمه تمثّل فرصه وساحه للتّنافس الكبير بين كافّه الثّقافات والأديان والحضارات قبل أن تكون فكره وبلاغاً ثقافيّاً خاصّاً.

ص:۱۸۲

خلاصه القسم الثّانی

اشاره

لقد رُمی وقُذف إنسان الیوم فی خضمّ هذا العالم المعقّد دون عدّه ومکنه، وواجه فضاءً انعدم فیه تأثیر الزّمان والمکان، و عرّضت عوامل ظاهره وخفیّه أمنه العالمیّ للخطر وعلی مستویً شامل، وأحاطت به الأزمات البیئویّه، الاجتماعیّه، الاقتصادیّه، الثّقافیّه والفلسفیّه، واحتضنه اضطراب المجتمع العالمیّ.

«یبدو التّعارض فیما بین الهویّات الثّقافیّه والمذهبیّه والمُثل الاجتماعیّه فی بواکیره، وتتعرّض جمیع الأشیاء للتغیّر والانقلاب، ولکنّ ذلک لا یسیر باتّجاه التّضامن والوحده والاندماج، وإنّما باتّجاه مجتمع تسوقنا فیه قوی متناقضه بقوّتها وسطوتها».(۱)

ویعتقد بعض أصحاب الرّأی أنّنا نعیش عصر العولمه وفی مرحله یبدو أنّ کلّ شیء فیها أصبح عولمیّاً، ففی نظر هذه الفئه أنّ ذلک تمّ من خلال انتشار تقنیه المعلومات، الثّقافات والحضارات والأدیان والعلاقات السّیاسیّه، الاقتصادیّه والتجاریّه؛ أیّ أنّنا نتعرّض للتغیّر ونطبّق التّبعیّه المتبادله علی جمیع المستویات وفی کافّه المجالات. ولهذا فنحن لابدّ و أن نتأثّر وننفعل بالآثار

۱- (۱) الثّوره العالمیّه الأولی «التّرجمه الفارسیّه».

السلبيّه والإيجابيّه لتلك العمليّه، ونظراً لكون العولميّه هى مرحله متحقّقه أو فى طور التّحقّق والانتشار فستكون إفرازاتها وآثارها كالآتى:

نظره عابره للإفرازات الاجتماعيّه للعولمه

١. إنّ العولمه تدعونا إلى المشاركه من جهه وتعمل على تهيئه أجواء الاستبداد من جهه أخرى، وها نحن نعايش هذين المسارين المتناقضين.

٢. إنّ العولمه تؤدّى إلى انتشار الفقر وتعيق النّاس عن التّمتّع بالصّحّه، التّعليم، السّكن والحاجات الاجتماعيّه الأوّليه الأخرى.

٣. إنّها تتسبّب فى تقييد حاكميّه الدّول الوطنيّه وإضعاف قدره الحكومات والدّول.

۴. وتمحو وتنتزع الهويّات والثّقافات المحلّيّه والأصيله.

۵. وتتسبّب فى ازدياد الهجره والبطاله، فالدول الصّناعيّه تستفيد من القوى العامله الرّخيصه وانخفاض الحاجه إلى فكر وإداره وعمل الإنسان مباشره نتيجه للتّقدم التّقنىّ واستخدام تقنيه الأتمته والكومبيوتر.

۶. وتؤدّى إلى تدمير البيئه وتتسبّب فى إيجاد الأزمات البيئويّه العالميّه.

٧. وسرايه الأزمات الاقتصاديّه المحلّيّه والإقليميّه إلى كافّه مناطق العالم.

٨. وتفرض علينا اتّجاهاتها الفكريّه والثقافيّه والسّياسيّه والدّينيّه، وتضع أديان وقيم الثّقافات الأخرى تحت تأثيرها، وتغيّر من ذهنيّتنا وفكرنا وأسلوب حياتنا.

٩. وتؤثّر على ماهيّه الزّمان، الفضاء، المكان، وسرعه المواصلات والتغييرات الاجتماعيّه.

١٠. و تُبدع تقنيات جديده وعلماً حديثاً.

١١. وتوجب ارتباط العالم بعضه ببعض، وظهور التّعارض الاجتماعىّ واختلال التّوازن والثبات والتبعيّه والاضطراب الثّقافىّ.

۱۲. وتتمخّض عن سلب الحرّيه وقدره الإنسان والدول على التخطيط، وتُوجد فضاءً للتّنافس فى جميع المجالات.

۱۳. وتستلزم ترويج الثّقافات المتنوّعه، والثبقافه الغربيّه المبتذله وعلى الخصوص الثّقافه الاستهلاكيه، والّذى يؤدّى إلى أزمات أخلاقيّه واجتماعيّه و الجنوح نحو الجريمه.

۱۴. وتُبلور الحركات الاجتماعيّه والدّينيّه.

۱۵. وتستوجب زعزعه العلاقات الدّوليّه والأمميّه.

۱۶. و تؤثّر على التّضانُ والترابط الاجتماعىّ.

۱۷. وتتسبّب فى تعريض الأمن العالمىّ للخطر.

ص:۱۸۵

القسم الثالث: علاقه الدّين والعولمه

اشاره

ص:۱۸۷

۱: تعریف الدّین

قبل الخوض فی بحث علاقه الدّین والعولمه نری من الضّروریّ عرض تعریف شامل وکامل عن الدّین وذلک من خلال التّعاریف المتعدّده المطروحه والّتی نشیر إلی أهمّها فیما یلی:

۱-۱. یعتقد تیلت(۱): «أنّ الدّین فی حقیقته هو حاله روحیّه أو خالصه ممزوجه بالاحترام تتمثّل بالخشیه».

۱-۲. ویقول برادلی(۲): «الدّین هو سعی لاستکشاف الحقیقه الکامله للخیر فی جمیع أنحاء الوجود قبل أن یکون أیّ شیء آخر».

۱-۳. ویعرّفه جیمس مارتینو(۳): «بأنّه الاعتقاد بإله ذو حیاه خالده، أیّ الاعتقاد بالإراده والعلم الإلهیّ المهیمنان علی العالم والمرتبطان بعلاقات أخلاقیّه مع النّوع الإنسانیّ».

۱-۴. أمّا روی کین فیکتب فی بیان وتعریف الدّین: «إنّ الاعتقاد بقوی ماوراء الطّبیعه هو الّذی أوجب نشوء الدّین تاریخیّاً، وهو باعتباره

۱- (۱) . c. p.Tielte

۲- (۲) . F.H.Bradley

۳- (۳) . Jamaes Martinean

أساساً لا يتغيّر فهو يضطرّ لتبرير وتفسير الحوادث ومعرفه العلل الطّبيعيّه للوقائع».(۱)

ففی رأيه أنّ العالم يولد من رحم الدّين ليتكفّل بالتّفسير العلمیّ للحوادث. ومن المهمّ التّنبيه على هذه النقطه؛ وهی أنّ المؤسّسه الدّينيّه إذا كانت تعتمد أصولاً منطقيّه وعقليّه سليمه فستسير متناسقه مع التّقدّم العلمیّ والتّقنیّ، ومع تكامل النّظام الاجتماعیّ والثّقافیّ... الخ للمجتمع.

أمّا إذا تقمّصت دور مؤسّسات إنسانيّه وعملت على خدمه الأنظمه الطّبقيّه أو المؤسّسات السّياسيّه والاجتماعيّه الأخرى، وتحوّلت إلى كهف للأصول غير الواقعيّه والتفاسير المطلقه المضادّه للعلميّه وغير القابله للنّقاش؛ فستقف بوجه السّير التّكامليّ للعلم والتّقنيه.

۱-۵. ويكتب كيرك باتريك(۲) عالم الاجتماع والنّفس: «إنّ القاسم المشترك لجميع الأديان؛ هو أنّها جميعاً تعتقد بأنّ الإنسان ينفعل ويتأثّر بالأشياء الّتی لا يمكن إدراكها بصوره مباشره ولا يمكن معرفتها وتشخيصها عن طريق الحواس. وتعتقد جميعها أيضاً بأنّ الإنسان ليس مجرّد جسم وقالب مرئیّ، وإنّما ذو روح أو نفس ترشد الأعمال الإنسانيّه على أساس هدف معيّن».

۱-۶. ويعرّف أميل دوركهايم الدّين باعتباره ظاهر ه مقدّسه بما يلی: «إنّ الدّين عقيده وعمل يستهدف أموراً مقدّسه. فعدم الإحاطه بعلل الحوادث والظّواهر الطّبيعيّه تدفع الإنسان للتأمّل والخوف والحيره فی مقابل قوى مقتدره تتحكّم بالعالم ممّا تجعله متوجّساً ومعتقداً بأمر مقدّس».(۳)

۱- (۱) حميد حميد، علم تطوّرات المجتمع، ص ۲۶۹، «باللّغه الفارسيّه».

۲- (۲) . Kirkpatric.

۳- (۳) اميل دوركهايم: الصّور الابتدائيّه للحياه الدّينيّه.

۱-۷. أمّا فی المفهوم الفلسفیّ فقد عرّف الدّین: بأنّه میثاق الحقیقه المطلقه مع الحقیقه الوجودیّه والوجود البشری المستقلّ، فمع أنّ الفلسفه تسعی لتجربه حقائق الواقع، ولکنّ أثمن مکسب ومکافأه لهذا التّجرید الضّروریّ؛ هو أنّ النّظر نحو عالم أعلی معناه النّظر نحو الأعیان الشهودیّه المثالیّه و «المُثل»، والنّظر نحو حیاه هذا العالم.

وعرّفته بعض الرؤی الفلسفیّه الأخری بما مضمونه «أنّ عالم الوجود من صنع الله، وأنّ الله هو المدبّر لأمور العالم والإنسان» أو کما یقول مالبرانش: «نحن کائنات نری فی الله» ویدخل هذا القول فی نطاق الرؤیه الفلسفیّه الدّینیّه.

۱-۸. ویعرّف الشّهید مطهری الدّین بنظره أشمل وأکثر عقلائیّه فیقول: «إنّ الدّین عباره عن اعتقاد وتعلّق الإنسان بحقائق ما وراء الفرد وما وراء المادّه، وتشکّل هذه الاعتقادات بنی تحتیّه فکریّه وعقائدیّه فی حیاته الدّنیویّه، وتحدّد له جهاتها الأساسیّه». ویؤکّد کذلک علی فطریّه الدّین ویقول: «إنّ الجنس البشریّ بحاجه إلی الدّین، فالدّین جزء من المؤسّسه البشریّه ویدخل فی ضمن الحاجات الفطریّه والعاطفیّه والعقلائیّه للإنسان». وفی مجال دور الدّین یبیّن بأنّ «الدّین ضروره فردیّه واجتماعیّه، فهو یبنی الإنسان من الدّاخل ویغرس فی نفسه الأمل فی جانبه الفردیّ، ویسهّل الحیاه الاجتماعیّه للآخرین فی جانبه الاجتماعیّ». ویعتقد أنّ الدّین مهمّ للغایه اجتماعیاً وعلی الخصوص فی الموارد التّالیه:

۱. فهو یقوم بدور أساسیّ فی التّعلیم والتربیه والتّثقیف والتّکامل الشّعوریّ والإدراک الاجتماعیّ للأفراد.

۲. وله دور فی استحکام العهود والمواثیق؛ لکون الدّین والمذهب الدّعامه الأساسیّه للقیم الأخلاقیّه والإنسانیّه.

۳. إنّ للدّين دوراً مهمّاً فی نجاه الإنسان من أسر العوامل الّتی تحول دون رقیّه الاجتماعیّ، فهو ومن خلال إزاله عوامل الظّلم والاستضعاف والطّغیان والاستغلال والاستعباد، وإصلاح العقائد والآداب والتّقالید الشّعبیّه؛ یهیّئ الأرضیه للسّلامه الرّوحیّه والصّحّه النّفسیّه والفکریّه والتّربویّه للمجتمع والفرد، ولذا فله دور أساسیّ فی التّحوّلات الفکریّه، والنّموّ الفکریّ والأخلاقیّ الّذی یحدث فی المجتمع.

۱-۹. ویعتقد الإمام الخمینیّ رحمه الله بأنّ الدّین یمثّل الاعتقاد الحقیقیّ بالله، بمعنی أنّ الفرد یستحضر رقابه الله علی کلّ أعماله وأفعاله. ففی رأیه أنّ الدّین برنامج حیاتیّ یضمن للإنسان السّعاده الخالده والرقیّ المعنویّ.

۱-۱۰. ویصف العلّامه الطّباطبائیّ رحمه الله الدّین بما یلی: «ینبغی علی الإنسان أن یتّخذ أسلوباً حیاتیّاً یتلائم وهذه الدّار العابره وکذا مع تلک الدّار الخالده، وأنّ الطّریق الّذی یوصله إلی هدفه المنشود وینال به سعاده الدّنیا والآخره هوالدّین. وأنّه لابدّ لهذه المؤسّسه الدّینیّه من رسول یبعثه الله کی تکون متکامله».

۱-۱۱. ویری ماکس ویبر، عالم الاجتماع الألمانیّ (۱۸۶۴-۱۹۲۰) بأنّ الدّین بعنوانه ظاهره اجتماعیّه یؤدّی دوراً أساسیّاً فی الأحداث والتّطوّرات الاجتماعیّه.

ویعرّف امیل دورکهایم الدّین تعریفاً آخر ویحلّله من خلال إنجازاته الاجتماعیّه فیقول: «إنّ الدّین نظام فکریّ یتقمّص أفراد المجتمع هویّاتهم من خلاله»(۱) فهو یعتقد بأنّ للدّین دور فی رسم الهویّه، الانسجام، الحیویّه، المعنویّه والاطمئنان الاجتماعیّ.

۱-۱۲. ونظراً للاختلافات الفاحشه فیما بین الأدیان فإنّ التّوصّل إلی تعریف جامع ومقبول للدّین یعدّ أمراً عسیراً، ففی عرض أیّ تعریف عامّ للدّین من خلال ممیّزات دین خاصّ یؤدّی فی کلّ الأحوال إلی إمکانیّه

۱- (۱) أمیل دورکهایم: الصّور الابتدائیّه للحیاه الدّینیّه.

الغفله عن مميّزات مهمّه لبعض الأديان. على أيّه حال فبعض الباحثين الدّينيّين سعوا إلى إراءه تعريف مثمر للدّين، واتّخذ نينيان سمارت مثل هذا الاتّجاه؛ فهو يحدّد ست ميزات عامّه يعتقد باشتراك جميع الأديان فيها، فعنون ذلك حسب هذا الترتيب: (الشّعائر، الأساطير، العقائد، الأخلاق، التّعاليم الاجتماعيّه، التّجارب)، فبإمكان الباحث الدّينيّ الاقتصار على أحد هذه الأبعاد أو التّطرّق إلى جميع الأبعاد والخصائص الأخرى. وبإمكان البحوث العلميّه أن تتطرَق إلى جوانب متعدّده من الدّين، فتبحث فى علم النّفس الدّينيّ مثلاً، أو علم الاجتماع الدّينيّ، أو تاريخ الدّين، أو فلسفه الدّين أو البحوث التّطبيقيّه للدّين.

أمّا أسلوبنا فى هذا البحث فهو يرتكز أساساً على التّحليل، بمعنى أنّنا نحاول بذل قصارى جهدنا لاتّخاذ أصحّ وأكثر النّظرات عقلانيّه فى مجال علاقه الدّين والعولمه ونقوم بنقدها وتقويمها.

ص:۱۹۳

۲: الدّين والعولمه

لا يوجد أدنى شكّ فى أنّ بيان علاقه الدّين وعمليّه العولمه مهمّ وضرورىّ من جهات متعدّده.

ونظراً للافتراض الأوّلى من أنّ كلا العمليّتين لهما تماس وارتباط مباشر بشؤون الإنسان وحياته الاجتماعيّه والفرديّه، وكذا لدعوتهما معاً للعالم الشّمولىّ الّذى يتجاوز الحدود؛ فنظراً لذلك يمكن القول بأنّ النزاع واقع لا محاله فيما بينهما فى بعض المجالات. إلّا أنّه يمكن افتراض أساليب معتبره لعدم وقوع أىّ نزاع بين الطّرفين، ولكنّ مواجهه وتضادّ العولمه مع التّعاليم الأخلاقيّه والدّينيّه ممّا لا شكّ فى ثبوته فى عالم الواقع. ولكنّ هذا التّقابل ليس هو على شاكله تقابل العلم والدّين الّذى يمكن ملاحظته فى مجالات متعدّده ونقاط متمايزه حسب تمايز موضوع وأسلوب وهدف ومجال كلّ منهما.

وتُطرح نظريّه أخرى فى هذا المجال تفترض أنّ التّقابل فيما بين العولمه والأديان والثّقافات الدّينيّه هو تقابل فوقىّ. وتعتقد بأنّ العولمه ترتكز على نفس الأساس الّذى ترتكز عليه العصرنه الغربيّه، لذا فالعولمه غربيّه من حيث المنشأ والجوهر والماهيّه وأنّ تضادّها مع باقى الثّقافات هو تضادّ سطحىّ و

قابل للسّيطره، وأنّ ما يؤخذ على أنّه عمليّه عولمه ماهو إلّا موجه يمكن استيعابها بسهوله، فهى ليست دائمه الاستقرار والثّبات.

ولكن ينبغى هنا، طرح هذا السؤال؛ وهو هل أنّ العولمه تقصى الدّين وتطيح به حقيقه؟

يعتقد العلمانيون بأنّ العولمه أهدت العالم الثّالث فرصاً وامتيازات للقضاء على جميع عوامل تخلّف المجتمعات الدّينيّه دفعه واحده. فهذه الفئه من أنصار العولمه الّتى تمثّل النّظره المريبه تجاه الدّين والتّقاليد حسب تفكيرها وتنظيرها لم ترضخ حتّى الآن للواقع العلمىّ الّذى يفصح عن أنّ الأزمات والمصائب الّتى ابتليت بها البشريّه نتيجه للمروق من الدّين ومحاربته؛ تتفوّق على الآثار السلبيّه المدّعاه للدّين.

ففى واقع الأمر أنّ أغلب المشاكل البشريّه كانت قد نجمت عن الإعراض عن الدّين ومخالفته عن أن تكون ناشئه من اتّخاذ الدّين محوراً ومداراً. وحتى أنّ هؤلاء لم يذعنوا بالحقيقه العلميّه الّتى تتمثّل بالتّقدّم العلمىّ. مجالات الفلسفه الدّينيّه، علم الاجتماع، علم الإنسان والتّاريخ؛ الّتى أثبتت بطلان الفرضيّات الّتى تفترض (كون الدّين أسطوره وخرافه ووهم وليس له من نفع ولا فائده وأنّه عائق دون الرّقىّ والتّطوّر).

فإنّ ادّعاء العلمانيّين المبتنى على تلازم التّقدّم مع إنكار الدّين؛ ما هو إلّا ادّعاء نفسىّ وشخصىّ ولا يرقى أن يكون علميّاً أو حتّى فرضيّه قد تمّ إثباتها.

ولكنّنا على أيّه حال لا يهمّنا هذا الادّعاء غير المستدل، وإنّما الّذى يهمّنا هو ذلك الّذى يعدّ محوراً للنّزاع والخلاف؛ وهو هل أنّ بغيتهم وطموحهم من العولمه يمكن تحقّقه وأنّها تؤدّى إلى الإطاحه بالدّين، كما يزعمون؟ أم أنّ ما بشّروا به منه ليس سوى سراباً بقيعه، وأنّه على فرض تحقّقه فإنّه سيوجب تعزيز أسباب انتشار الدّين لا اندثاره كما يدّعون.

إنّ أكثر الـدّراسات الّتی أجریت حول العولمه أغفلت مکانه الـدّین وأسـقطته من الحساب، مع أنّ بإمکان الأدیان أن تلعب دوراً خلّاقـاً ومؤثّراً فی بلوره عملیّـات العصـرانیّه والعولمه. فهـذا ماک لوهان یشـدَد علی أنّ القیم الـدّینیّه فی القریه العالمیّه تشـیر إلی فقدان القدر المشترک فیما بین الأنظمه الثّقافیّه.

أمّا برایان ترنر فیکتب فی مجال مکانه الدّین فی عصر العولمه: «إنّ العولمه تتناقض والدّین تناقضا ظاهریّاً فی أربعه محاور:

۱. التّناقض فیما بین الأسس الفکریّه والفلسفیّه للعصرنه والأسس الدّینیّه (تضادّ مبنائیّ وفکریّ).

۲. التّناقض القائم علی أساس التّضادّ فیما بین الأصولیّه والتّجدیدیّه (تضادّ مبدئیّ).

۳. التّناقض فیما بین التّرابط العولمیّ والهویّه الدّینیّه (تضادّ عملیّ).

۴. تناقض الثّقافه الدّینیّه مع الثّقافه الغربیّه، تقابل الشّرق والغرب (تضادّ فوقیّ وظاهریّ).

التّنـاقض الأوّل: إذا تبلورت العولمه باتّجـاه علمـانیّ وعلی أسـاس المبـانی الفکریّه للیبرالیّه، فینبغی القول: بأنّهـا تعـدّ ردّاً مضـادّاً للمدّعیات الدّینیّه.

التّنـاقض الثّـانی: فـإذا کـانت العصـرانیّه الوجه الغـالب للعولمه، فلا یکون الـدّین - باعتباره القسم المعزول والمنفصل عنها - من المطالبین بالالتحاق بعملیه العصـرانیّه، وأنّ فعالیات وقیم العالم الجدید لا تنسـجم والدّین، فمن هذه الجهه سـیکون للدّین انفعالا مضادّاً للعولمه.

ولکن مع هـذا، فـإنّ هـذه القضـیّه لا یمکن تحلیلها بهـذه السّـذاجه، وإنّما علی جمیع التّقادیر؛ سـیکون السّـعی لحفظ الـدّین فی المجتمع له أهمّیّه من جانبین:

۱. أنّ الحیاه الدّینیّه تتطلّب علی الدّوام الصّراع والتّلائم مع عملیّات العصرانیّه والتّطوّرات الاجتماعیّه والعلمیّه.

٢. أنّ المجتمعات الحديثه ولأجل الحفاظ على انسجامها الاجتماعیّ وهویّتها وبقاء قیمها الإنسانیّه والأخلاقیّه فهی بحاجه ماسّه إلی الدّین.

التّناقض الثّالث: ویرتبط بطبیعه العولمه والدّین، فهما فی ذاتهما وماهیّتهما وجوانبهما یستطیعان التّعامل والتّفاهم مع بعضهما البعض سواءً تمّ ذلک علی أساس التّفسیر القداسیّ للدّین أو النّظره الاستصغاریّه له، أم علی أساس التّفسیر الشّمولیّ له، مع الأخذ بنظر الاعتبار المدّعیات العالمیّه للأدیان الکبیره، فیمکن علی کلا الوجهین تلفیق وتنسیق العولمه مع الأهداف والغایات العالمیّه للأدیان.

فهل بالإمکان توجیه وبیان هذه المقوله والنّظریّه مع وجود النّظریّتین المهمّتین فی مسأله العولمه؛ وهما عدم قابلیه العصرنه وما بعد الحداثه التّحوّل إلی العولمه، بتوضیح أنّ الصیغه الغالبه فی عصر العولمه لم تقم علی مقوله العصرنه ولا علی مقتضیات ما بعد الحداثه، فما هو البدیل الّذی یمکن أن یؤخذ للثّقافه العالمیّه ویُجعل أساساً للعولمه.

التّناقض الرّابع: إنّ التّناقض الآخر للعولمه الغربیّه باعتبارها الثّقافه الغالبه؛ هو تناقضها مع الکیانات الشّرقیّه، فهذا التّعارض والاختلاف فیما بین الغرب والشّرق کان مطروحاً باعتباره صراعاً بینهما منذ زمن بعید. والّذی سعی کثیر من المستشرقین الغربیّین والمستغربین الشّرقیّین والمجتمعات الدّینیّه لإیجاد حلّ له. إنّ هذه المعضله یمکن ملاحظتها بشکل أوسع فی عملیّه العولمه. وینبغی التّنبیه علی أنّ فرضیّه التّناقض فیما بین الشّرق والغرب؛ جدّیّه وذاتیّه علی جمیع الأحوال، أی، هذه الغیریّه للمیزات الذّاتیّه والمبانی والغایات لکلا النّظامین الفکریّین. ومن هنا؛ فعملیه العولمه سواء فسّرت علی أساس مقوله العصرنه وانتشارها أم علی أساس مقوله ما بعد الحداثه، فهی فی کلتا الحالتین أمر لا یمکن اجتنابه وتلافیه. لأنّ مقوله الشّرق ستقف فی مواجهه العصرنه

الغربيّه إذا قلنا بأنّ العصرنه فی حاله تحوّل إلی العولمه. وکذا حسب الفرض الثّانی الّذی یفسّر العولمه علی أساس مقوله ما بعد الحداثه، فسیختلف ویتمایز الشّرق والغرب الحدیث عن بعضهما بعنوانهما ثقافتین مختلفتین؛ لأنّ فضاء ما بعد الحداثه هو فضاء التّنوّع والتّعدّد الثّقافیّ. و «فی حاله عولمه ما بعد الحداثه فسنواجه تنوّعاً وتعدّداً ثقافیّاً، و بإمکان العولمه إیجاد الارتباط مع الثّقافات الوطنیّه والمحلّیّه بعنوانها هویّات مستقلّه وثقافات أخری، وستقع عملیّه عولمه ما بعد العصرنه فی مواجهه الثّقافات المتعدّده لاعتمادها النّزعه النّسبیّه والشّک نسبه إلی القراءات الشّمولیّه، والأیدیولوجیّات الحدیثه وعوده شیوع الفکر الذّرائعیّ (البراغماتیّ). وسنلاحظ عند ذاک ترابط الثّقافات، التّعامل والحوار بینها، وتهیّؤ أجواء البحث وفعّالیّه الثّقافات الدّینیّه».(۱)

و فی اعتقاد بعض أصحاب الرّأی أنّ إحدی مقدّمات فرضیّه العولمه هی الوحده الثّقافیّه والاجتماعیّه والاقتصادیّه. فإذا کان ذلک یعدّ من مقتضیات ومستلزمات العولمه، فهل سیکون للدّین تلک الوحده والانسجام الثّقافیّ المتقارب علی افتراض أنّه یمتلک قابلیّه الاستمرار والدّوام؟ وهل یمکن رسم الآفاق المستقبلیّه للدّین بحیث یزول فیها الاختلاف فیما بین الأدیان ویتبلور دین واحد؟

وهل أنّ الدّین الواحد سیتجلّی علی أساس المشترکات والأصول العامّه للأدیان؟ إنّ تأثیر العولمه علی الأدیان تمخّض عن أسئله وجدال واسع بخصوصها، وأنّ هذا الجدال له جانب نظریّ ومعرفیّ، وله آثار جدلیّه ثقافیّه واجتماعیّه کذلک. وإنّ هذا التأثیر الخطیر یرتبط بقدره الأدیان والتّطور المستقبلیّ للعالم إلی حدّ کبیر، فیتطلّب أن یتّخذ المتدیّنیین أسالیب معقوله

۱- (۱) برایان ترنر، (فضل العولمه علی الدّین فی عصر العالمیّه)، ارغنون، العدد ۲۴، «ترجمه هاله لاجوردی».

ومتدبّره لمواجهه هذه العمليّه. فالعولمه أثّرت بقوّه على المخاطبين بالبلاغات الدّينيّه من خلال استفادتها من الوسائل التّقنيّه المتقدّمه ووسائل الإعلام. واختراقها الحدود الفكريّه والعقائديّه وإضعافها قدره التّقاليد فى المؤسّسات المذهبيّه عن طريق إيجادها ساحات وأرضيّات جديده، إلّا فيما إذا استطاع أهل الدّين الاستفاده بشكل صحيح وواسع من هذه الوسائل لبثّ تعاليم الدّين وخطاباته وعملوا على توطيد وترسيخ الثّقافه الدّينيّه. ولا يخفى أنّ كلّ دين ومذهب له القدره على ترويجه خارج نطاق حدوده الوطنيّه فى فضاء العولمه، وعرض المعلومات الدّينيّه بشكل معقول ومكثّف ومخطّط له للباحثين عن الحقيقه والّذين ينشدون الانضواء تحت لوائه والّذين يحاولون الحصول على تفاسير معقوله لشؤون حياتهم من خلاله. فلهذا الظّرف أهمّيّه خاصّه نظراً للاتّجاه العالمىّ للأديان الكبيره على مستوى العالم.

فإنّ كثيراً من منظّرى الواقعيّه الغربيّه نفوا سيطره ثقافه معيّنه فى عصر العولمه، فقد ردّ فوكوياما القول بالتّماثل الثّقافىّ وأيّد الاختلاف فيما بين الثّقافات فى عصر العولمه، وقال بالتّنوّع وعدم التّوحّد الثّقافىّ.(۱)

إنّ بعض أصحاب الرّأى يعتقدون بعدم فقد الثّقافات والأديان مكانتها ويذهبون إلى أكثر من ذلك وهو عدم حدوث التّماثل فيما بين الثّقافات والأديان أو الوحده بين الأديان فى عصر العولمه. ولكن يذهب مالكوم ووترز إلى «أنّ الأنظمه المذهبيّه ستضطر إلى مجاراه وموافقه المسيره العالميّه».(۲)

وفى مقابل ذلك تأتى نظريّه أخرى تعتقد «بأنّ الدّين سينهار تحت وطأه ضربات العولمه فى صراعها معه ويهمّش ويفقد رونقه ومكانته». وهناك

۱- (۱) محمود جواد شجاعى، (العولمه و الدّين)، ص ۲۶۱ (مجموعه مقالات وبحوث دينيّه باللّغه الفارسيّه).

۲- (۲) ووترز، مالكوم: العولمه «التّرجمه الفارسيّه لإسماعيل هرانى كيوى».

بعض من علماء الدّين والفلاسفه يرون عدم زوال الدّين عن مسرح الحياه، ويستدلّون على رأيهم هذا: «بأنّ الأمر الدّنيوىّ ليس بإمكانه لا ذاتاً ولا واقعاً الاستمرار والدّوام بصوره مستقلّه وعلى انفراد، فالأمر الدّنيوىّ لا يستطيع البقاء والاستمرار اعتماداً على النّزعه الدّنيويّه فقط، وسينساق الإنسان إلى عمق الأصاله الدّينيّه فى نهايه المطاف».(۱)

ففى عالم اليوم الّذى يواجه فيه الإنسان أزمات متعدّده، أزمه المعرفه، أزمه المعنويّه، أزمه الأمن النّفسىّ، أزمه الهويّه، الأزمه البيئويّه... الخ؛ لا تستطيع النّزعه العلميّه ولا العقلانيّه الحديثه إنقاذه من هذه الأزمات. ويوضّح ذلك ميلتون ينغر، عالم الاجتماع الدّينىّ فى جامعه برلين، فى مقاله له؛ حاجه الإنسان المعاصر إلى الدّين فيقول: «إنّ التّشرّد الرّوحىّ، الحيره، الشّعور باللا أمن، الشّعور بالعبث والكآبه، الإحساس بالغربه والوحده هى مسبّبات لضغوط المجتمعات الصّناعيّه والتغيير فى الأسس الاجتماعيّه والثّقافيّه والّتى أدّت إلى ازدياد حاجه الإنسان إلى المعنويّه والدّين، وها نحن نواجه موجه معنويّه وإقبالاً على الدّين فى كافّه أرجاء العالم».(۲)

۱- (۱) بول تيليخ، مستقبل الأيان، ص ۲۳، «التّرجمه الفارسيّه لأحمد رضا جليلى».

۲- (۲) آلستون بيتر وغيره... الدّين والآفاق الجديده، ص ۱۵، «التّرجمه الفارسيّه لغلام حسين توكّلى».

۳: مکانه الدّین فی عالم الیوم

اشاره

إنّ حاجه الإنسان المعاصر إلی الدّین هی کما فی السّابق دائمه وحاضره ومستمرّه، لإمکانه ملء الفراغ الرّوحیّ والفکریّ له.

فإنّ مسأله البحث عن الله من المسائل الأساسیّه الّتی طالما شغلت فکر الإنسان ولصقت بفطرته، وکلّما أعرض وانحرف عنها ابتلی بأزمه عقیدیّه ومعرفتیّه وأخلاقیّه. وإذا صدّق الإنسان بعدم إمکانیّه إدراک الله وأنّ علاقته قد انقطعت بالبشر فسیکون معتقداً بقول نیتشه: (إنّ الله میّت).

ویسمّی سارتر ذلک بأفول الله، أمّا هایدغر فمع أنّه لا یعتقد بأنّ نتیجه هذا الفکر هو الإلحاد والعبثیه، ولکنّه یری أنّ هذا الکلام یستلزم عدم إمکان التّحدّث فی مجال احتمال وجود الله لا نفیاً و لا إثباتاً؛ لأنّ هذه المسأله ترتبط بظهور الله واستعاده انکشاف حقیقته، لذا فهو یعتقد بأنّ هذا العصر هو (عصر غیاب الله)».(۱)

ویوصی بأنّ: «علی إنسان هذا المرحله أن لا یسعی لصنع إله له؛ إله لیس سوی محصّله لفکرنا».(۲) وهذه هی ذاتها الأزمه الفکریّه لإنسان الیوم الّذی أضاع هدفه وغفل عن ارتباطه بالله.

۱- (۱) مارتین هایدغر، کسوف الله، ص ۸۶، «التّرجمه الفارسیّه».

۲- (۲) المصدر نفسه، ص ۸۷.

فهل التّعصرن يستلزم زوال الدّين؟ إنّ مفكرى عصر التّنوير وتابعيهم يعتقدون بأنّ العصرنه تستلزم العلمانيّه؛ ولكنّهم يختلفون فى حدّها وحدودها ومقدارها. فبعضهم يعتقد أنّ الحداثه تتعارض ولا تتلائم مع مجموعه من الظّواهر الدّينيّه الرّجعيّه والخرافيّه وأنّها تنحّيها عن الطّريق.

والبعض الآخر يؤكّد على هذه النّقطه وهى أنّ الحداثه رؤيه عالميّه جديده غير قابله للانهزام، وتستلزم حركه تكامليّه دون توقّف وقائمه على العلم، وينبغى على العقائد والمناسك الدّينيّه التّلاؤم والانسجام معها. وإلّا فإنّها ستنهزم أمام معارضيها. فالثّوره الدّينيّه تدعو إلى الصياغه المذهبيّه وتجديد الفكر الدّينىّ لأجل إدامه الحياه الدّينيّه والحفاظ عليها.

وقد طُرحت نماذج وصيغ أخرى كذلك لمواجهه الدّين للعولمه، فأحد أساليب مواجهه التّحديث يتمّ عن طريق تفعيل الأيديولوجيّه، فللحيلوله دون غزو الثّقافات الأجنبيّه يمكن لطائفه من العقائد المذهبيّه أن تكون أسلوبا آخر لمواجهتها ومواجهه مقتضياتها.

على أيّه حال؛ فإنّ حاجه الإنسان للدّين حتى فى عصر العولمه مسأله أقضّت مضاجع أعلام أمثال؛ نيتشه، هايدغر وياسبرز، ومن هنا فقد حثّوا بكل حميّه على التّمسّك بالوجوديّه ونسيان الله وترك البحث عنه إلى الأبد، وبعد قرن طويل من الأزمه العقيديّه والمعرفيّه ينبغى على الإنسان فى نهايه الأمر استعاده حرّيّته الخلّاقه الّتى كان يعتقد بأنّها لله، ويدرك أنّه بمنزله موجود يرتبط وجود العالم بحضوره فيه.

يقول سارتر: «لا يوجد عالم سوى عالم الإنسان، أى لا يوجد هناك عالم الذّهنيّه والتّجربه الإنسانيّه». وأخيراً يضلّ هذا السؤال حاضراً؛ وهو هل أنّ (استمرار ضروره الدّين) لا يشعر بالوجود الذّاتىّ للإنسان؟

فهل أنّ الوجود هو كما يعتقد سارتر فى أنّه؛ الحياه (لأجل الذات)،

أم أنّه فی الأساس بمعنی القرار مقابل مجهول " X" لا یمکن تعریفه ووصفه واستکشافه؟

إنّ الجواب علی هـذا السؤال یتّضـح من خلال اتّجاه الإنسان إلی إنکار المقاییس الـدّینیّه والمیتافیزیّه منذ العصـر التّنویری وحتی العصر الحاضر، والأزمات الّتی نجمت علی أثر هذا الاتّجاه.

الحاجه إلی الدّین فی العصر الرّاهن

اعتقـد شـبنغر بـأنّ کلّ ثقافه لها صـفه ورؤیه کونیّه خاصّه بها وفلسـفه أساسـیّه معیّنه تّجاه الحیاه، الفن، العلم، والمـذهب. وتکون بصوره لا یمکن معها حصول التّفاهم المتعاکس بین ثقافتین مختلفتین، والحضارات کذلک بتمیّزها عن بعضـها یمکن أن تتشابه فی بعض مسائلها، ولکن من الصّعب الوصول إلی المعنی الباطنیّ لهذه المظاهر.

ویعتقد توینبی بأنّ تاریخ المذهب له حرکه واحده وراقیه، ولکن تاریخ الحضاره فی اعتقاده علی خلاف ذلک فله أفول وانقطاع وحوادث متکرّره.

ویتکهّن بـأن: «سـیکون هنـاک مـذهب عـالمیّ أعلی یرقی علی المـذاهب الموجوده بإمکـانه الإجـابه علی الحاجـات والمشاکل البشـریّه ویکون أساسـاً للحضاره القادمه»(۱) وتتشـکّل فی العصـر الرّاهن اتّجاهـات واسـعه لإحیـاء الـدّین فی العالم وتتّجه لملء الفراغ المعنـویّ وإنقـاذ الإنسـان مـن الأزمـات الفکریّه لعصـر العصـرنه و «أنّ هـذا الإحسـاس هـو حـاجه عمیقه إلی الـدّین فعّلته الحرکات الدّینیّه علی مستوی العالم».(۲)

ویقول بوزف کوسل: «إنّ للدّین مسؤولیّه خاصّه فی عصر العولمه،

۱- (۱) آلستون بیتر وغیره... الدّین والآفاق الجدیده، ص ۱۱۹ «التّرجمه الفارسیّه لغلام حسین توکّلی»

۲- (۲) المصدر السّابق، ص ۱۱۹.

فالثّقافات والأديان لا يمكن أن تفقد مواقعها حتّى فی عصر العولمه، وأنّ العولمه تختلف وتتفاوت عن التّماثل أو اندثار الثّقافات».(۱)

و لازال الإنسان إلی الیوم یبحث عن قیم أوسع وأعلی من المعاییر العلمیّه بإمکانها أن توفّر إجابات شافیه لحاجاته العاطفیّه وانفعالاته المعنویّه. فهو یعیش قلقاً حقیقیّاً جرّاء فقدانه هویّته وتحوّله إلی آله إنتاجیه فی هذا العالم المضطرب والهائم الّذی یواجه فیه کذلک صعوبات کبیره سیاسیّه واقتصادیّه؛ قیمٍ تُضیء له بصیص أمل لإبعاده عن یأس القیم المادّیّه و تقرّبه من الأدیان الإلهیّه.

إنّ الاتّجاه نحو معرفه المضمون الأیدیولوجیّ للأدیان یعدّ أمراً جدیداً للغایه لم تکن له مثل هذه الأهمّیّه فی بحوث المعرفه القیمیّه فی ما مضی، ولکنّ الیوم ولأجل تحدید موقع الإنسان المعاصر وحرمته الّتی تعتقد بها الحضاره الحدیثه؛ یمکن للدّین أن یعید إلیه حقّه الطّبیعیّ والإنسانیّ الّذی سُلب منه و استحوذ علیه.

۱- (۱) بوزف کوسل کارل، فصلیّه مطالعات استراتیجیّه، العدد ۱۳-۲۰۰۱، «باللّغه الفارسیّه».

۴: فلسفه وضروره الدّین

إذا أردنا الحکم علی الدّین بصوره واقعیّه وعلمیّه، فینبغی الإذعان بأنّ الدّین یعدّ ضروره عقلائیّه وحیاتیّه للإنسان فی هذا العالم، وأنّ جمیع النّاس لهم نوع من الارتباط الفطریّ والرّوحیّ بخالقهم، وإن اقتصر هذا الأمر علی المجال الاعتقادیّ للإنسان، وکان له نظره إلحادیّه ومادّیّه تّجاه أصل الخلق فی المجال العملیّ. إنّ هذه الحاجه للارتباط والاعتماد علی قوّه أبعد من جمیع العلل والأسباب کانت ولا زالت تخالط جمیع المجتمعات وفی کافّه مراحل التّاریخ.

وبحسب تعبیر الشّهید مطهّری: «تصوّر البعض أنّ الدّین سیفقد موقعه ومکانته فیما لو حدث تقدّم حضاریّ، ولکن أصبح من المعلوم أنّ هذا التصوّر لم یکن سوی سراباً، فحاجه الإنسان إلی الدّین لأجل أن یحیا حیاه مطمئنه وجیّده، لم ترتفع مطلقاً، فهو بحاجه إلیه فی حیاته الشّخصیّه والاجتماعیّه علی السّواء».(۱)

وفی رأیه أنّ العلم والدّین کلاهما یتعاضدان من أجل ازدیاد ونمو معرفه

۱- (۱) مرتضی مطهّری، الإمداد الغیبیّ، ص ۹۸.

الإنسان؛ فالعلم يهبه نمّواً أفقيّاً رفاهيّاً والدّين يهبه نمواً عموديّاً،(۱) فيفتح عينه على جميع الحقائق الملكوتيّه للعالم، والعلم يكشف له غوامض أسرار عالم الطّبيعه.

فهل أنّ حاجه الإنسان إلى الدّين ستستمرّ فى عصر تقنيه الاتّصالات والعولمه؟ وهل يمكن تجسيد مفاهيم العداله العالميّه، السّلام العالمىّ، المسؤوليّه الأخلاقيّه، حقوق الإنسان والقيم المعنويّه دون الاعتماد على الدّين؟

ألا- يوجد أىّ بديل آخر بإمكانه لعب دور الدّين؟ إنّ أغلب المفكّرين يجيبون بالنفى على الأسئله الآنفه. ومن ضمنهم هيغنز، ففى جوابه عن تلك المعضله يقول: «إنّ المجتمع العالمىّ الحديث، قد انفلت من قيود وتبعيّه التّقاليد وليس الدّين؛ لأنّ بعض المسائل والأسئله الأخلاقيّه والوجوديّه لازالت باقيه، مسائل ترتبط بالحياه الاجتماعيّه والأمور الرّوحانيّه والمعنويّه والدّينيّه والأخلاقيّه، ومسائل سُعى إلى الإطاحه بها فى ظل التجدّد».(۲)

أمّا بول تيليخ ومن خلال طرحه هذا السّؤال المصيرىّ «لماذا وجدت الأديان أساساً»؟ يجيب بما يلى: «إنّ الدّين ولاعتباره هيكليه للرموز الشّهوديّه والعمليّه (الأساطير والمذاهب) - فى نطاق مجموعه اجتماعيّه - يعدّ ضروره دائمه لأيّه ثقافه حتى أشدّها دنيويّه ومادّيّه، ولأىّ اتّجاه إلهىّ حتى أشدّه محاربه للأسطوره. وأنّ هذه الضّروره استنتجها من هذه الواقعيّه وهى أنّ الرّوح و لكى تظهر على شكل أمر واقعىّ و مؤثّر فهى بحاجه إلى أن تتجسّم».(۳)

إنّ العالم اليوم ولأسباب متعدّده ولأجل ملء الفراغ المعنوىّ والأخلاقىّ طرق باب الدّين، فقد أخذه الشّوق للتّفتيش عن نموذج كامل شامل يمتلك أسساً معرفيّه، ثقافيّه، أخلاقيّه، معنويّه وإنسانيّه مبتنيه على حقوق الإنسان

۱- (۱) المصدر نفسه، مسأله المعرفه، ص ۲۸ و ۳۱.

۲- (۲) بيتر مارتين، هانس شومان وهارولد، فخّ العولمه، «التّرجمه الفارسيّه».

۳- (۳) بول تيليخ، مستقبل الأديان، ص ۵۲.

وتضمن العداله الاجتماعيّه والأمن للبشريّه جمعاء؛ لتنجو من هذه الأزمات الفكريّه والمعنويّه الّتى تحيط به، وهذا يعدّ فى حدّ ذاته فرصه سانحهً لحمله التّعاليم الدّينيّه.

ومن جهه أخرى، ومن خلال اتّضاح آثار العولمه؛ فقد تعرّضت هويّه الإنسان المعاصر لتهديد جدّى وخطير. وتتساقط الهويّات القوميّه والمحلّيّه الأصيله. ومن هنا؛ فباستطاعه الدّين أيضاً القيام بدور مؤثّر فى تكوين هويّات جديده إقليميّه ووطنيّه لُغويّه وعِرقيّه، وهنا يُطرح السّؤال التّالى وهو هل أنّ الهويّات الدّينيّه تستطيع صيانه نفسها من آثار العولمه؟ إنّ الإجابه على هذا السّؤال ستكون بالإيجاب لكون الدّين يتعامل مع الفطره والعقل والرّوح، أمّا المكان، المنطقه الأرض، العرق، القوم، القبيله، اللّغه والزّمان فليس لها دخل فى بقاء وقبول وحياه الدّين من الأساس، حيث بإمكان أىّ قوم وقبيله وفى كلّ زمان ومكان العيش وأن يكون لهم دين فى ذات الوقت. فإذا استطاعت العولمه تحطيم الحدود الجغرافيّه والهويّات القوميّه والمحلّيّه واللّغويّه والزّمانيّه، فليس بإمكانها تحطيم الحدود الدّينيّه. فللدّين قدره داخليّه يضخّ من خلالها التّصديق والإيمان والإثاره والباعث والهدفيّه والأيديولوجيّه فى أتباعه، ولا يمكن أن يُذبح فى مسلخ العولمه مهما تمخّضت عن أبعاد أوسع وأوسع، بل إنّ حسب رؤيه الأديان الإلهيّه وخصوصاً الإسلام؛ أنّ انهيار الهويّات القوميّه والعِرقيّه والوطنيّه يهيّئ أرضيّه وظروفاً أفضل لنمو وتوسّع الدّين. وكما جاء فى الآيه الكريمه: (وَ جَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَ قَبائِلَ... لِتَعارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللّهِ أَتْقاكُمْ)١ فهذه العوالم لا علاقه لها بالإيمان أو الالتزام به، بل إنّ أساس الدّين يرتبط بعقل وقلب الإنسان «إنّ الله لا ينظر إلى صوركم بل ينظر إلى قلوبكم».

ولذا فبإمكان الدّين أن يعرض نفسه بعنوانه عاملاً لتأسيس نظام اجتماعىّ وإيجاد انسجام فكرىّ وأن يكون باعثاً وهدفاً وتكوين قيماً اجتماعيّه جديده وهويّه دينيّه واحده، وذلك من خلال انهيار الهويّات الوطنيّه والمحلّيّه.

إنّ مطالعه تاريخ الحياه البشريّه تشير إلى أنّ الالتزام بالدّين كان حاضراً فى كافّه المجتمعات التّقليديّه والقديمه جدّاً ولم يؤدّى إلى تخلّى الإنسان عن الأساليب العلميّه والحسابات الدّقيقه فى حياته. وعلى هذا الأساس فجميع المجتمعات الدّينيّه على اختلاف تفاوتاتها تتّبع أنواع الأساليب العلميّه ولا تبخل بأىّ جهد لاكتشاف القوانين الطّبيعيّه. إذن فالإنسان سعى على الدّوام للاستفاده من العلم لأجل حلّ مشاكله المادّيّه والاجتماعيّه. ولم تزُل مع ذلك حاجته إلى الدّين والاعتقادات المذهبيّه.

إنّ الفلسفه والعلم والدّين ثلاثه جوانب مختلفه لثقافه المجتمع؛ فوجود العلم يعدّ من ضروريّات رخاء ورفاه من يعيش فى مجتمع حضارىّ، فتقدّم الحياه المادّيّه يعتمد على مقدار المعرفه العلميّه والعلاقه المتبادله فيما بين المجتمع والمكاسب العلميّه.

أمّا الدّين فإنّ وجوده فى المجتمعات الإنسانيّه أكثر ضروره من ذلك. وكما يقول برغسون: «نحن لم نشاهد لا فى السّابق ولا اليوم مجتمعات تعيش دون علم وفن وفلسفه، وكذا لم يعش أىّ مجتمع دون دين».(۱)

۱- (۱) تاريخ الفلسفه فى الإسلام، ص ۷۹۰، «باللّغه الفارسيّه».

۵: إنجازات الدّين

اشاره

إنّ توضيح الماهيّه الحقيقيّه لتأثير الدّين على النّظريات الاجتماعيّه وكذا معرفه الجذور الاجتماعيّه وإدراك الرّوحيّه المذهبيه للطوائف والطّبقات الاجتماعيّه، وتشخيص المحتوى الجديد الّذى يتغلغل تدريجيّاً فى القوالب الدّينيّه التّقليديّه؛ يكتسب أهمّيّه فائقه، حيث كان الوفاء للإيمان والعقائد الدّينيّه من العوامل الّتى تحول دون اختراق وتسلّط الاستعمار على الأمم الشّرقيّه. فالدّين يهب أتباعه الباعث والهدف المشترك، ويضخّ فيهم الوحده والتّضامن. ونظراً لارتباط الدّين بالثّقافه والأسس الاجتماعيّه، فسنتطرّق فى هذا الفصل للإنجازات الاجتماعيّه للدّين:

أ) الإنجازات الاجتماعيّه للدّين

۱. إضافهً إلى أنّ الدّين يعدّ ظاهره اجتماعيّه، ولكن يمكن أن يكون سياسيهً وأيديولوجيهً ونستطيع كذلك استشفاف البعد السّلمىّ والخيرىّ منه، واستثماره فى مجال الاتّحاد والانسجام فيما بين أبناء البشريّه.

«لقد عاد الدّين فى المجتمعات الحديثه وعلى خلاف المجتمعات التّقليديّه، ليمارس دوره الواقعىّ كمنظمه للمجتمع المدنىّ. أمّا فى

المجتمعات التّقليديّه فالمؤسّسات الدّينيّه بإمكانها وبسهوله استغلال العواطف والعقائد الدّينيّه فی تقدّم أهدافها السّياسيّه والاجتماعيّه».(۱) ولكنّ الاتّجاهات الدّينيّه أخذت تتّجه صوب العقلانيّه والتجديد فی الآونه الأخيره.

فمع أنّ الدّين يمثّل القسم الأعظم من هويّه المجتمع، ولكن «فی مرحله الحداثه وعلی خلاف مرحله ما قبل الحداثه اتّصفت المجتمعات بهويّات ثقافيّه متعدّده. ولم يعد هناك مجتمعاً يحمل هويّه دينيّه خالصه».(۲) فالدّين الّذی يلعب دوراً أساسيّاً فی توحيد الهويّه الفكريّه والاجتماعيّه وإيجاد الارتباط الوثيق فيما بين الطّوائف المتعدّده فی المجتمع؛ يقوم من جانب آخر بدور مهمّ فی توفير الانسجام والوحده والتآلف والتّضامن العميق فيما بين أتباعه. ولذا فإنّ دوره فی التّطوّرات الاجتماعيّه والسّياسيّه يعدّ من أهمّ إنجازاته.

فللأديان من الوجهه الاجتماعيّه؛ إنجازات إيجابيّه فی مجال بلوره الانضباط وتسهيل التّعايش الاجتماعیّ وإيجاد الانسجام والنّظم وتوارث التّقاليد والتّراث الثّقافیّ والرّغبه والشّوق الوجودیّ.(۳)

فيعتقد دوركهايم: «بوجود شیءٍ سرمديٍّ فی الدّين يكسب الصور والظّواهر الّتی امتزج فيها الفكر الدّينیّ بُعدا خالداً». والآن وبعد أن اطّلعنا علی ما يقوم به الدّين من إيجاد التّرابط والنّظم الاجتماعیّ فينبغی النّظر فی كيفيّه توالده وتأقلمه مع الظّروف الجديده للتّغيير والتّطوّر الاجتماعیّ.(۴)

۲. لا يمكن الإغماض والتّردّد فی دور الدّين باعتباره الحلّ الوحيد للمعضله الاجتماعيّه (عدم التّوافق فيما بين المصالح الاجتماعيّه والفرديّه) لأنّه

۱- (۱) نقد نظريّه صراع الحضارات، ص ۹۷، «باللّغه الفارسيّه».

۲- (۲) المصدر نفسه، ص ۱۰۶.

۳- (۳) اميل دوركهايم، الصور الأوّليّه للحياه الدّينيّه، «التّرجمه الفارسيّه».

۴- (۴) ر. ك. سعيد حجّاريان، من الشّاهد القدسیّ إلی الشّاهد السّوقیّ، ص ۷۳-۷۴، «باللّغه الفارسيّه».

يعدّ الإطار الوحيد الّذى بإمكانه حلّ المشاكل والتناقضات الفكريّه والاجتماعيّه، فهو فى حصيلته الفرديّه والاجتماعيّه والمعنويّه يمكنه استبدال النّعيم الزّائل والعابر بنعيم خالد وأبدىّ، واجتثاث جذور الأنانيّه وعدم المساواه والظّلم، والارتقاء ببواعث التّعاون والتّرفّع والإيثار والمحبّه. فالدّين قادر على استبدال المصالح الفرديّه والنفعيّه الضّيقّه والّتى لا ترتقى عن المستوى المادّىّ والدنيوىّ بمصالح أعلى ومقاصد أسمى.

والقيام بدور أساسىّ فى حلّ المعضلات الاجتماعيّه والاقتصاديّه والثقافيّه والفكريّه للمجتمعات البشريّه؛ لكونه يمثّل الحاجات الذّاتيّه والفطريّه لعامّه النّاس، فهو يستطيع إيجاد آليّه عادله فيما بين المصالح الفرديّه والاجتماعيّه والتّوفيق فيما بينهما. وهذا هو ما بيّنه الإسلام بشكل واضح: (فأقم وجهك للدّين حنيفاً فطره الله الّتى فطر النّاس عليها لا تبديل لخَلق الله ذلك الدّين القيم ولكنّ أكثر النّاس لا يعلمون).(۱)

۳. إنّ الّذين يؤكّدون على أهمّيّه دور الدّين فى حياه الإنسان لا يعارضون المكاسب العلميّه وغير الدّينيّه، ويعتقدون بأنّ هذه المكاسب مفيده وضروريّه وعقلانيّه ما دامت منسجمه مع المفاهيم الدّينيّه. فالدّين يسلّح الإنسان بفلسفه حياتيّه متينه، ويقوده إلى التّعقّل والتّنوّر الفكرىّ. وهو يلعب على النّطاق الفردىّ الدّور الّذى تلعبه البوصله لهدايه وتوجيه السّفن نحو طريقها الصّحيح.

۴. ويولى الدّين الإراده الإنسانيّه أهمّيّه خاصّه ويعمل على تعزيزها وجعلها خاضعه وتابعه للعقل وأوامره. ويبعث فى الإنسان الأمل للوصول إلى الكمال والتّطوّر والازدهار.

۱- (۱) الرّوم، ۳۰.

۵. ولطالما كانت الأديان الإلهيّه داعيه إلى السّلام واحترام حقوق الآخرين. ويطلّ علينا أمثال هنتيغتون وأقرانه ليسموه بكونه ساحه للصّراع والتّنافس والحرب فيما بين الحضارات، ويستدلّون على أنّ وجود معايير مزدوجه يؤدّى إلى ارتباط النّاس بثقافتهم وعقائدهم المذهبيّه الّتى يرونها تتعارض والمعايير الموجوده الأخرى، ممّا يؤدّى إلى احتمال بروز الصّراع فيما بين الاعتقادات الدّينيّه والمعايير البشريّه. مع أنّه ينبغى القول: إنّه من الممكن استغلال الجوانب المشتركه للاعتقادات الفطريّه والأخلاقيّه لأن تكون أرضيّه مناسبه للتّعامل والتّعايش والسّلام فى مثل هذه الظروف.

وإذا ما أردنا الثّبات والبقاء على هويّتنا الأصيله فى هذه المرحله من عولمه عمليّات العلم والاقتصاد والتّجاره والعلاقات الدّوليّه والمواصلات على صعيد الدّين والثّقافات المتنوّعه؛ فسنقع فى نوع من التّناقض، فإذن نحن بحاجه إلى عوامل وأسس لتهيئه أجواء السّلام والعداله والأمن وتحقيقها، و إنّ أقوى وأقدر عوامل السّلام والأمن هو الاهتمام والاعتماد على دور الدّين وما يمكن أن يقوم به فى هذا المجال.

إنّ الفرديّه والأخلاق المادّيّه تسوقنا نحو التّحلّل من المعايير والقيم الأخلاقيّه وفقدان الباعث على العفو والإيثار ورعايه حقوق الآخرين. وإنّ عدم وجود النّماذج السّلوكيّه والأخلاقيّه والدينيّه؛ يمهّد للاعداله والعنف والظّلم وإساءه استخدام السّلطه والانتهازيّه.

وإذا ما تمّت عمليّه العولمه من جانب واحد فإنّها ستؤدّى إلى التّباعد فيما بين المجتمعات المتقدّمه والمجتمعات المتخلّفه فى أبعاد متعدّده. وكلّ هذه الأزمات جاءت فى ظروف أراد الإنسان فيها صنع العالم بمعزل عن وجود الله والتّعاليم الدّينيّه، مع أنّه باستطاعتنا ملاحظه ما وفّرته الأديان من الحرّيّه المتساويه والمتكافئه والحياه العادله على مرّ التّاريخ وفى مختلف الظّروف.

ب) الإنجازات المعنويّه للدّين

۱. دور الدّين فی حلّ المشاكل الرّوحيّه للإنسان

إنّ الدّين يوفّر الحاجات الأساسيّه للرّوح و الحبّ والخلود على وجه خاص. ويعتقد بعض الباحثين الدّينيّين أنّ للدّين دور نفسیّ مؤثّر فی مدّ الإنسان بالقوّه المعنويّه والمقاومه مقابل الأخطار الأخلاقيّه والاجتماعيّه.

ونظراً لهذا الدّور المؤثّر للدّين على الرّوح والبعد النّفسیّ للإنسان فقد تسبّب فی انسياق المعارف النّفسيّه نحو الدّين بشكل واسع وعميق، فإنّ إحدى الحاجات الجديده للإنسان الحديث هی البحث التّوّاق للحصول على معنى للحياه، وإنّ هذه الظّاهره فی البحث للوصول إلى معنى من الممكن أن تقود كثيراً من الشّباب والأشخاص الّذين انحرفوا صوب طلب الملذّات الجسديّه الزّائله أو وقعوا فی فخّ الفلسفات والمذاهب العرفانيّه والأديان الجديده؛ تقودهم إلى الاطّلاع على التّعاليم المعنويّه والحيويّه للأديان التّوحيديّه وعلى الخصوص الإسلام، ولا ينجرّوا للوقوع فی فخّ المذاهب المبتدعه والمصطنعه والّتی لا تقوم على أساس يركن إليه فی ظلّ بحثهم عن هذه المعنويّه. إنّ الأديان المعنويّه والإلهيّه الّتی أخذت بعين الاعتبار الجوانب الفرديّه والاجتماعيّه والماديّه بشكل منطقیّ ومعقول يمكن أن تلعب دوراً مؤثّراً فی بلوره فكر وثقافه وأخلاق المجتمع.

ويعدّ معالجه الاضطرابات الرّوحيّه للإنسان من الهواجس الأساسيّه لعلماء الدّين، فهم يعتقدون بأنّ للدّين يد طولى فی حلّ مثل هذه المشاكل الّتی تعصف بالبشريّه.

يقول ميلتون ينغر فی مقالته «الدّين والحاجات الفرديّه»: «إنّ الإنسان المعاصر يتّجه نحو الدّين لما يعايشه من ضغوط الغربه الرّوحيّه، الحيره

الإحساس باللا أمن، الإحساس بالعبث، الكآبه والوحـده، والّتی أفرزها التّقـدّم الصّـناعیّ والتّغییر والتّحوّلات العمیقه وما اسـتتبعها من تغییرات فی البنی الاجتمـاعیّه والثّقـافیّه، فـأفراد المجتمعـات الصّـناعیّه الّـذین یئسوا من الحضـاره الحـدیثه فی حـلّ مشـاکلهم الرّوحیّه وللفرار والخلاص من العبث والکآبه اتّجهوا للبحث عن الـدّین، وغدت الحرکات الدّینیّه الّتی تدّعی قدرتها علی الإجابه علی حاجات الإنسان تواجه إقبالاً عامّاً منقطع النّظیر».(۱)

۲. دور الدّین فی إعطاء الحیاه بُعداً معنویّاً

یصف یونغ الـدّین بـأنّه إحساس الإنسان بوجود معنی أوسع فی الحیاه. وفی رأیه أنّ التّجربه الـدّینیّه جوهره ثمینه أکسـبت الحیاه معنی وفتحت نافـذه للأمل والجمال، والّتی تسـتطیع أن تهب البشـریّه عظمه جدیـده وتعطی الإنسان الإیمان والهدوء والاطمئنان. وبعد جرده منافع الدّین یقول: «فقط أولئک البُله والجهله هم الّذین یحاولون القضاء علی الرّموز الدّینیّه».(۲)

فهـل أنّ الـدّور النفسـی للـدّین و فوائـده یمکن الحصول علیها فقط من الفلسـفه والعقل والعلم مع الإغماض عن الـدّین فی هـذا المجال؟ فی عقیده یونغ «لا یمکن توقّع أیّه مساعده من الفلسـفه والعلم لعلاج الأمراض الرّوحیّه والآثار المخرّبه النّاجمه عنها. إنّ العقـل البشـریّ لاـ یمتلـک لوحـده القـدره الّتی یسـتطیع من خلالهـا الوقوف بوجه هـذا الخطر الفـادح من حمم الغرائز والأنـانیّه والاستبداد، أمّا النّظریّات العلمیّه فهی تفتقد القیم والعقائد المذهبیّه الّتی تستطیع من خلالها القیام بهذا الدّور».(۳)

۱- (۱) آلستون، بیتر وغیره...، الدّین و الآفاق الجدیده، ص ۱۵، «التّرجمه الفارسیّه لغلام حسین توکّلی».

۲- (۲) یونغ، علم النّفس والدّین، ص ۲۱۰، «التّرجمه الفارسیّه».

۳- (۳) المصدر نفسه، ص ۵۳، ۹۶.

۳. دور الدّین فی الأمن النّفسیّ

إنّ المناسبات والفعّالیّات المذهبیّه علی العموم تهیّء ملجأً حیال متاعب الحیاه الیومیّه، ولکنّها من جانب آخر یمکن أن تکون منبعاً ذاتیّاً للاضطراب والقلق المذهبیّ أیضاً. إنّ الدّین یهیمن علی کثیر من الفعّالیّات الاجتماعیّه، فعلی سبیل المثال؛ أنّ التّهدیدات والمخاطر الطّبیعیّه یمکن تحمّلها وتعویضها عن طریق العقائد الدّینیّه.(۱)

فالدّین بإمکانه إیجاد التّوازن فیما بین الثّقه والمجازفه، الأمن والخطر وذلک من خلال نمو المؤسّسات الاجتماعیّه الحدیثه.

فمع أنّ اتّخاذ الدّین منحاً دنیویّاً؛ یعدّ موضوعاً معقّداً، ویبدو أنّه یؤدّی إلی فقد المذهب رونقه وحرمته، ولکن مع ذلک فإنّ الدّین سبق وأن أجاب عن الأسئله الوجودیّه فیما مضی، وبإمکانه الإجابه الآن أیضاً. فمع کلّ هذا فإنّ أغلب نواحی الحیاه الاجتماعیّه الحدیثه لا تنسجم والدّین باعتباره مهیمناً وحاکماً علی الحیاه الیومیّه.

۴. الدّور النّفسیّ للدّین حسب وجهه نظر کارل غوستاف یونغ

یعدّد یونغ (۲) فوائد الدّین بهذا الشّکل:

۱. إنّ للعقائد والمناسک الدّینیّه دور مؤثّر فی الصّحّه النّفسیّه والاطمئنان الرّوحیّ وإیجاد النّشاط وغرس الأمل لدی الإنسان.

۲. وعلی خلاف ما یعتقده البعض حول التّجربه الدّینیّه، فالّذی یخوض هذه التّجربه تجعله یشعر بأنّه ظفر بجوهره ثمینه ألا وهی اکتساب حیاته بُعداً معنویّاً حقیقیّاً. بل إنّ الدّین ذاته یعدّ منبعاً للجمال والحیاه ویکسی العالم والبشریّه عظمه ومهابه جدیده.

۱- (۱) یونغ، علم النّفس والدّین، ص ۲۱۰، «التّرجمه الفارسیّه».

۳. إنّ الإنسان بحاجه ماسّه إلى أفكار وعقائد ثابته ودائمه تجعل من حياته ذات معنى ومغزى وتهبه القدره على الوقوف بوجه أشقّ المتاعب.

۴. إنّ الشّعور بمعنى أوسع فى الحياه يمكّن الإنسان من تجاوز قصر ذهنه على الكسب والاستهلاك، والحصول على بواعث أكثر أهمّيّه فى حياته، فالإنسان الّذى يفتقد هذا الشعور يعدّ فى الحقيقه إنساناً ضالّاً وخائباً.

۵. إنّ الرّموز الثّقافيّه للأديان والّتى مازالت تتّخذ صوراً طائفيّه وتُقابل برضا وقبول المجتمعات الحضاريّه؛ بإمكانها إثاره الانفعالات الحادّه والعميقه لدى الأفراد.

۶. إنّ العوامل الدّينيّه تعدّ من الأجزاء المهمّه للقاعده الذّهنيّه والقوّه الحياتيّه اللازمه لصنع المجتمع الإنسانىّ، وأنّ عدم الاعتناء بها يؤدّى إلى خسائر لا يمكن تعويضها.

ويستنتج يونغ من ذلك: «فقط أولئك البُله والجهله هم الّذين يحاولون القضاء على الرّموز الدّينيّه» (۱). إنّ نمو المعنويّه فى العالم والاتّجاه نحو المذهب يتعارض والنزعه المادّيّه. فمشكله العولمه والوحده العالميّه ووحده الهويّه وأزمتها ونمو وتعزيز مكانه الدّين فى المجتمعات يدلّ على انهيار الرؤيه المادّيّه والعلمانيّه الغربيّه، ويمكن الإشاره إلى نماذج فى هذا السّياق:

۱. يقول ماديان ويليامسون أحد الكتّاب الأمريكيّين المشهورين:

«نحن نعايش سلوكيّات اجتماعيّه مرعبه نشأت من استبدال المحبّه بالمال. فجميع الوسائل والآلات الّتى اخترعوها سعوا من خلالها إلى تسليتنا وتخديرنا عمّا يجرى ويحيط بنا، وها نحن على حافّه الانهيار ونتّجه صوب الاستهلاكيّه والغفله عن السّياسه».

ويستمرّ فى مقالته: «ودخلنا فى سبات تامّ بتناولنا أقراص الكآبه، فنحن لا نريد الالتفات إلى أنّ مشاكلنا لا يمكن حلّها دون القيام بفعّاليّات روحيّه

ومعنویّه، فإذا لم نتّجه نحو المسائل الرّوحیّه والاعتقادیّه فإنّ التّجربه الأمریکیّه ستصل إلی نهایه الخط وستنهار أمریکا».(۱)

۲. ویقول ویلیام سیمون أیضاً: «نحن بحاجه إلی المثّلث الأبدیّ للأصول الأوّلیّه لحل مشاکلنا الفعلیّه»(۲) الّتی تتمثّل: بالحرّیّه، التّقوی، المذهب وکلّ منها بحاجه إلی الأخری، فالحرّیّه بحاجه إلی التّقوی والفضیله والمذهب بحاجه إلی الحرّیّه.

۳. أمّا کلینتون، الرئیس الأمریکیّ السّابق، فهو فی رسالته المنشوره عام ۱۹۹۵ یؤکّد علی: «أنّ المذهب یکسب الإنسان شخصیّه لا یمکن للدّیمقراطیّه الاستمرار دونها».

۴. وتؤکّد مؤسّسه هویتیج(۳) فی تقریرها علی: «تأثیر الفّعالیّات المذهبیّه علی الاستقرار الاجتماعیّ وتعزیز المسائل الأخلاقیّه والتزام الأفراد بوظائفهم وانخفاض مستوی الجریمه». ج) نشوء الحرکات الدّینیّه:

لقد تشکّلت فی العقود الأخیره حرکات دینیّه جدیده ومتعدّده، ویمکن عدّها جواباً علی تهمیش الدّین فی المجتمع وجعله عرفاً من الأعراف. وقد أسبغت هذه الحرکات معنی وهدفاً واتّحاداً ودعماً علی طوائف خاصّه من المجتمع، فیعدّ تشکّلها وحضورها اختباراً لعدم جداره وانسجام الأدیان أو فعّالیتها فی الإجابه عن المعضلات المعاصره.(۴) فعلی سبیل المثال؛ برزت مدرسه التعدّدیّه ردّا علی احتکار واستبداد بعض الأدیان، وجاءت موجه

۱- (۱) بیتر الستون وغیره...، الدّین والآفاق الجدیده «التّرجمه الفارسیّه لغلام حسین توکّلی».

۲- (۲) المصدر نفسه.

۳- (۳) مؤسّسه هویتیج من المؤسسات الأمریکیّه المهمّه جدّاً والّتی تختصّ بالمطالعات الاستراتیجیّه والتّخصّصیّه.

۴- (۴) بایکین مارتیشارد، الدّین، هنا، حالیاً، ص ۳۳، «التّرجمه الفارسیّه لمجید محمّدی».

النّزعه المعنويّه والأصوليّه المذهبيّه فی مقابل النّزعات اللادينيّه وعمليّه جعل الدّين مسأله عرفيّه.

فالحركات الّتی ترتكز على تعزيز (عالم الروح)، (المعنويّه)، الاتّجاهات العرفانيّه والفطريّه وتدعو لها؛ تمتلك القابليّه الكبيره على الانتشار والتّعولم وبإمكانها الانسجام مع التّعاليم المذهبيّه، ويمكن التّكهّن بأنّ الفعّاليّات الإعلاميّه للأديان فی عمليّه العولمه ستتمّ من خلال الاستفاده من وسائل الاتّصال الالكترونيّه المتقدّمه، ويتكهّن البعض أيضاً بأنّ الأديان فی عمليّه العولمه ستكون (أديانا دون هويّه وطنيّه).

ويكتب انتونی ماك غرو فی مقاله يتطرّق فيها لتحليل مستقبل الأديان فی عصر العولمه قائلاً: «هناك احتمال بترافق تغيير التّعاليم والشّعائر والرّسوم المذهبيّه مع حدوث تغييرات فی الأديان».(۱) ويسمّی هذه الظّاهره (التطابق الحديث).

ج) دور الدّين فی نموّ ورقیّ الفكر البشریّ

اشاره

۱. إنّ الإيمان الدّينیّ هو أحد الأسرار المغلقه والمرافقه لرفعه الإنسان، ويدلّ على الاتّجاهات الرّوحيّه والمعنويّه للإنسان. ولأجل بيان الشّوق النّهائیّ للإنسان لا يمكن العثور على أفضل من حديث كلان اغوستين الّذی يقول فيه: «ما دام قلبنا لم يستقرّ فيك فليس له قرار».(۲)

مع أنّ موضوعنا الأساسیّ ليس هو تحليل عمليّه النّموّ الدّينیّ، ولكنّ تحليل هذه المسأله له أهمّيّه قصوى فی مختلف المجتمعات. فكلّما دخلت المنظّمات الدّينيّه فی نزاع مع المؤسّسات التّقليديّه والحديثه، سواء تمّ ذلك

۱- (۱) محسن الويری: الدّين والعولمه، الفرحی والإشكاليّات (مجموعه مقالات المؤتمر ۱۶ للوحده الإسلاميّه).

۲- (۲) المصدر نفسه.

بصوره خفیّه أم علنیّه؛ فسیکون لذلک دور فی الحیاه الدّینیّه. فإنّ إحدی أسباب رمزیّه النُظم الدّینیّه وظهورها بأشکال مختلفه وکون التّنظیمات والرسوم المذهبیّه أکثر تعقیداً أو حتی ظهورها بشکل متجدّد وتحدیث الفکر الدّینیّ؛ هو للحفاظ علی وجود الدّین واستمرار حیاته فی المجتمع.

ومن جهه أخری فإنّ بعض الشّعائر الدّینیّه والشّعارات الّتی تمثّل نوعاً من الرّدّ والآمانی والخلاص من الظّلم والوعد بالنّجاه والتّبشیر بالسّلام والعداله والحرّیّه؛ تبین أنّ الدّین فی مواجهته للمعوّقات والموانع الّتی تعترضه یلتجأ إلی ملاجئ صوریّه کالمعابد والأمکنه الخاصّه، وکلّما وُجد طریقاً للنّموّ والدّعوه قفز إلی الواجهه وتوسّع وکان أکثر رونقاً فی المجتمع.

إنّ مطالعه تاریخ الدّین بمجموعه العامّ، یشیر إلی الأبعاد الواسعه والمذهله للاتّجاهات الدّینیّه والعرفانیّه للإنسان الّتی تتمثّل فی قالب الأدیان والمناهج المذهبیّه.(۱) فمع أنّ أتباع أیّ دین یتفاوتون فی مقدار ونوعیّه تجاربهم الدّینیّه وکذلک فی بیانها ولکن أصل هذا الاتّجاه یعدّ أصیلاً و خالداً.

۲. أنّه کان عاملاً مقتدراً فی تشکیل المؤسّسات والمنظّمات الإنسانیّه وکذا عاملاً مؤثّراً فی هدم وإزاله بعض التّقالید والتّنظیمات غیر العقلانیّه وغیر الإنسانیّه.

۳. إنّ أرفع وأکمل المفاهیم الاجتماعیّه والّتی تتمیّز بصفه عالمیّه عامّه لا یمکنها الانتشار إلّا عن طریق تعمیم وتعمیق التّجارب الدّینیّه، فی حال أنّ الدّنیویّه أحیطت بغموض وإبهام کبیر بالنسبه للإنسان المعاصر منذ تاریخ ظهور وتکامل هذه المفاهیم والعقائد.

۴. إنّ الدّین دون ذلک المستوی الّذی یحاول إثباته منتقدوه من أنّه ظاهره إشراقیّه وفردیّه. فمن خلال مطالعه التّاریخ غالباً ما نصطدم باتّجاهات

۱- (۱) یواخیم واخ، علم الاجتماع الدّینیّ، ص ۳۸۰ «التّرجمه الفارسیّه لجمشید آزادکان».

وحركات بعنوانها انعكاسات ومظاهر اجتماعيّه وديتيّه واسعه تظهر فى الأفكار والعواطف الدّيتيّه للنّاس بشكل جماعىّ ومنظّم.

ومن هنا؛ فإذا حاولنا تصوير الغايه من الـدّين بأنّها مجرّد إقامه الشّعائر والحفاظ على المظاهر الدّيتيّه والتّفسير الميتافيزىّ للظّواهر الخارجيّه والعلميّه، فإنّ الإنسان التّجربىّ والعلمىّ لهذا اليوم سوف لا يعير لهذه العقائد الصّوريّه الّتى تسلب منه الفكر الحرّ واتّباع الأساليب العلميّه؛ أيّه أهمّيّه وسيستمرّ فى طريقه المعهود.

أمّا إذا صوّرنا تلك الغايه بأنّها الإيمان بخالق عظيم للوجود والوظائف الإنسانيّه العليا والإيثار فى طريق ارتقاء الحياه الاجتماعيّه والمعرفه الحقيقيّه لعالم الوجود، فيمكننا عندها أن نقول بجرأه: بأنّ الدّين له مستقبل زاهر ومشرق. فالدّين من خلال هذه النّظره المؤسّساتيّه القوّيّه والمتقدّمه بشكل مؤثّر ومنسجم مع المظاهر الجديده للعلم والتّقنيه؛ يمكنه أن يكون عاملاً تربويّاً وتعليميّاً مهمّاً فى مجالات العلم، الفن، التّاريخ، السّياسه والاقتصاد.

۵. فى عقيده المفكّرين الدّينيّين أنّ قدره الدّين فى مجال توفير الحاجات الإنسانيّه وإنقاذ البشريّه من العدميّه والثّقافات المضادّه للدّين؛ بعثت بعض المنظّرين أمثال جان هاك، حسين نصر وآخرين على محاوله عرض قراءه جديده للدّين يفسّرون فيها التّعاليم المعنويّه والقدسيّه للدّين والإلهيّات تفسيراً عالميّاً مع إقرارهم التّقدّم العقلانىّ والعلمىّ. فهذه الطّائفه مع إيمانها بالتأثير المتبادل فيما بين هاتين العمليّتين وكذا مصير المجتمع البشرىّ؛ تؤكّد أنّ العولمه بإمكانها أن تكون ذات تأثير إيجابىّ فى إحياء الهويّه الدّينيّه وبقاء وانتشار الدّين.

۶. ينبغى على الـدّين أن يُحدث نزاعاً فيما بين الأولويّات الحياتيّه لعالم اليوم وبين القيم الفعليّه الحاكمه فيه كالنّزعه الاستهلاكيّه والمادّيّه الّتى تعدّ قيماً علمانيّه تتعارض والدّين.

۷. إنّ الـدّين مسؤول عن تغيير الوضع غير المناسب للمجتمعات البشريّه وتخليصها من الانحرافات ودعوه الإنسان إلى النّموّ العقلانىّ والمعنوى والّذى يستلزم إعراضه عن الثّقافه العلمانيّه والنّزعه الإنسانيّه المحرّفه والاستهلاكيّه غير العقلانيّه وأداتيّه العقل.

إنّ وظيفه الدّين هى محاربه الشّعور بعدم الحاجه إلى الله والحسّ الفرعونىّ والشّعور بالاستغناء والغفله عن مبدأ الوجود.

وبعد أن بيّنا المسائل المتعلّقه بضروره الدّين ومكانته فى عصر الحداثه والعولمه نطالع التأثير المتبادل فيما بين الدّين والعولمه:

دور الدّين فى عمليّه العولمه

يمكن ملاحظه تأثير العولمه على الدّين فى ثلاثه اتّجاهات:

۱. بإمكان العولمه أن تتسبّب فى إحداث تغييرات داخليّه فى الدّين، ويبيّن جان هاك ذلك: بأنّ التّقدّم التّاريخىّ والعولمه بإمكانهما إحداث تغييرات فى المبادئ الكلاميّه للدّين.

۲. وعلى خلاف القول المتقدّم يرى السّيد حسين نصر، بأنّ العولمه والتّقدّم التّاريخىّ ليس باستطاعتهما إحداث تغيير فى مجموعه القوانين الكلاميّه والإلهيّه للدّين.

۳. باستطاعه العولمه تعزيز التّعامل والعلاقات الثّقافيّه فيما بين الأديان.

۴. بإمكان العولمه أن تؤدّى إلى تبلور إلهيّات عالميّه وتعديل ادّعاء الشّموليّه والاستبداديّه الّتى تنسب إلى الدّين. وقد طُرحت فى هذا المجال نظريّه (الإلهيّات العالميّه) لجان هاك الّتى يمكن تلمّس جذورها فى التّقدّم التّاريخىّ للأديان.

ففى عالم اليوم لا يمكن الاقتصار على تصديق دين ما والإغماض المطلق عن باقى الأديان. فالمواصلات الحديثه، السّياحه، التّبادل الجامعىّ،

الهجره، المعاملات الدّوليّه؛ دعت أتباع الأديان المختلفه إلى التفات أحدهم للآخر وأخذه فى الحسبان، فالعوامل الآنفه تعدّ أكثر تأثيراً من الإعلام المذهبىّ فى هذا المجال، مع ما للاختلاط الثّقافىّ الحديث الّذى هو الوجه المميّز للقرون الأخيره من تأثير مباشر فيما بين الأديان والّذى يمكن تتبّعه على مرّ التّاريخ، وقد اتّخذت هذه التّأثيرات والعلاقات الدّينيّه شكلاً حديثاً فى عالم اليوم.

ومع غضّ النّظر عن أدلّه حقانيّه أيٍّ من الأديان وصدق ادّعاءاته فإنّ العلائم والجوانب المختلفه لدين ما أو للأديان المختلفه فى المجتمعات التّقليديّه والحديثه والمجتمعات اللادينيّه والعلمانيّه أو المتديّنه؛ كانت موجوده ولازالت.

«وقد تبلورت الأديان تاريخياً على شكل ثقافات فلذا كان فصل العقائد الدّينيّه عن الأعراف الثّقافيّه أمراً عسيراً جدّاً، فالأنظمه الدّينيّه هى مجموعات معقّده نمت وتكاملت ضمن مراحل تاريخيّه طويله».(۱) والتّاريخ الدّينىّ للعالم يعدّ بمثابه تاريخ واحد لا يتجزّء، فالأديان المتعدّده تمثّل مجموعه ذات أجزاء متجاوره؛ ولكن هذا لا يعنى أنّ المفاهيم العامّه الموجوده تتعلّق بجميع الأديان، وأن نتّخذ اتّجاه النّسبيّه التّصوريّه؛ وإنّما اتّجاهاً علميّاً واضحاً. ونظراً للتّشابه الموجود فيما بين الأديان يمكن القول بوجود دين عالمىّ يشترك فيه جميع النّاس على طول التّاريخ، كما أنّه يمكن الادّعاء بوجود علم عالمىّ ساهم فيه جميع النّاس.(۲)

مسار تطوّر وتكامل الأديان

لقد اقتربت أغلب الأديان فى العقود الأخيره من الوصول إلى العبوديّه التّوحيديّه والاتّجاه نحو فكره الإله الواحد (الله الأفضل). حيث اعتبرت فيه

۱- (۱) مايكل بترون، العقل والاعتقاد الدينىّ، ص ۴۲۲، «التّرجمه الفارسيّه لأحمد نراقى».

۲- (۲) المصدر نفسه، ص ۴۲۴.

الآلهه الآخرين مجرّد مظاهر لذلك الإله الواحد. فالمسيحيّون والبوذيّون على السّواء يعتقدون بإمكانيّه تصوّر وجوده المطلق. فهم فى الواقع يعتقـدون بالله الأحـد الحقيقىّ. ويتّفقون جميعاً على أنّ (الله واحد) ولكن عُبّر عنه بأسـماء متعدّده فى اللّغات والثّقافات والأديان:

عباراتنا شتّى وحسنك واحد والكلّ إلى جمالك يشير

ولو نظرنا إلى التّطّورات الدّينيّه فسنواجه ما ينمّ عن تأثير التّطوّرات العلميّه والتّقدّم البشرىّ على القضايا الأخرى، وهذا ما يصدق على الـدّين. فنمو العقلانيّه البشـريّه واكتشافاتها الهائله على صـعيد العلم المعرفىّ، معرفه الإنسان، علم النّفس والمجتمع والتّاريخ؛ عزّزت من تأثيرهـا على الـدّين، ولكن من جهه أخرى؛ يمكن ملاـحظه التّأثير العميق للنّزعه العلميّه والحـداثويّه فى المجتمعـات المختلفه على الهويّات الـدّينيّه. فقـد تسـبّبت الثّوره والنّهضه العلميّه فى بلاد الغرب فى عزله الـدّين وإنزوائه عن التّدخّل فى كثير من الأمور السّياسيّه والاقتصاديّه والاجتماعيّه والفرديّه... الخ.

مستقبل الدّين

لو تتبّعنا مكانه الدّين فى الحضارات والثّقافات والدّور الّذى كان يمارسه فى التّاريخ لأمكننا رسم هذه الصّوره لمستقبل الأديان:

١. إنّ الّـذين يتخيّلـون الأديـان بأنّهـا مجرّد طقـوس خرافيّه يتكهّنون بزواله تـدريجيّاً من واقع الحيـاه. ولكنّ الّـذى يضـمحل على المدى البعيد هو هذه الاتّجاهات الخرافيّه؛ أمّا الدّين ذاته فإنّه يتبلور ويتجسّد على مستوى أرفع من هذه الاتّجاهات.

٢. البعض الآـخر ومن خلاـل ملاـحظتهم خيبه المـادّيّه يعتقـدون بـأنّ المسـتقبل سـيكون مترافقـاً مع عوده الرّوحـانيّه (المعنويّه). ويستدلّ هذا البعض

على واقعيّه هذه المسأله بانتشار الصّحوه الإسلاميّه والحركات الأصوليّه والمعنويّه الجديده.

۳. النّظريّه الأخرى تقول بأنّ تمخّض ثقافه دوليّه سيهيّء الأرضيّه لتوافق الأصول الدّاخليّه للأديان شئنا أم أبينا. فبدل أن ترتبط أيّه ثقافه كانت بدين ما على وجه التحديد، فسيختار كل فردٍ وبشكل حرّ الدّين الّذى يناسبه. إنّ هذه النّظريّه فيما لو تحقّقت فستمهّد الطّريق وإلى حدّ كبير إلى تنوّع الاتّجاهات الدّينيّه فى مجتمع ما.

فالدّين ولأجل بقائه واستمراره بحاجه إلى نوع من التّحديث والتّعامل مع عالم اليوم، العالم الّذى يعتقد فيه الإنسان بأصاله العلم. ومن الطّبيعىّ أن يتّخذ هذا التّحديث أساليب متنوّعه ويبلور ظرفيّته للانسجام مع العصر الحديث. ويعقد الصّلح فيما بين الحفاظ على الأصاله والعوده إلى المنابع الأصيله له وبين احترام العلم والحرّيّه الفكريّه للإنسان، وفيما بين الحقيقه وواقعيّه العالم الجديد، وفيما بين الثّبات والتّغير، فإنّ الفلسفه والعلم والمكاسب العلميّه من الشّؤون الفكريّه والشّعوريّه الضّروريّه للإنسان ولا يمكن له العيش دون علمٍ وفلسفه أو دون شعور وتجربه وعقل. وكذا لا يمكنه الغفله عن مكانته الأزليّه والأبديّه، المبدئيّه والغائيّه وتجاهلها. فعلى البشريّه إذن أن تسير فى اتّجاهين فى حياتها ووجودها؛ اتّجاه معرفه الوجود ومعرفه العالم واتّجاه معرفه الغايه أو معرفه المبدء.

الأديان العالميّه

ماهى المعايير الّتى يمكن من خلالها اعتبار الدّين عالميّاً؟ فلأجل أن يكون الدّين عالميّاً ينبغى توفّر معايير معيّنه فى هذا السبيل:

۱. مميّزات أصول وتعاليم ذلك الدّين.

۲. حجم أتباع ذلک الدّین یعدّ من المؤشّرات المهمّه علی ذلک، ولکن لیس مؤشّراً فاصلا.(۱)

ولکن بما أنّ النّظره الحالیه إلی الفرد تولیه مکانه خاصّه فی البناء الـدّینیّ والثّقافیّ والاجتماعیّ، وکذلک بسبب تفرّق أتباع دین ما فی طوائف ومجتمعات مختلفه، فلذا لا یمکن الإغماض عن دور الفرد فی عملیّه نموّ وانتشار ذلک الدّین.

۳. علاقه الدّین بمؤسّسات السّلطه (المؤسّسات الاجتماعیّه، الثقافیّه، السّیاسیّه والحکومیّه) یمکن أن تؤثّر علی عملیّه عولمه ذلک الدّین.

ویمکن تصوّر عدّه صور لعلاقه الدّول بالدّین فیما لو لم تکن ولیده المؤسّسه الدّینیّه:

۳-۱. من الممکن أن لا تعیر أهمّیّه للدّین.

۳-۲. من الممکن قبولها الدّین الجدید لبواعث وأسباب خاصّه وتسعی لنشره وترویجه.

۳-۳. من الممکن أن تعرّف وتحدّد الدّین علی نطاق ضیّق.

۳-۴. من الممکن أن تعتبره مرفوضاً وتضع المعوّقات والعراقیل لانتزاع حرّیّته فی العمل وتقف فی طریق فعالیّته ونموّه، وقد یختصّ ذلک بأحد الأدیان أو یشمل جمیعها.

۴. المعیار الآخر لتحدید الـدّین العالمیّ هو النظر إلی دوره فی تکامل السلوک الإنسانیّ، وأثر ذلک فی ثقافه وسیاسه وأخلاق المجتمع.

۵. الاحترام الّذی یکنّه أتباع باقی الأدیان لذلک الدّین، فهل ینظرون إلیه باعتباره مقدّساً ویستحقّ الاحترام أم لا؟

۱- (۱) یواخیم واخ، علم الاجتماع الدّینیّ، ص ۲۹۷، «التّرجمه الفارسیّه لجمشید آزادکان».

۶. تقویم قابلیّته العالمیّه؛ نظرته إلی العقل البشریّ والمکاسب العلمیّه والقیمیّه الّتی یعطیها للعقل وحرّیّه الإنسان. فإذا أردنا تقویم الأدیان الفعلیّه الّتی تدعو إلی العالم الشّمولیّ حسب معاییر العقلنه، فینبغی وبعیداً عن الانحیاز، الاقتصار علی مطالعه النّصوص الأساسیّه للأدیان الکبیره، والتأمّل التاریخیّ فی اتّجاهات کلّ منها؛ لیکون تقویمنا والحکم علیها موضوعیّاً.

۷. نظره الأدیان للإنسان؛ إنّ تعالیم الأدیان المختلفه تقسّم وظائف الإنسان إلی مجموعتین رئیسیّتین: وظائفه تّجاه الله ووظائفه تّجاه أبناء جنسه، ویحوز هذا الأمر أهمّیّه قصوی فی تقدّم عمل الأدیان الکبیره،(۱) فمن المهمّ معرفه کیفیه اعتراف الدّین بحقوق الإنسان الآخر، وما هو حجم الکرامه الّتی یولیها للإنسان.

۱- (۱) المصدر السّابق، ص ۳۸۲.

۶: علاقه العلم والدّین

اشاره

واجهت مسأله قدره العلم علی عرض صیغه واقعیّه عن العالم تشکیکاً فی الآونه الأخیره. فقد أصبحت فکره أنّ العلوم الطّبیعیّه تستطیع نوعاً ما الحلول محلّ الله فی حاجه الإنسان إلیه، رماداً تذروه الرّیاح. فالتقدّم العلمیّ فی القرن العشرین أوجد أجواءً أکثر مناسبه للارتباط بالتّقالید الدینیّه.(۱)

وعاد الدّین فی المجتمعات الحدیثه وعلی خلاف المجتمعات التّقلیدیّه لیلعب دوره الواقعیّ بعنوانه منظّمه للمجتمع المدنیّ، ولم یعد لادّعاء العصرنه بأفول دور الدّین ذلک البریق السّابق، بل إنّ النّزعه الدّینیّه توطّدت وتعزّزت.(۲)

وقد تسبّب التّنافس الدّینیّ النّاجم عن النّموّ العالمیّ العصرانیّ والعولمیّ؛ فی ازدیاد التّرابط الزّمانیّ والمکانیّ بین أتباع المذاهب المتعدّده علی المستوی العالمیّ. وتهیّأت الأرضیّه المناسبه والإیجابیّه للحصول علی معلومات أکثر حول مفاهیم وتعالیم وممارسات کلّ دین من الأدیان «إنّ تجلّی وتجسّد التّعارضات الثّقافیّه الّتی تختصّ کلّ واحده منها بمطالبها وأرضیّتها الخاصّه بها هو فی الحقیقه

۱- (۱) . ۶ Religion and science ed. mark Rickard and Wesley j.Wildman p.

۲- (۲) نقد حول نظریّه صراع الحضارات، ص ۹۷، «باللّغه الفارسیّه».

تضادّ فيما بين الثّقافه الغربيّه والشّرقيّه فى مفهومه العامّ؛ فإنّ اطّلاع الإنسان المعاصر أعدّ الأرضيّه للقبول بالثّقافات القويّه بشكل معقول، ولكن هل أنّ الانتخاب المتدبّر يشمل جميع الوجوه الثّقافيّه».(۱)

يرى هنتيغتون أنّ مقياس نموّ المسيحيّه والإسلام على أساس المعايير الإحصائيّه يؤشّر على النّموّ والانتشار، ويستنتج بأنّ هذه المنافسه والصّراع جدّىّ، وستؤول هذه المنافسه إلى صالح أتباع الإسلام. ويُرجع تفوّق الإسلام على غيره من الأديان إلى سببين:

۱. العقائديّه، ۲. التّناسل.(۲)

فمع أنّ نظريّته تلك لم تحظ بالقبول فى أسسها العلميّه، ولكن أساس هذا التّضاد فعلىّ وجدّىّ، لأنّ: «سبب الافتراق والتّمايز الثّقافى فى العالم الحديث لا يقتصر على الدّين، وإنّما هناك عوامل أخرى كاللّغه، النّسيج الاجتماعىّ، الثّقافه، التّاريخ، القوميّه والبنى السّياسيّه... الخ؛ تتدخّل فى ذلك».(۳)

إنّ الأديان السّماويّه وعلى الخصوص الإسلام تبحث عن حياه خالده وسرمديّه للإنسان وعن علاقته بما وراء الطّبيعه، وهذه المسأله ليس لها علاقه بالعلم والصّناعه والتّقدّم والتّنميه؛ أى أنّ ساحه وموضوع العلم هو الافتراضات والقوانين العلميّه والأساليب التّجربيّه والأمور المتعلّقه بالحياه المادّيّه للإنسان وأسرار عالم الطّبيعه. فالعلم بأسلوبه الخاصّ فى التّحقيق ليس له حقّ فى إبداء وجهه نظره فيما وراء المادّه أورفضها وقبولها. أمّا الشّبهات الّتى تُطرح فى هذا المجال وتضع الدّين فى مواجهه العلم أو العقل وإلقاء تبعات تخلّف المجتمعات الدّينيّه على الدّين؛ فهى أحكام جزافيّه لا أساس

۱- (۱) المصدر نفسه.

۲- (۲) المصدر السّابق، ص ۸۰.

۳- (۳) المصدر نفسه، ص ۸۰.

لها وليست من شأن العلم ونطاقه، أمّا انحراف الباحثين الشّباب عن الدّين و الأخلاق فهو ليس من مسؤوليّه الدّين، بل إنّ الدّين فی ذاته ليس له أیّ تعارض وتضادّ وعدم انسجام مع العلم والعقلانيّه والفطره والقوانين الطّبيعيّه. ويشهد على هذا الادّعاء أنّ انشداد الإنسان إلى الأصول العلميّه ليس مطلقاً وتامّاً. فلم يكن للعلم أیّ دور فی الأضرار الّتی أصابت البشريّه. ولم يتمّ أیّ نهب وتخريب تحت ضوء هذا المصباح! ولأجل إدراک العلاقه الأدقّ فيما بين الدّين والعلم ينبغی ملاحظه مقدار تأثير العلم على المعتقدات الدّينيّه، فهل أنّ العلم يدعم مثل هذه الاعتقادات أم أنّه يبطلها وينفيها؟ وهل أنّ الأديان ساهمت على السّواء فی نشوء العلم ونموّه أم أنّها أوصدت الباب دونه؟ وهل بإمكان العلم القيام بدور الدّين؟ وإذا كان كذلک فهل يمكن إثبات قيمه والتزاماته الغائيّه عن طريق عمليّات البحث التجريبیّ؟ وبعباره أخرى، هل يستطيع العلم إضافه إلى توفيره الأدوات والأساليب؛ تحديد قيمه الأهداف؟ وهل أنّ الافتراضات الأساسيّه للعلم هی فوق التّجربه كما هو الحال فی الدّين ولا يمكن تأييدها أو نفيها عن طريق أساليب العلوم التّجربيّه؟

ففی الواقع إنّ العلاقات المنطقيّه لأسس العلم والدّين لا يمكن تحديدها وفق ضوابط معيّنه؛ لكون الأديان ونظراً لتنوّع ماهيّاتها واختلافاتها الأساسيّه فی المجال المعرفیّ ومعرفه العالم ومعرفه الإنسان؛ لا تقيم علاقه متكافئه مع العلم. فلو أخذنا على سبيل المثال؛ الأديان الشّعائريّه الّتی تقدّس رموزاً وطواطم خاصّه وتحوی مزيجاً خرافيّاً أكبر، فهذه الأديان يمكنها إقامه نوع من العلاقه مع العلم.

ولكنّ الأديان الّتی تعتمد الوحی تتمحور حول العلم والعقل والبصيره الإنسانيّه وتقيم علاقه معقوله ومنظّمه ومكمّله مع العلم. ومن جانب آخر يمكن القول: إنّ الأديان العرفانيّه كالنّحل العرفانيّه المسيحيّه، والبوذيّه وطرق

التّصوّف الإسلامیّ الّتی تتّبع أسلوباً خاصّاً؛ لا ترتبط بعلاقه وثیقه مع العلم. فبعد هذه المقدّمه یأتی دور الکلام حول الرّوابط المحتمله فیما بین العلم والدّین.

فأحد الآراء یعتقد بأنّ الدّین والعلم منسجمان مع بعضهما من الأساس ویسیران فی طریقین متوازیین باتّجاه الحقیقه، أو أنّ کلّ منهما له طریقه فی الوصول إلیها. وفی رأی القدّیس توماس «إذا کان الإنسان یمتلک علماً واطّلاعاً کافیاً فلن یلاحظ أیّ تعارض واختلاف فیما بین العلم والدّین».

ویمکن أن تکون وجوه الانسجام فیما بین العلم والدّین متنوّعه ومتعدّده. ففی إحدی صورها هو انصباب سعی الاثنین نحو إدراک حقیقه العالم وجوهر الذّات، ولا یمکن ملاحظه الفرق فیما بین بحثهما وسعیهما. وکما یقول کانت: «إنّ الاختلاف فی نظرتنا إلی العالم هو النّظر إلی العمق والظّاهر، فالعلم یحاول کشف الحقیقه عن طریق معرفه حقیقه الظّواهر، ولکنّ الدّین والمیتافیزیّه تحاول ذلک عن طریق معرفه جوهر وذات وحقیقه الأشیاء، ولکون العالم لیس جوهراً قائماً فی ذات، فیتوصل الأسلوبان إلی الحقیقه ذاتها فی نهایه المطاف».(۱)

إنّ إحدی الأسالیب والمساعی لحل الخلاف والصّراع فیما بین العلم والدّین هو افتراض عدم الارتباط التّام فیما بین الاثنین، فالعلم یرتکز علی العقل، فی حال أنّ الدّین یرتکز علی الإیمان. ولا یمکن الإغماض هنا عن احتمال قول القائل: إنّ أسس الاستدلال للمعرفه الدّینیّه یفترق بشکل تامّ عن عملیّات تقویم المعرفه غیر الدّینیّه.(۲)

فالاستدلال الدّینیّ ینشأ من التّجربه الباطنیّه، ومن هنا فلا یستطیع العلم الوصول إلی غایه وحقیقه منطق الدّین.

۱- (۱) هوبرماس: العولمه ومستقبل الدّیمقراطیّه.

۲- (۲) آلستون، بیتر وغیره...، الدّین والآفاق الجدیده، ص ۹۰، «التّرجمه الفارسیّه لغلام حسین توکّلی».

مكانه العلم فی المجتمعات الدّینیّه

کـان العلم فی المجتمعـات الـدّینیّه تـابع علی الـدّوام للـدّین والفلسـفات الشّـائعه، فـالعلم لم یصـل مطلقـاً إلی ذلـک الاسـتقلال والتّصرّف الّذی وصله فی الغرب، وطغی فیه علی الدّین والفلسفه، وجعل من الإنسان المالک الأوحد للعالم، أمّا العالم فی الشّرق فلم یصبح دنیویّاً مطلقاً، ولکنّه یری نفسه مرتبطاً علی الدّوام بالرّوح الحاکمه علیه وبما وراء الطّبیعه، ویری الدّین بأنّ العالم ما هو إلّا تجلّیاً للفیض الإلهیّ.

فلذا فهو لا یری له مساراً وعملیّه تحرفه عن ذلک. فالفلسـفه الغربیّه ابتنیت علی فکره التّصدیق العقلیّ والاتّجاه العینیّ، ولکنّها فی الشّـرق ارتکزت علی المکاشـفه والإیمـان وکـان لهـا دائمـاً وجهـاً غیبیّـاً ومـا فوق المـادّیّ. ففی الغرب تختلف الأسـالیب العلمیّه والفلسـفیّه والأیـدیولوجیّه والنظم السّیاسـیّه والاجتمـاعیّه اختلافاً أساسـیّاً عنها فی الشّـرق والمجتمعات المـذهبیّه. فمرجعیّه الإراده البشـریّه، إعطاء العلم وزناً أکثر من الحدّ اللازم، عدم السّـماح للقوی الغیبیّه بالتّدخّل فی الحیاه والمصیر البشریّ، محوریّه الإنسان وحرّیّتـه المطلقـه فی التّـدخّل والتّصـرّف والبحث فی الطّـبیعه؛ تعـدّ من ممیّزات الثّقـافه الغربیّه. فلـذا یمکن تحدیـد خصوصـیّات الحضاره الغربیّه بالشّکل التّالی:

۱. تقنیه الفکر وتقنینه.

۲. النّظره المادّیّه والمیکانیکیّه للعالم وجعله دنیویّاً.

۳. تطبیع الإنسان (من مصادیق الطّبیعه).

۴. محاربه الأسطوره والهبوط عن مستوی الغائیّه والأخرویّه إلی طبیعه الحیاه المادّیّه والنفعیّه فی اتّجاهات العلم الغربیّ.

مكانه الدّين فى عصر العلم

إنّ الإطاحه بظروف ومقتضيات الزّمان يعدّ من أكثر العوامل أساسيّه فى انسجام الدّين مع التّقدّم العلمىّ وعمليّه التّنميه. فهو من مستلزمات احتفاظ الدّين بقدرته، وصيانه الشّريعه داخليّاً واستعداده لتحمّل المسؤوليّه وفتح عيون أتباعه على آفاق وطرق واضحه فى عالم التّقدّم العلمىّ. ومع أنّ الدّين بإمكانه التّأثير فى تعزيز أو تضييق أو إبطاء نمو التّقدّم العلمىّ، ولكنّ حاجات ومقتضيات الحياه البشريّه وضروره سيرها التّكاملىّ توجب إدامه هذه المسيره، وأنّ معارضه القائمين على الدّين للعقل الحديث والتّطوّر البشرىّ المتنامى يؤدّى إلى إيجاد شرخ وبعد عن الدّين وكراهيّته باعتباره عائقاً دون التّطوّر، وإلى انعكاسه بشكل، كالّذى يحاول أن يفسّره علماؤه والقائمين عليه، وليس بعنوانه حقيقه إلهيّه فيكون معرضاً للنّقد والانتقاد. ومن هنا يحاول العلماء غير الدّينيّين قراءه الدّين بشكل يؤهّله للانسجام والتناغم مع الأصول العلميّه. وهذا ما أدّى لعرض قراءات متنوّعه عنه على مرّ التّاريخ.

وكما أنّ الاتّجاهات المنظّمه للنّزعه الطّبيعيّه والفلسفه الوضعيّه وإجراءات الشيوعيّه والعلمانيّه اللادينيّه لم تتمكّن من عزل المذهب عن حياه النّاس، فكذا الأنظمه الليبراليّه والاتّجاهات الغربيّه الأخرى المنظويه تحت لافته العلميّه أو العقلنه أو العصرنه أو العولمه؛ لا تستطيع بدورها ملء فراغ حضور الدّين وعزله عن واقع الحياه. فلا يستطيع أىّ بديل مصطنع انتزاع الدّور الّذى يقوم به الدّين.

۷: علاقه الدّین والعصرنه

اشاره

إنّ الادّعاء الّذی یقول بعدم قابلیّه الدّین للانسجام مع عناصر العصرنه وأسسها ومکاسبها؛ فلذا ینبغی تأویله وتطویره حسب قراءات وتفسیرات حدیثه أو إبعاده من الأساس عن التّدخّل فی الشّؤون الدّنیویّه والحکومیّه والمؤسّسات المدنیّه والاجتماعیّه وغضّ النّظر عنه؛ إنّ هذا القول یعدّ قولاً مغرضاً وغیر منصف فیما یتّصل بالإسلام وناجم عن الجهل بأبسط أسس الرؤیه العالمیّه والمعرفیّه للإنسان وتعالیم الإسلام، ومع الإغماض عن المستلزمات والنّتائج المرفوضه لهذه النّظریّه ینبغی عدّ هذه الرؤیه تعمیماً للتّجربه غیر الموفّقه والخائبه للغرب والّتی یطبّل لها بعض مقلدیه.

وبحسب تعبیر الأستاذ مطهّری: «کان العلم قبل حدوث النّهضه الصّناعیّه والتّنویریّه فی خدمه الحقیقه وغدا الیوم فی خدمه القوّه ورأس المال والمصالح المادّیّه. وهذا ما تسبّب فی فقد قداسته وخلعه لوجهه السّماویّ واصطباغه بصبغه الأرض والمادّه، فغدا مجرّد وسیله لاکتشاف الطّبیعه وتذلیلها والاستفاده القصوی منها، ویقول بیغن: «العلم للقوّه وفی خدمتها». فلم یأت زمن علی الدّنیا کان العلم فیها أسیراً بهذا القدر وبهذه الدّرجه من خدمه المستبدین والطّغاه.(۱)

۱- (۱) مرتضی مطهّری، الفکر الفلسفیّ الغربیّ، ص ۱۳۱، موجزاً.

فینبغی النّظر فی النّسبه بین هذا الاتّجاه وموقف الدّین من العلم، وهل أنّ وصایا القرآن والنّصوص الدّینیّه فی الدّعوه إلی العلم والتّعقّل والتّدبّر والتّفکّر والحکمه لم تکن دعوه إلی مثل هذا العلم؟ من الواضح أنّ مثل هذا الاتّجاه لا یرتضیه الإسلام ولا ینسجم مع التعالیم الدّینیّه بأیّ حال من الأحوال. فکما أنّ العلم الغربیّ یبتنی علی أسس الفلسفه العصرانیه والنّزعه الإنسانیّه الغربیّه، فالعلمیّه الإسلامیّه ینبغی مطالعتها فی هامش الرؤیّه العالمیّه والرؤیّه الإنسانیّه والنّظام الجامع للمعرفه الإسلامیّه.

فالاختلاف الجوهریّ فیما بین العلم الّذی یصبّ فی خدمه القوّه وتوفیر الحرّیّه البشریّه فی الاستمتاع المطلق والمنفلت وتسخیر والاستفاده من مصادر الطّبیعه بأیّ شکل کان، فمثل هذه النّظره غیر معقوله وغیر منصفه. فالعلم الغربیّ لا یحمل أیّه قیم وحقوق ویبتنی علی أصاله الفرد والیبرالیّه الغربیّه ولا یعترف بحقوق الشّعوب الأخری فی العیش واستثمار المصادر الطّبیعیّه.

والعلم الغربیّ لا یعیر أهمّیّه للإفرازات السّلبیّه للتّقنیه علی مصادر الحیاه والمجتمعات البشریّه. فهو علم بلا قیود وبلا ضوابط، ویعتقد بأنّ الدّین والرّؤیه الکونیّه والقیم الإنسانیّه تقف حائلاً دون التّقدّم.

«وللتّقنیه الحدیثه مقتضیاتها ومستلزماتها الخاصّه المرافقه لها، فإنّ أیّ نوع من التّقنیه یؤدّی إلی تطوّرات تتناسب واستخدامها فی البیئه الاجتماعیّه ولا یمکن افتراض حیادیّتها وعدم إحداثها تغییرات ثقافیّه اجتماعیّه واقتصادیّه».(۱)

«بل إنّ التّقنیه تخلق ظروفاً جدیده وتغیر کلّ شیء، فهی تغیّر طبیعه الحیاه».(۲) فکما أنّ الثّوره الصّناعیّه فی أوربا أحدثت تغییرات مهمّه باختراع

۱- (۱) مهدی نصیری، الإسلام والتجدّد، ص ۳۳۴، «باللّغه الفارسیّه».

۲- (۲) المصدر نفسه، ص ۳۳۵.

الطّباعه والتّقنيات الاُخر والتّقدّم العلميّ و الصّناعيّ، وماأحدثه التّلفاز أو الكومبيوتر والأنترنيت.

فكذا يمكن تسخير التّقنيه لخدمه الإنسان واستخدامها بطريقه تؤمّن الرّخاء والأمن، وتكون أرضيّه مناسبه للسّيطره على الطّبيعه لتأمين استثمار مصادرها ونعمها الإلهيّه بشكل أفضل وأكبر، وليس استخدامها لتخريب الطّبيعه وتهديد الإنسان.

إذن فيمكن أن تكون هناك نظره إنسانيّه وعلميّه وعقلانيّه إلى الطّبيعه واستخدام التّقنيه لخدمه الإنسان، فإذا كانت لدينا مثل هذه النّظره الفلسفيّه والعقلانيّه والعلميّه والدّينيّه العادله إلى العالم، فإنّ النّظره الّتى ترى الإنسان على أنّه موجود فعّال لما يشاء وذو حرّيّه مطلقه يستخدم التّقنيه العلميّه والعقل كوسيله لنيل الملذّات وتحقيق مصالحه الشّخصيه مع جهله بحقيقه منشأ العالم والغايه من الوجود؛ فإنّ مثل هذه النّظره تجعل منه إنساناً لا يمكنه إشباع رغباته، ويقوده ازدياد حرصه إلى تعاظم إحساسه باللاهويّه والوحده والكآبه؛ إذن فلابدّ من معرفه الإنسان والعالم بكافّه أبعاده، فحرّيّته المطلقه وتركه بلا توجيه معناه العبث والعدم، ويبيّن القرآن الكريم عاقبه مثل هذه النّظره، بقوله: (ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ) ،(١) (يَعْلَمُونَ ظاهِراً مِنَ الْحَياهِ الدُّنْيا وَ هُمْ عَنِ الْآخِرَهِ هُمْ غافِلُونَ) ،(٢) (ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَ يَتَمَتَّعُوا وَ يُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) .(٣)

نظريه إمكانيه الاستفاده من التّقنيه مع الحفاظ على الهويّه الوطنيّه

إنّ هذه المسأله كانت ومنذ زمن بعيد موضع نزاع فيما بين العصرانيّه

١- (١) الأنعام، ٩١.

٢- (٢) الروم، ٧.

٣- (٣) الحجر، ٣.

والتّقليديّه، وشغلت أذهان المجتمعات بطرق متعدّده، وتمثّلت على شكل جدالات فى مجال التّغرّب والتّجدّد وتيارات التّنوير، كلّ تلك الاتّجاهات المتنوّعه كانت تسعى لبيان نوع التّعامل فيما بين الشّرق والغرب والحفاظ على الهويّه الأصليّه فى مقابل النّفوذ المتزايد للغرب، ولكنّ السّؤال الّذى لازال مطروحاً؛ هو هل يمكن التّفكيك والتفريق فيما بين التّقنيه الغربيّه وبين ثقافه وأسس التّقدّم التّقنىّ والعلمىّ، والاستدلال على أنّه من الممكن الاستفاده من المكاسب المفيده للغرب وتقنيته مع رفض ثقافته وآدابه ورسومه الثّقافيّه؟ إنّ كثيراً من المفكّرين الغربيّين والتّنويريّين غير السّياسيّين يعتقدون بعدم إمكانيه الفصل فيما بين أجزاء الحضاره الغربيّه. فالمكاسب الظّاهريّه والتّقنيه هى نتاج تطوّر فكرىّ ومساعٍ علميّه على مدى قرون مديده.

وقد أكّد بعض العلماء المسلمين فى القرون الأخيره وكردّ فعل على التّطوّر والتّقدّم العلمىّ والتّقنى الغربىّ على أنّ اكتساب العلوم والفنون المهمّه؛ يعدّ من الأمور الضّروريّه وقد أوّلوا ما ورد فى القرآن والرّوايات المتطرّقه إلى الإطراء على العلم والعقل وذم الجهل فى هذا النّطاق. ونفّروا المسلمين على اقتباس مثل هذه العلوم وعدم التّريث ولو للحظه فى هذا المجال. ويعتقد هؤلاء المفكّرون فى تصوّر أولى بأنّ العلوم الجديده ما هى إلّا استمراراً منطقيّاً ووجهاً تكامليّاً للعلوم الطّبيعيّه الّتى كانت موجوده، ولم يعتنوا بمبادئ وأسس وغايات هذه العلوم الحديثه. فى حال أنّ أهمّ هدف للعلم الحديث الّذى رافقه التّقدّم التّقنى العظيم «الميل نحو الاستيلاء والسّيطره على الطّبيعه» و «النّزعه الإنسانيّه». فالغرب يعتقد بأنّ المكاسب العلميّه والتّقدّم يعتمد على القول بأصاله العلم وأصاله الإنسان وتوهّم ألوهيّته والاعتقاد بالإراده والقدره البشريّه المطلقه ورفض المذهب والانفلات من سيطره الدّين والكنيسه. «ويعتقد بأنّ البشريّه ليست بحاجه فى ظل العلم

والتّقنيه إلى الخضوع لله والقوى الطّبيعيّه وغير الطّبيعيّه، وأنّ الإنسان له السّلطه على الطّبيعه وليس له غايه سوى كسب قدره أكبر والتّمتّع المفرَط بالدّنيا وليس له رغبه فى الخلود فيها».(۱)

إنجازات الدّين فى المجتمعات الحديثه

إذا أراد الدّين أن يكون له دور وأهمّيّه فى المجتمع الحديث فعليه أن يكون عامّاً ومنظّماً، ومصدراً كامناً للإجابه على جميع الهواجس والمسائل العامّه والجماعيّه، والتّأثير على النّظام الاجتماعىّ كى يتمّ العمل بالأصول الدّينيّه ومسائل ما وراء الطّبيعه وتتوافق المسائل الاجتماعيّه والإنسانيّه معها.(۲)

فإنّ عولمه المجتمع مع الميل إلى خصخصه الدّين يعدّ أرضيّه خصبه للنّفوذ الجديد والعام للدّين. وليس المقصود من النّفوذ العامّ للدّين هو ارتقاء المستوى الدّينىّ للأفراد وإنّما المقصود هو جعل التّديّن ردّ فعل عامّ مستلهم من الدّين.(۳)

إنّ مسأله فعّاليّه الدّين فى العالم المعاصر ترتبط بشدّه بنفوذه وشموله ونفعه فى المجتمعات الحديثه. وكذلك ترتبط بنظرته الأخلاقيّه إلى المسائل الاجتماعيّه والإنسانيّه وتنظيم العلاقات الأخلاقيّه للمجتمع على أسس القواعد الدّينيّه، فتجعل هذه العمليّه من الدّين خُلقاً أو يمكن تسميتها بتنميه الأخلاق، كما أنّ النّظام الأخلاقىّ فى المجتمع يساعد كثيراً على نفوذ الدّين فيه، وتؤثّر الأخلاق الدّينيّه على تنظيم أسس العلاقات الاجتماعيّه، وتزيد من العلاقات السّليمه وتؤدّى إلى بسط الأمن والثّقه المتبادله. وكذا تحدُّ من الفوضى السّلوكيّه، وتحول دون كثير من

۱- (۱) مهدى نصيرى، الإسلام والتجدّد، ص ۱۰۶، «باللّغه الفارسيّه».

۲- (۲) بايكين ريتشارد، الدّين، هنا، حالياً، ص ۲۶، «التّرجمه الفارسيّه لمجيد محمّدى».

۳- (۳) المصدر نفسه، ص ۱۷۸.

مسبّبات الأزمات الاجتماعيّه؛ ممّا يؤثّر تأثيراً إيجابيّا وبنّاء على النّظام التّعليمىّ والتّربوىّ والاقتصادىّ للمجتمع.

علاقه العلم والدّين فى رأى بعض مفكّرى العالم

يرسم العلّامه الإسلامىّ والفيلسوف البارز مرتضى مطهّرى علاقه الدّين والعلم بهذه الصّوره: «لا يوجد شىء أفدح وأشأم على البشريّه من فصل الدّين عن العلم. فهذا الفصل يدمّر التّوازن الاجتماعىّ للبشريّه والعالم القديم والحديث على السّواء. إنّ مرض العالم القديم يتمثّل فى بحث النّاس عن اتّجاههم الدّينىّ بمعزل عن العلم. وكما أنّ المرض الأساسىّ لعالم اليوم هو أنّ البعض يبحثون عن العلم بمعزل عن الدّين. فإنّ أغلب الانحرافات والشّقاء الّذى يهدّد إنسان اليوم ناجم عن طلب العلم دون إيمان. فاليوم الّذى تظلّل فيه السّعاده رؤوس البشريّه هو ذلك اليوم الّذى تشعر فيه شعوراً عميقا أنّها كالطّير بحاجه إلى جناحين، جناح للعلم وجناح للإيمان».(۱)

فالإسلام ليس له تصوّر مزدوج للعالم والإنسان، وإنّما يقول بأصاله الدّنيا والآخره، الجسم والرّوح وارتباطهما مع بعضهما البعض، وكذلك يقول بأنّ التّعبّد والتّعقّل، وأنّ النّظر إلى الفرد والمجتمع بشكل معقول له أهمّيّه فى تقرير مصير الإنسان والمجتمع.

إنّ هذه النّظره الإسلاميّه ليست مجرّد وهم وخيال لا ـ يرتبط بالحياه الواقعيّه، وإنّما مبتنيه على الرّؤيه العالميّه الخاصّه بالإسلام، والّتى تربط الاهتمام بالحياه والغايات الدّنيويّه بشكل معقول وهادف مع القيم الإلهيّه الرّاقيه.

فإنّ القول بالتّعارض فيما بين المعنويّه والحاجات المادّيّه للإنسان، بين الأخرويّه ومحوريّه الدّنيا، بين الدّين والسّياسه، بين الباطن والظاهر،

۱- (۱) مرتضى مطهّرى، الإنسان الكامل، ص ۲۰۰-۲۰۱.

وإعطاء الأولويّه لأحدهما وإسقاط الآخر؛ هو مخالف للنّصوص الصّريحه للإسلام.

إنّ بعض مدّعى الفكر التّنويرىّ يسعون لإظهار عدم انسجام الإسلام مع العلم والتّجدّد وعلى هذا أساس هذه الرؤيه طرحوا نظريّه (عرفيّه الدّين) أو عدم انسجام القداسه الدّينيّه مع السّياسه. فهذا الطيف من التنويريّين الدّينيّين يجعل للعقل البشرىّ دائره انتخاب ومناوره أوسع وأكبر من جميع أبعاد الشّريعه. ولنقد مثل هذا الرأى ينبغى القول؛ بأنّ هذا التّأويل والصّيغه ترتكز على افتراضين:

١. أنّ الدّنيا والآخره أمران متضادّان، وتفترض أنّ نوع التّعامل فيما بينهما هو من نوع التّباين، ولا يمكن الجمع والمساومه فيما بين الدّنيويّه والأخرويّه.

٢. أنّ أسلوب العلم يختلف ويغاير أسلوب ونتاج الدّين، ومن خلال إنكار الجوانب القدسيّه من الحياه البشريّه وعالم الوجود تنتفى الحاجه إلى الدّين.

العولمه والدّين

فى رأى لوهان ذو الاتّجاه الدّينىّ؛ أنّ العولمه «ليست تقدّماً ثوريّاً إجباريّاً باتّجاه استيلاء العصرنه الغربيّه عالميّاً، بل إنّ هذه العمليّه التّطوّريّه ليست بمعنى إنكار الواقعيّات التّجربيّه لمثل هذه الفرضيّه، وإنّما بحسب الرّأى النّظرىّ ينبغى أن تكون للعولمه آثار عميقه على المجتمعات الأخرى، والحال أنّ مقاومه العولمه وتوسّعها فى مختلف أرجاء العالم أدّى إلى نشوء حركات مستوحاه من الدّين».(١)

ويقول فى تحليله؛ أنّه حتّى فى المجتمعات الّتى يسير فيها الدّين باتّجاه الخصخصه يمكن ملاحظه مثل هذه الفعّاليّه له.

١- (١) بايكين، ريتشارد، الدّين، هنا، حالياً، ص ٢٠٦، «التّرجمه الفارسيّه لمجيد محمّدى».

ویستدلّ بأنّ المعرفه المعنویّه فی المستقبل؛ ستصبح الوجه الغالب للحیاه البشریّه، ویسمّی ذلک «الرّؤیه الکونیّه المعنویّه للمجتمع الحدیث»، فهذه الرّؤیه الکونیّه تحافظ علی کثیر من المعتقدات والقیم والسّلوکیات، ویعتقد أنّ أفضل إطار لتعزیز مثل هذا النّوع من المعنویّه هو إطار الفرد نورث وایتهد، ویتعرّض للدّفاع کلامیّاً لموقف وایتهد من الفکر الحدیث، فوایتهد ینفی دعوی الرّؤیه الکونیّه الحدیثه المبتنیه علی کشف العلاقه العلّیه فیما بین الظّواهر الفیزیاویّه ویعتقد بنوع من العلاقه الرّوحیّه والمعنویّه للظّواهر العالمیّه. ویؤکّد من خلال علاقه وتأثیر اللطف الإلهیّ بالتّضافر مع عملیّه التّطوّر والبحث والتّجارب الإنسانیّه؛ علی ضروره المعرفه المعنویّه فی عصر ما بعد الحداثه. «إنّ الاعتقاد بالعلاقه المعنویّه وتأثیر العوامل الملکوتیّه و الرّوحیّه علی الموجودات المادّیّه موجود أیضاً فی الأدیان الأخری».(۱)

وعلی أساس هذا التّصوّر؛ فإنّ التّأثیر الإلهیّ والمعنویّ لله فی الحیاه البشریّه یتجلّی فی أشکال متنوّعه من العلاقه التّکوینیّه للموجودات، وحتی العلاقه الشّعوریّه و الرّوحانیّه وغوامضهما. وکذلک الاعتقاد بالتّقدیر العامّ والأجل وکثیر من الحقائق الأُخر الخارجه عن نطاق الإدراک والإراده البشریّه، ولکنّها تؤثّر تأثیراً مهمّاً علی المصیر الإنسانیّ، کأمثال إعمال الله سلطته وتأثیره علی حیاه الإنسان من خلال الأنبیاء والکتب السّماویّه و الطّرق الأخری الّتی تتمثّل بالإراده الحتمیّه والجازمه لله ودوامها؛ فکلّ ذلک یعدّ من الدلائل الحاکیه عن قاعده اللّطف والعلاقه المعنویّه لله مع العالم والإنسان.

إنّ إحدی الجوانب الأخری لتأثیر العولمه؛ أنّها تؤدّی إلی تجدید الحیاه المذهبیّه، فبعض التّیارات المذهبیّه ومن خلال تأکیدِها علی النّزعه الإیمانیّه

۱- (۱) المصدر السّابق، ص ۲۰۶.

بدل التّأكيد على القوميّه والوطنيّه والمحلّيّه أوجدت نوعاً من الانسجام والتّضامن فيما بين أتباع ذلك الدّين.

۱. فالثّوره الإسلاميّه فى إيران على سبيل المثال كان لها أصداء واسعه فى مختلف أرجاء العالم من خلال سرعتها والمراحل الّتى طوتها، بحيث لم يشاهد ذلك فى أيّه حركه إسلاميّه تجديديّه.

۲. إنّ العولمه عزّزت العلاقات المذهبيّه.(۱) فعلى سبيل المثال، البلاغات والبيانات الّتى يصدرها البابا لكلّ العالم وكذلك زياراته للدّول ولقاءاته مع قادتها قد روّجت للمسيحيّه بشكل جديد.

۳. أمّا فى الإسلام فإنّ كثيراً من المسلمين يسافرون بسهوله إلى مكّه لأداء مناسك الحجّ ويؤدّى هذا العمل العبادىّ العظيم إلى انعكاسات متعدّده سياسيّه وثقافيّه ودينيّه.

۴. انتشار كتاب سلمان رشدى عام ۱۹۸۹ والأصداء الواسعه لفتوى الإمام الخمينىّ عن طريق وسائل الإعلام العالميّه، تحوّل إلى مناسبه عالميّه لها انعكاس سياسىّ ومذهبىّ واسع.

۵. دور منظّمه المؤتمر الإسلامىّ - الّتى تأسّست فى سبعينيات القرن الماضى - فى المسائل العالميّه والقرارات الدّينيّه المهمّه.

۶. استفاده المسلمين من الأقمار الاصطناعيّه والأنترنيت للدّعوه إلى أهدافهم الدّينيّه والثّقافيّه.

أمّا الإجابه عن ماهيّه تأثير عمليّه العولمه على الدّين؛ فبعض المفكّرين الإسلاميّين أمثال محمد قطب يعتقدون بأنّ: «العولمه لا يمكنها إضعاف وإنكار الدّين وحسب، وإنّما تعدّ من أسباب تعزيزه وانتشار الصّحوه الإسلاميّه فى كافّه مناطق العالم. ويستدلّ على إثبات مدّعاه بطريقين:

۱- (۱) مظهر الإلوهيّه والربانيّه والمربوبيّه لله أو لمقام الخليفه الإلهىّ.

الـدّليل الأوّل؛ الّذى يمكن إقامته فى هـذا المجال هو «أنّ الحضاره الغربيّه اليوم مع ما حصدته من مكاسب علميّه كثيره، ولكنّها من جهه أخرى ساقت البشريّه نحو الـدّمار والانحطاط وأحـدثت أزمـات متعـدّده أخلاقيّه، اجتماعيّه، بيئويّه واقتصاديّه، وصور متنوّعه من اللا أمن واللا عداله. فإنسان اليوم يعيش الفقر والتّعارض من ناحيه الأسـس المعرفيّه، ويعانى من ضياع هدفه الأساسىّ وفلسـفه وجـوده. ومن نـاحيه الرؤيه الإنسـانيّه والعـالميّه فقـد دخـل فى نفـق مظلم وجهـل مطبق؛ يواجه فيه وبقوّه أزمـات روحيّه، أخلاقيّه، اجتماعيّه، بيئويّه ولا أمنيّه وتهديدات دوليّه. فالبشـريّه مع ما نالته من القدره المادّيّه والعلميّه والاقتصاديّه والتقنيّه الفائقه، ولكنّهـا باتّجاههـا المادّىّ والمنحرف عن الـدّين سـقطت فى ورطه الانحراف والانحطاط وابتليت بالغفله عن نفسـها. فالإنسان فى رأى المـدارس الفكريّه الغربيّه حيـوان داروينىّ طـوى مراحـل التّكامـل من العقـل والحيوانيّه، وتمكّن بواسـطه ذلـك من التّفكير والتّحـدّث واسـتخدام الوسائل والإمكانات وأوجـد حضاره مادّيّه. فأهـداف هذا الإنسان فى الحياه هى الاسـتمثار الأقصـى للذّات الحسيّه من جهه، والانتصـار فى عمليّه تنـازع البقاء من جهه أخرى، ووسائله فى هـذا النّزاع هى العلم والحرب والسّياسه».(۱) إنّ هـذا الإنسان ومن خلال إنكاره علاقته بالله أوجـد لنفسه (إحساساً بنوع من الإلوهيّه) وأخـذ يمارس الأنانيّه واعتقـد بأنّه (فعّال لما يشاء)، وأنّ شـعوره بالاسـتغناء والسـعاده يرتبط بإنكار الـدّين وتـدخّل الله، وهـذه هى الأزمه المعنويّه والفكريّه للإنسان المعاصـر والّتى لا يوجـد طريق للخروج منها إلّا بالمصالحه مع الـدّين، ولا توجـد فى هـذا المجال مـدرسه بإمكانها إنقاذ الإنسان من هـذه الأزمات المعرفيّه والفلسفيّه والمعنويّه والروحيّه والهوهويّه سوى الإسلام.

۱- (۱) محمّد قطب، المسلمون ومسأله العولمه، ص ۶۲، «التّرجمه الفارسيّه».

كيفيّه توافق الدّين مع الظّروف الجديده

هل أنّ الأصول والأحكام والتّعاليم الدّينيّه ينبغى تغييرها عند حدوث تغيير وتطوّر فى المحيط الخارجىّ، أم أنّها تبقى على حالها من الأصاله والثّبات وعدم التّغير والتّطوّر وإن تطوّرت الأوضاع الخارجيّه وتغيّر لون ورائحه آداب ورسوم الحياه المادّيّه والفكريّه؟

وينبغى التّنبيه على هذه النّقطه المهمّه فى هذا المجال وهى أنّنا عندما نتحدّث عن الدّين وتغييره فإنّ هذا الكلام لا يعنى تغيير جوهره وحقيقته باعتباره أمراً مقدّساً، وإنّما باعتباره ديناً موحَياً و (كتاباً منزلاً) يتلائم تطبيقه وعمل واعتقاد الإنسان الأرضىّ، وله دور مصيرىً وملهم فى الحياه الفرديّه والاجتماعيّه. فإذا أراد الدّين أن يتوافق والتّغييرات الخارجيّه وظروفها الجديده بعنوانها ظرفاً لتبلور الدّين؛ فأىّ جانب من جوانب الدّين سيطاله التّغيير؟. قبل الإجابه على هذه المسأله واكتشاف حلّها ينبغى أوّلاً مطالعه ماهيّه هذه التّطوّرات الجديده والتأمّل فيها. فهل أنّ التّطوّرات الّتى حدثت جرّاء العولمه اقتصرت على اختزال الزّمان والمكان فينبغى على الدّين الّذى كان نطاقه مقتصراً على مجتمع صغير ومنطقه خاصّه ويختصّ بقوم وقبيله معيّنه؛ أن يتجاوز زمانه ومكانه المحدود ويتّسع ليشمل كلّ العالم ويشير إلى نفسه فى المجتمع العالمىّ.

أم أنّ التّجمعات الدّينيّه والمراسم المذهبيّه تقام بذات الشّكل المعهود وفى مكانها وزمانها المعيّن؟ أم أنّها تقام بصوره غير مباشره وبواسطه وسائل الاتّصال والمواصلات الحديثه؟ وما هو الاختلاف أساساً فيما بين السّلوك الدّينىّ لمتديّنى المجتمع العالمىّ مع سلوكهم فى المحيطات الصّغيره والمحلّيّه؟

إنّ عولمه الدّين يمكن أن تكون عمليّه تحديد وفرز جديد، تُوجد موقعاً عالميّاً للمذهب، وتشمل هذه المرحله ثلاثه جوانب:

الأوّل: تؤدّی إلی تغییر حتمیّ فی کلّ المؤسّسات المذهبیّه.

الثّانی: یمکن توقّع حدوث ممیّزات جدیده فی مضمون المعتقدات والمناسک والرّسوم والشّعائر.

الثّالث: إنّ العولمه الّتی رافقتها تغییرات فی جمیع الأدیان والمذاهب، وعلی الخصوص الرؤی الفکریّه والمعرفیّه لأتباعها فی العالم الجدید؛ ستتعرّض لتطوّرات وتغییرات أخری.

ویعتقد انتونی ماک غرو أن إحدی أشکال هذه التّغییرات هو (الأدیان متعدّده القومیّات) الّتی تتمخّض فی ظروف ثقافیّه واجتماعیّه خاصّه بواسطه الجماعات المستقلّه والمنظّمات غیر المرتبطه بالدّول.

النّوع الثّانی من التّغییرات؛ هو تبلور الدّین فی صوره (دین شبکیّ) بمعنی أنّ الأدیان فی عصر العولمه تکسب بواسطه الإعلام العالمیّ أتباعاً عالمیّین من خلال محوریّه الفعّالیّات المذهبیّه والاجتماعیّه. وتتشکّل علی هذا الأساس حرکات عالمیّه جدیده ذات اتّجاهات وفعّالیّات ثقافیّه واجتماعیّه أمثال؛ حرکات السّلام، العداله، الإصلاحات الاجتماعیّه والسّیاسیّه، وحرکات صیانه البیئه وأنواع اخر من المسائل المرتبطه بحبّ الإنسانیّه وأعمال الخیر.

ففی عملیّه العولمه «تتوفّر الإمکانیّه لکلّ دین ومذهب لترویجه خارج نطاق حدوده الوطنیّه».(۱) وذلک لتطوّر مکانه الدّین من خلال الاستفاده من الأجواء والإمکانات المستجدّه، وکذا من خلال زوال کثیر من معوّقات تبلیغ الدّین والحواجز المفروضه الأخری. أمّا المسأله المهمّه الأخری والّتی یبرز لها ارتباط روحیّ وعاطفیّ بمکانه الدّین «فنظراً للنّزعه الدّینیّه الحدیثه فی

۱- (۱) محسن الویری، الدّین والعولمه؛ الفرص والإشکالات، (مجموعه مقالات المؤتمر ۱۶ للوحده الإسلامیّه).

العالم، فقد انساق عالم اليوم نحو الدّين لملء الفراغ المعنوىّ والأخلاقىّ الّذى يعانيه، وكذا فكريّاً ومعرفيّا لإذعانه بعدم فعّاليّه الأيديولوجيّه الدّيمقراطيّه الليبراليّه والنّماذج الموجوده، فأخذ يبحث عن حياته فى النّظريّات الثّقافيّه والدّينيّه، ممّا أعطى المبلّغين الدّينيّين فرصةً وظرفاً جديداً لاطّلاع عامّه المجتمع ونخبه على التّعاليم الدّينيّه».(۱)

وفى مقاله لأحد المفكّرين والباحثين الدّينيّين تحت عنوان (مشاكل التدين فى العالم المعاصر) يذكر فيها بأنّ مشكله العولمه هى من إحدى المشاكل الّتى تواجه التّدين. ويطرح فى هذا المجال أسئله وإشكالات يمكن أن يواجهها المتديّنون فى عمليّه العولمه وتتمثّل فى:

أ) هل أنّ العولمه متحقّقه أم هى فى طور التّحقّق؟

ب) و هل أنّها إراديه ومختاره فى حال تحقّقها أم أنّها غير إراديّه؟

ج) وهل أنّها تؤمّن مصالح فئه خاصّه من النّاس؟

د) وما هى مستلزماتها ونتائجها على الذّهنيّه والنّفسيّه البشريّه؟

ثمّ يشير إلى الطّموحات والآفاق الّتى ينتظرها الإنسان من الدّين ويقول: إنّ العولمه تؤدّى بنا إلى مواجهه ظواهر دينيّه أخرى، وتعرّفنا على نقاط القوّه والضّعف وامتيازات كلّ دين، وتعزّز القدره على الانتخاب والمنافسه فيما بين المتديّنين.

ويمكن الإشاره فى هذا السّياق إلى ردود الأفعال المتفاوته الّتى أثارتها العولمه فى المحافل السياسيّه والعلميّه والثّقافيّه؛ فالبابا جان بول الثّانى رئيس الكنيسه الكاثوليكيّه خاطب مجمع الفاتيكان السّنوىّ قائلاً: «يجب أن لا تتمثّل العولمه كنوع من الاستعمار، بل ينبغى احترام التّنوّع الثّقافىّ، ودعى البشريّه إلى الاهتمام بالأخلاق الإنسانيّه والحرّيّه فى انتخاب الثّقافه والدّين فى مسيره

۱- (۱) المصدر نفسه، ص ۲۷۸.

العولمه. وحذّر من أن يقتصر التّمتّع بالعلم والتّقنيه والمواصلات ومصادر الثّروه على الأقلّيّه على حساب الإضرار بالأكثريّه».(۱)

ويحذّر ماهتير محمد رئيس الوزراء الماليزىّ السّابق من أنّ أنصار العولمه مكبون على التّهيؤ لإساءه استثمار السّوق العالميّه المفتوحه، وأهاب بالمسلمين أن يسعوا بشكل منسجم للتّأثير من خلال تعريف مفاهيمها وتقنينها، وينبغى عليهم أن يكونوا أذكياء فى امتلاك بعض الوسائل الأساسيّه للعولمه وإدراك أبعادها.

وأكّد على ارتباط دور الإسلام فى عصر العولمه بكيفيّه تعامل المسلمين حيال المسائل العالميّه المهمّه من قبيل السّلام والعداله وعمليّه التّنميه والرّخاء العام.

ويبيّن كارل جوزف كوشل مصير الدّين فى عصر العولمه قائلاً: «إنّ العداله والسّلام العالميّين وظائف ترتبط بجميع النّاس، فلا ينبغى أن توكل إلى خصوص السياسيّين والاقتصاديّين» فتقع على عاتق الاقتصاد والأنترنيت والبورصه والأديان مسؤوليّه خاصّه لبسط الرّخاء العام. وينبغى إيكال السّياسه والاقتصاد والحيلوله دون اللا أمن واللا عداله ومواجهه أسباب تهديد السّلامه الروحيّه والنّفسيّه وصيانه المسؤوليات الأخلاقيّه والقيم الإنسانيه للمواطنين فى القريه العالميّه؛ إلى عهده الفلاسفه والمفكّرين الدّينيّين.

ومن الطّبيعى أنّه ينبغى علينا الالتزام بعقائدنا وعدم التّفريط بها لمجاراه العولمه، والاعتقاد بضروره التّعامل والحوار فيما بين الأديان. فسيكون للثّقافات والأديان مكانه مهمّه فى عصر العولمه.

ولا يستطيع أحد أن يدّعى عدم وجود سوى دين واحد فى المستقبل، لعدم وجود ممهّدات وأسباب مثل هذه القضيّه فى الحاله العاديّه. ومن هنا ينبغى اعتراف الجميع بقبول الاختلاف فيما بين الأديان وحق الانتخاب وحرّيّه أتباعها.

۱- (۱) فصليّه مطالعات استراتيجيّه، العدد ۱۳، ص ۳۰۹، «باللّغه الفارسيّه».

العولمه والإسلام

لطالما كانت العلاقه بين الإسـلام والتّطوّر العالمیّ حیّه، فالإسلام باعتباره تیّاراً حیّاً ومتجدّداً كان على الدّوام یساير التّطوّر على مرّ التّاريخ.(۱) ولكن ينبغى الإذعان بأنّ التّطوّر البنّاء للإسلام باعتباره ديناً مهمّاً يقع على كاهل المسلمين. فلدراسه المسيره التّكامليّه للإسـلام ومطـالعه التّطوّر الجديـد للـدّين؛ ينبغى الأخـذ بنظر الاعتبار أيضاً العوامل الخارجيّه المنبثقه عن التّطوّرات المسـتمرّه فى المحيط المحاذى للإسلام، فتطوّر الإسلام ينبغى مطالعته ضمن هذه المجموعه العالميّه العامّه.

وكما قيل؛ إنّ العولمه تجرّ الإنسان نحو الصّراع فى المجالات الاجتماعيّه المختلفه ولا يشـذّ أىّ مجال من المجالات البشـريّه عن التّأثّر بها. فهذه العمليّه شئنا أم أبينا هى فى حال شمول، سواء كان ذلك إيجابيّاً أم سلبيّاً. وكما يقول رولاند روبتسون: «إنّ توحّد العـالم أمر محتوم. فهـذه الظّاهره فى ذات الوقت الّذى تظلّل فيه جميع الحـدود المادّيّه يمكنها أيضاً من تطوير الحـدود المعنويّه والعقائديّه».(۲)

فمـا هى وظيفه المسـلمين فى مقابـل عمليّه العولمه؟ فالأصل الأوّل للحصول على المعرفه والاطّلاع اللازم للتّعامل مع الافتراضات الأساسيّه للحضاره الغربيّه هو النّظر فى الأسس والمبانى الفلسفيّه والسّياسيّه والاقتصاديّه الغربيّه، وإلى أزماتها الاجتماعيّه والثّقافيّه والـدّينيّه العميقه الّتى انتجت المـدارس الإلحاديّه واللا أدريّه وعشـرات المـدارس العبثيّه واللهويّه، والّتى ساعـدت فى نهايه الأمر على السّقوط الأخلاقىّ فى الغرب، فإنّ لذلك أهميّه قصوى، «فالوظيفه المهمّه للمسلمين فى مقابل عمليّه العولمه هى معرفه

۱- (۱) ويلفرد، كنت وول سميث، الإسلام فى عالم اليوم، «التّرجمه الفارسيّه لحسين على هروى».

۲- (۲) جان تاملسون، العولمه والثّقافه، ص ۲۵، «التّرجمه الفارسيّه».

الحضاره الغربيّه وأسسها من جهه، والإدراك الكامل لمحتوى الثّقافه الإسلاميّه الغنيّه وظرفيّتها العالميّه من جهه أخرى؛ لأجل التّمكّن من معالجه الأزمات الفكريّه والمعنويّه للعصر الحالى والسّعى لترويض الرّوح المعنويّه والفكريّه للحضاره الغربيّه».(۱)

الإسلام فى عالم اليوم

لقد رضخت المجتمعات الإسلاميّه اليوم لضروره إقامه علاقات عالميّه متبادله وتأسيس مؤسّسات فى هذا المجال لجعل الدول الإسلاميّه قادره على التّعاون والظّهور برأى واحد فى الاجتماعات الدّوليّه.

ولكنّ النّموّ التّعليمىّ والتّربيه العامّه و التّعرّف على التّراث الإسلامىّ الثّر هو من أهمّ المسائل المؤثّره الّتى ينبغى على المسلمين الاهتمام بها. فإنّ ازدياد معرفه المسلمين بالدّور الّذى من الممكن أن يضطلع به التّراث الثّقافىّ الإسلامىّ العظيم يجعلهم أكثر معرفه وأكبر قدره ممّا يؤدّى إلى اعتدادهم بهويّتهم الثّقافيّه والتّاريخيّه والدّينيّه وسعيهم للحفاظ عليها فى ذات الوقت الّذى يتقبّلون فيه نماذج التّجدّد ومكاسب التّقنيه، والحيلوله دون الذّوبان فى الثّقافات الحديثه.

فأغلب المفكّرين الإسلاميّين يؤكّدون على أنّ النّظره العقلانيّه والانتقاديّه والإحاطه بالظّروف الزّمانيّه والمكانيّه بإمكانه أن يحافظ على جوهر الدّين فى عصر العولمه. والبعض الآخر يشير إلى إمكانيّه التّغلب على الثّقافه الحديثه بواسطه المعنويّه والعرفانيّه الإسلاميّه، ويؤكّدون على إمكانيّه ترويض العلم والتّقنيه الغربيّه وجعلها تسير فى خدمه الأهداف الأصيله والمعقوله للبشريّه، والاستفاده منها لنشر وتوسيع المعنويّه على مستوى العالم.

۱- (۱) مهاتير محمّد، خطابه فى افتتاحيّه مؤتمر القمّه الإسلاميّه.

وتؤكّد هذه الفئه على القابليّات المتعدّده للإسلام للقضاء على الفقر و استعاده المعنويّه فى العالم المعاصر نظراً لضعف الأديان الأخرى فى سدّ هذه الحاجات.

ولكن عموماً ينبغى القول؛ بأنّه يمكن للمسلمين اتّخاذ طريقين فى مقابل الحضاره الغربيّه:

١. الانسجام مع حركه الحضاره العالميّه مع الحفاظ على هويّتهم.

٢. العمل على تقويه أسسهم العلميّه والتقنيّه من خلال إعاده بناء هيكليّتهم الدّاخليّه والالتزام بالإيمان وتعاليمهم الدّينيّه والعقلانيّه الأصيله.

وبما أنّ علاقه الإسلام والغرب وصلت إلى حدود الصّراع فيما بين ثقافتين والمواجهه بين فكرين وأسلوبين يرتكزان على أسس دينيّه وفلسفيّه وسياسيّه منفصله؛ فستؤدّى هذه المواجهه الجدّيّه والخطيره إلى نزاعات ومعضلات كثيره، وستكون هذه الحقيقه أوضح وأقوى فى إطار عمليّه العولمه. ومن هنا؛ يمكن التكهّن بأنّ الإسلام سيكون من إحدى الثّقافات المهمّه والمؤثّره فى المستقبل.

فكيف سيكون تعامل الإسلام وعلاقته بالأديان الأخرى عند تحقّق التّطوّرات الفكريّه والثّقافيّه للمسلمين، وما هى استراتيجيّته فى حل المعضلات العالميّه؟ فمن خلال إمعان النّظر فى التّعارضات المتعدّده، كتضادّ الإيمان والشّكاكيّه، السّنّه والبدعه، الأصاله والالتقاطيّه، الأصوليّه فى مقابل التّردّد المفرط للتجدّديّه؛ ينبغى القول:

توجد طروح جديده لإعاده قراءه الدّين، فالتّجديد الفكرىّ للتّنويريّين الإسلاميّين والإصلاحيّين فى العالم الإسلامىّ استطاع تجاوز المراحل الأولى للدّور العالمىّ للإسلام. أمّا الآن فقد برزت ثلاثه اتّجاهات أساسيّه داخل العالم الإسلامىّ:

١. طلب التحديث والوسوسه الدّائبه للتّغيير على أمل الخلاص من الاستعمار السّياسىّ والاقتصادىّ الغربىّ.

۲. الاستفاده من الأفضليّه الفكريّه والجداره الإسلاميّه فی المواجهات السّياسيّه والسّعی نحو الاستقلال واستغلال الجهاد والشّهاده فی طريق العقيده والأهداف الإسلاميّه.

۳. بروز فكره عوده الحكومه فی إطار الضّوابط والمعايير الإسلاميّه.

إنّ طراوه الأيديولوجيّه الإسلاميّه لجديره وقادره علی إقامه مجتمع حديث علی أنقاض المجتمعات المنهاره، فالإسلام قادر علی إثاره قلوب أتباعه ليكافحوا بعزم معوّقات ومشاكل الحياه من خلال التّسلّح بالإيمان والاتّحاد. فإنّ دور الإيمان لا يقتصر علی البناء الذّاتیّ للمسلم، فيستطيع الإسلام اليوم بأسلوبه الأيدلوجیّ الشّامل أن يطرح نفسه فی العالم من خلال خصوصيّتی التّسامح والطّموح فی المجال الاجتماعیّ.

وللإجابه عن هذا السّؤال وهو هل أنّ الإسلام يمكن تطابقه والتّعاليم الأساسيّه الهشّه للعولمه أم لا؟ يمكن عرض رأيين فی هذا المجال:

الرّأی الأوّل؛ يمكن طرحه وتحليله بناءً علی مقوله علاقه الإسلام بالعصرنه، فعلی أساس هذا الرّأی يستطيع الإسلام الإجابه علی كثير من المعضلات العلميّه والانسدادات الفكريّه الّتی نتجت عن تناقضات العصرنه وطرح حلول ناجعه لها. ومن خلال التّفسير الخاصّ للعصرنه يمكن التّوفيق فيما بين العقلانيّه الحديثه والإسلام بقراءه خاصّه، وتلفيق العلم الحديث والعقل الحديث مع العلم المعرفیّ الدّينیّ الأساسیّ والمعرفه الغائيّه الدّينيّه للإنسان، وتعريف الدّين بعنوانه عاملاً فوق المادّه وليست هی بديلاً عنه ومسؤولاً عن توفير الحاجات الأساسيّه والضّروريّه للبشريّه. واعتبار العلم ومقوله محوريّه العلم والعقلنه العصرانيّه مسؤوله أيضاً عن توفير الحاجات المادّيّه المعيشيّه للإنسان، ففی هذه المقوله يوضع الدّين فی مكانه الّذی يستحقّه، وكذا العقلانيّه الحديثه تتمتّع بتأييد الدّين وقبوله، ومن خلال هذا

التّفسير يزول التّعارض فيما بين الدّين والعلم والعقلانيّه وكذلك التّعارض فيما بين العقلنه والنّزعه الإيمانيّه.

ولكنّ الكلام الأساسىّ فى أنّه هل ينبغى أن تطالَع وتحلَّل علاقه العالم الإسلامىّ بمسار العولمه فى قالب مقوله علاقه الإسلام بالعصرنه، أم أنّ الإسلام باعتباره نظاماً دينيّاً يتضمّن تعاليم وقيم ونماذج اعتقاديّه وعمليّه معيّنه يمكنه لعب دور أساسىّ فى عمليّه العولمه وعمليّه توحيد القيم الثّقافيّه، ويُطرح على أنّه عنصر مقتدر وعامل حاسم. ويعتمد هذا التّحليل على افتراض أنّه فيما إذا أدّت عمليّه العولمه إلى توحيد الهويّات والثّقافات وتحطيم الأسس والعناصر الحاليّه للمجتمعات. ففى هذه الحاله تكون عاملاً عالميّاً يمتلك إراده القوّه حسب رأى هيجل وفوكو وإراده العقلانيّه حسب رأى ماكس وهوبرماس؛ يلعب دوراً مؤثّراً وأساسيّاً، وترتكز هذه الفكره على أصول وعناصر العصرنه.

ويمكن تفسير وتأويل هذا الرّأى بناءً على نظريّه أمثال جون غينز وهوبرماس الّتى ترى بأنّ العصرنه هى مشروع غير متكامل. ففى هذه النّظره؛ تكون العصرنه فى صدد توسيع نفسها والسّيطره على الثّقافات والمقولات الأخرى، وفى صدد تحطيم أساس كلّ من التّقليديّه والأصوليّه أو الشّموليّه، فمن هذا الجانب تقوم العصرنه بإنكار الآخر وكلّ ما وراء الطّبيعه وكلّ أمر قدسىّ.

ويمكن تحليل علاقه الإسلام بالعولمه على أساس مبنى العصرنه بطريقه أخرى؛ وهى أنّ الإسلام وعلى أساس بعض تعاليمه كالدّعوه إلى العقلانيّه والعلم والإنسانيّه... الخ؛ ينسجم نوعاً ما مع مبانى العصرنه، ولكنّ العصرنه من جهه أخرى لا تتّفق مع بعض «وجوه مقتضيات وتعاليم الدّين كغائيّه الأخلاق، الزّهاده، المعنويّه، الإيثار، اجتناب الاستهلاك المفرَط والإسراف

وغيرها. فمن هذه النّاحيه لا ينسجم ولا يتّفق الإسلام مع العولمه ذات المعايير والمبانى العصرانيّه».(۱)

الوجه الآخر الّذى يؤدّى إلى نزاع الإسلام مع العولمه؛ هو أنّ التّعاليم الأصيله للإسلام تؤكّد على كون الحقائق الدّينيّه مطلقه وثابته وعلى أصاله القيم الدّينيّه، وكون المعايير الأخلاقيّه مطلقه وعدم قبول الأحكام الدّينيّه للتّعطيل. فى حال أنّ العولمه تتعارض والقيم الدّينيّه الثّابته والمطلقه؛ وعلى الخصوص إذا ما حلّلنا العولمه حسب مبنى ما بعد الحداثه؛ فيقوم التّعارض أيضاً فيما بين أصاله القيم الدّينيّه مع نزعه النّسبيّه والتّعدّديّه الثّقافيّه لما بعد الحداثه.

أمّا الرّأى الآخر الّذى يعبّر عن رأى بعض الباحثين الدّينيّين المعاصرين؛ فهو يرى بأنّ الماهيّه الأيديولوجيّه للعولمه لا تنسجم وتتعارض ذاتياً مع الإسلام. ويستدلّ أنصار هذا الرّأى بأنّ العولمه تقوم على التّعاليم الليبراليّه وتعمل على تحطيم أسس الهويّات والثّقافات الأُخر لتصبح عالميّه وتفرض عليها أشكالاً ونماذج ومقتضيات جديده.

إحدى الاستدلالات الأُخر لهذه الفئه أنّ الثّقافه الغربيّه ومن خلال الاستفاده من التّقنيه والقدره السّياسيّه والاقتصاديّه الأكبر وعن طريق سيطرتها على الجمعيّات والوسائل الثّقافيّه المتعدّده ووسائل الاتّصال تحاول سوق عمليّه العولمه لصالحها الخاصّ.

بعض المنظّرين الّذين يعتقدون بأنّ العولمه تعنى غربنه العالم أو سيطره النّظام الرأسمالىّ الغربىّ، يحلّلون المسأله بهذا الاتّجاه، ولكن فى مقابل هذا الرّأى يقف أمثال غينز، روبتسون ليعتقدوا «بأنّ العولمه تختلف وترويج المؤسّسات الغربيّه عالميّاً وأنّ وصول الثّقافات الأخرى إلى حاله التعقّل هو من آثارها».(۲)

۱- (۱) سيّد عبد العلى قوّام، العولمه والعالم الثّالث، ص ۳۵۸.

۲- (۲) السّيد حسين نصر، الشّباب المسلم والعالم المتجدّد، ص ۸.

وليس بإمكان الغرب فرض ثقافته بالإكراه على الثّقافات والمجتمعات الأخرى. وأنّ ماهيّه ومقتضيات العولمه النّاقضه للأسس الّتى تعمل على تحطيم الحدود السّياسيّه والجغرافيّه والثّقافيّه لا تنسجم والماهيّه الاستبداديّه والسّاعيه لتفوّق الحضاره الغربيّه. وأُكّد فى هذه المقاله كذلك على أنّ العولمه هى عمليّه وصيغه للنّموّ والتّنميه التاريخيّه للبشريّه. وليس لها فى ذاتها ارتباط جوهرىّ بالعصرنه، ولذا بإمكان أيّه حضاره وثقافه ومذهب أداء دور فى أجواء العولمه. وهى فى ذاتها لا تحمل أيّه ثقافه خاصّه، وإنّما هى فرصه للتّنافس الثّقافىّ العالمىّ.

نتائج البحث

فى حصيله عامّه لكلّ ما تقدّم يمكن القول؛ بأنّ العولمه أثّرت تأثيراً عميقاً على أوضاع العالم الإسلامىّ فى العقود الأخيره. ويمكن ملاحظه مثل هذا التّأثير فى المؤسّسات الحكوميّه والاتّجاه التّجديدى للمجتمعات الإسلاميّه فى تفاعلها مع القضايا العالميّه والحياه الفرديّه والاجتماعيّه والثّقافيّه. فالاتّجاه نحو التّقنيات المتقدّمه، الانضمام إلى المؤسّسات الدوليّه ورواج الديمقراطيّه؛ أدخل المجتمعات الإسلاميّه فى خضمّ حياه عالميّه يصطلح عليها (القريه العالميّه). أمّا المنظومات السّابقه والأسس التّقليديّه فقد تعرّضت للتّغير والتّحوّل فأصبحنا نسير نحو مجتمع غير محدود. ففى هذه العمليّه الّتى تدعو إلى الوحده الثّقافيّه والهوهويّه توضع القيم الثّقافيّه أمام خيارين؛ فإمّا أن تختار الانسجام والتّناغم معها أو الافتراق والمقاومه ضدّها. فلو افترضنا بأنّ العولمه صيغه لا يمكن اجتنابها وهى فى طور التّحقّق أو قد كشفت عن بعض مميّزاتها؛ فهل يمكن الاحتراز من إفرازاتها وأمواجها المروّعه والسّيطره عليها؟

وهل يمكن التّوصّل إلى كيفيّه مواجهه العالم الإسلامىّ لها، بناءً على

الافتراض الآنف؟ وهل يمكن للتّعاليم الدّينيّه التّعامل والانسجام مع المنهج التّقنى لها؟ أم أنّ التّعارض وعدم التّوافق فيما بينها وبين الإسلام سيكون حاسماً وقاطعا خصوصاً فى بعده الأيديولوجىّ؟

فإذا قبلنا الافتراض الأوّل وقلنا بالانسجام فيما بين الإسلام والتّقنيه، يطرح حينها هذا السؤال الهامّ؛ وهو هل من الممكن أن لا تكون للتّقنيه أيّه امتدادات قيميّه وثقافيّه ومقتضيات وآثار أخرى؟ فإنّ القول بالفصل المطلق فيما بين الثّقافه والاقتصاد والسّياسه والتّقنيه لا يمكن الجزم به، نظراً للأبعاد المعقّده للمجتمعات البشريّه والتأثير والارتباط الواسع والمتنامى للتّقنيه فى جميع شؤون الحياه. ولهذا ونظراً للأبعاد المختلفه للعولمه لا يمكن اتّخاذ أسلوب عامّ فى هذا المجال. فلمعرفه أبعاد علاقتها بالدّين لابدّ من أخذ تأثيرها والتغييرات الّتى تحدثها بعين الاعتبار والرضوخ لواقعيّه (أنّ العولمه تتعارض والثّقافه الإسلاميّه والفكر الدّينىّ). ولأجل؛ عدم إمكان التّكافؤ بين جميع الثّقافات والمجتمعات فى الحصول على التّقنيه أوّلاً، وعدم لعبها دوراً مشتركا فى بروزها وتحقّقها ثانياً، وأنّ ردود أفعال الثّقافات والاتّجاهات القوميّه والمحلّيّه تّجاه العولمه - الّتى تمخّضت عن هويّات جديده - يحكى عن عدم الانسجام والتّعارض فيما بينهما ثالثاً.

وهنا ينبغى التّذكير بأرنست غلنز الّذى يقول: «هناك عدم انسجام فيما بين ادّعاءات وتعاليم الغرب الّتى تتّصف بالعالميّه والشّموليّه وبين التّعاليم الإسلاميّه، ويؤدّى عدم الانسجام هذا إلى إنكار أحدهما للآخر، وإلى توالد الأصوليّه الإسلاميّه من جديد؛ لإحساسها بخطر محو الهويّه الإسلاميّه، ومن جهه تزداد تبعيّه وتماثل ثقافه المجتمعات الإسلاميّه لثقافه الغرب من خلال التّقليد الأعمى وغير المدروس، وصحوتها وحذرها من فقد هويّتها الإسلاميّه من جهه أخرى، وهذا ما سيشكّل

تهدیداً خطیراً فی مقابل ثقافه الهیمنه الغربیّه. ویماثل هذا الوضع نهضه إحیاء الفکر الدّینیّ والإصلاح فی المجتمعات الإسلامیّه أبان السّیطره والنّفوذ الاستعماریّ فی الدّول الإسلامیّه».(۱)

ومن هنا تنشأ حاجه المسلمین إلی التّقدّم العلمیّ والتّقنیّ والثّقافیّ أکثر من أیّ وقت مضی، والسّعی لنقد الحضاره العالمیّه و قویمها للاستفاده من نقاطها الإیجابیّه. وینبغی فی هذا المجال؛ عدم الهیبه من الغرب أو الغفله عن القدرات والقابلیات الّتی یتمتّع بها الإسلام.

ففی رأی المجدّدین الدّینیّین؛ أنّ الإسلام دین شامل وذو رساله عالمیّه تعمّ جمیع البشر. وأنّ الرساله الأساسیّه له - باعتباره الدّین التّوحیدیّ الخاتم - هی هدایه الإنسان نحو العبودیّه لله وإنقاذه من عبودیّته للإنسان الآخر والطواغیت، والخلاص من الاستبداد والجهل والأمیّه. وأنّ الکرامه الإنسانیّه والعداله الاجتماعیّه وحرّیّه الفکر والبیان والمشارکه فی تقریر المصیر الفردیّ والسیاسیّ والاجتماعیّ من الأهداف الأساسیّه للإسلام.

إنّ الشّمولیّه العالمیّه والنّظره العالمیّه للإسلام ونزعته السّلمیّه تّجاه أتباع الأدیان الأخری، واحترامه للثّقافات المختلفه، وتعالیمه العادله والسلمیّه والتّفاهم والمساواه والأخوّه والعقلانیّه الّتی یتمتّع بها، وتثمینه دور العلم والعلماء؛ تشکّل أرضیّه مناسبه لقبوله عالمیّاً وتضمن تجدّده ودوامه وعدم تقوقع هذه الثّقافه الغنیّه والشّامله فی حدود ضیّقه.

ویعتقد بعض المفکّرین الدّینیّین؛ بأنّ علی الإسلام ولأجل تمکّنه من الانسجام مع عملیّه العولمه ترک بعض رکائزه التقلیدیّه، ففی رأی هذه الفئه أنّه ینبغی اتّخاذ بعض الخطوات فی هذا السّبیل:

۱- (۱) نیل مارفیلت، العولمه و العالم الثالث، ص ۱۳۳، «الترجمه الفارسیه».

١. تجاوز الفردانيّه.

٢. الإدراك الصّحيح لجوهر الدّين.

٣. الاتّجاه نحو العقلانيّه الدّينيّه والبيان العقلانىّ للتّعاليم الدّينيّه.

ومن خلال تأكيد القائلين بهذه النّظريه على قابليّه الإسلام لأن يصبح عولميّاً؛ يعتقدون بأنّ الدّعوه إلى التّوحيد والعقلانيّه يشكّل عاملاً وحدويّاً وتضامنيّاً للمجتمع الإنسانىّ وسلامه الحياه الاجتماعيّه، وأنّ العقلانيّه الّتى يراها الإسلام تتفاوت وعقلانيّه الفكر الغربىّ المرتكز على نزعه الفلسفه الإنسانيّه وأصاله المنفعه.

فيبدو أنّ العولمه تساعد على الصّحوه الإسلاميّه وانتشار الأفكار والأهداف الإنسانيّه والمعقوله للإسلام. فالإسلام دين حيوىّ وتوعوىّ، يتعاطى مع روح وفكر وإحساس الإنسان، ويشمل جميع شؤون حياته، ولا يقف حائلاً دون النّموّ والرّقىّ العقلانىّ له فحسب؛ وإنّما يلقى على عاتقه مسؤوليّه فرديّه واجتماعيّه أكبر. فالإسلام يدعو الإنسان إلى الوعى والحركه والسعى لإصلاح الفرد والمجتمع والإعمار والتّنميه وخدمه البشريّه، ويتضمّن أرقى الحقوق وأروع التّعاليم الأخلاقيّه المدعومه بعقلانيّه محكمه.

فإذا كان التّعولم بمعنى العولمه أو الغربنه وفرض نماذج الحياه الغربيّه على المجتمعات الأخرى؛ فسيكون فى نظر البشريّه من أسوء أنواع الاستعمار. فمع أنّ ترويج العولمه يتمّ تحت غطاء مفاهيم وقيم عامّه ومقبوله، ولكنّها فى واقع الأمر هى الاستعمار القديم ذاته، بل وحسب توقّع الكثير من العلماء والباحثين فى العلوم الاجتماعيّه والفلاسفه الدّينيّين أنّ العولمه تعنى انتشار الحضاره والنّماذج الغربيّه بنتائجها وأزماتها المتعدّده كالأزمات الاقتصاديّه، الحركات المتعدّده، الشّرخ الطّبقىّ، تزايد الفقر، الأزمات البيئويّه، أزمه الهويّه، أزمه المعنويّه، أزمه الحاكميّه، أزمه مشروعيّه السّلطه و... الخ.

فإحدى الجوانب الثّقافيّه للعولمه؛ الفساد الأخلاقيّ وعدم الالتزام بالقيم الدّينيّه الّتى تتّسع يوماً بعد آخر بواسطه الأقمار الاصطناعيّه والأنترنيت والوسائل الأخرى، والّتى تعدّ النّموذج البارز للفساد فى الأرض وطغيان الإنسان فى مقابل الله، والّذى يؤدّى إلى القضاء على الحرث والنّسل وكما نلاحظ بعض نماذجه فى عصرنا الحاضر، والّذى حسب السّنن الإلهيّه والمنظار الدّينى لا يبقى دون جواب. فمثل هذه الحضاره ستلاقى نهايه فاجعه تكون أكبر خطراً ممّا نواجهه منها اليوم؛ لبعدها عن كثير من الواقعيّات وإغماضها عن الحقائق الملموسه والعلميّه واشتباهاتها الفاحشه فى نظرتها إلى الإنسان والعالم.

وقد أكّدت السّنّه الإلهيّه وبأساليب متعدّده ومكرّره على أنّ (الله تعالى لا يترك الإنسان أن يمارس ما يريد دون رادع، وحذّره من الظّلم والطّغيان وارتكاب الآثام، وأنّ الجزاء الطّبيعيّ والوضعيّ للفسق والفجور والفساد فى الأرض سيكون بتعرّض الإنسان نفسه للهلاك والخسران). وتشير أيضاً إلى الاعتبار بالمصير الّذى واجهته المجتمعات السّابقه، فمع ما كان لها من القدره وما وصلت إليه من الحضاره لم تكن بمنأى عن العذاب الإلهىّ.

ماكس ويبر و من خلال نظرته الانتقاديّه للحداثه واتّباعاً لملهمه نيتشه، يتكهّن بموت الله وانتفاء المذهبيّه عن الثّقافه و انتشار النّسبيّه وصيروره الدّنيا مجرّد شىء كمّىّ وشيوع العبثيّه.(۱)

إنّ العلاقات العلميّه فيما بين الغرب والشّرق الّتى نجمت عن عمليّه الاستشراق وجذب نُخب العالم الإسلامىّ العلميّه إلى المراكز العلميّه الغربيّه، نجاح نماذج التّنميه فى بعض الدّول الإسلاميّه كماليزيا وغيرها، حدوث الثّوره الإسلاميّه فى إيران باتّجاهها الشّعبىّ، الاستفاده من وسائل الاتّصال

۱- (۱) ما بعد الحداثه والعولمه، ص ۱۴۶، «التّرجمه الفارسيّه».

الحديثه لإطّلاع العالم على التّعاليم والعلوم الإسلاميّه، روعه السّياحه فى العالم الإسلامىّ، الحركات الإسلاميّه، جذّابيّه المناهج والرّسوم العباديّه كالحجّ وصلاه الجمعه، الآثار الثّقافيّه والاجتماعيّه للمساجد فى الحياه المعنويّه والاجتماعيّه للمسلمين، الفن والعماره الإسلاميّه؛ كلّ ذلك يعدّ من العوامل الملفته والمدهشه بالنسبه للأمم الأخرى وذات التّأثير العالمىّ لهذا الدّين.

فإذا استطاع الإسلام الاستفاده من وسائل التّقنيه الحديثه وإبراز حقيقته الثّقافيّه الأفضل بشكل منظّم ومنسجم ومتفكّر؛ فبإمكانه طرح نفسه فى مقابل أزمات تعدّديّه ما بعد الحداثه وأزمات المعنى والهويّه للعصرنه. فالإسلام لازال ينبض بالحياه سواء أخذناه كدين أم حضاره ولازالت تعاليمه على صعيد مفاهيم، كالإنسان، العالم، الله ومستقبل الوجود متوهّجه بالحيويّه لدى المسلمين. ولذا فعلى المسلمين الجدّ والسعى للحفاظ على دينهم وتأسيس حضاره إسلاميّه جديده، وذلك من خلال معرفه الأزمات الرّاهنه ومخاطر الحضاره الغربيّه.

فالحضاره الغربيّه اليوم تتضمّن ثلاثه اتّجاهات مختلفه مع بعضها البعض ولكنّها تترابط فيما بينها لفرض وجودها وبسط نفوذها:

الأوّل: محاوله القضاء على جميع الحضارات الأخرى، ومن ضمنها الإسلاميّه بذريعه تحقيق (النّظام العالمىّ).

الثّانى: تدمير البيئه الطّبيعيّه من خلال استخدام التّقنيه المرافق لحرص ونهم الإنسان الليبرالىّ.

الثّالث: الانهيار الدّاخلىّ الذّاتىّ ومحو ما بقى من أخلاق المسيحيّه وقيم الإنسانيّه.

ومن هنا؛ فعلى المسلمين أن لا ينخدعوا بفكره الحضاره العالميّه الفاقده للهيئه والهويّه، والتّقليد الأعمى للعلم والتّقنيه الغربيّه فيساهموا فى تدمير البيئه الطّبيعيّه وعدم المبالاه بالقيم الدّينيّه والإنسانيّه.

ففی عقیده جورج بنارد شاو، إنّ أعظم وأهم التّعالیم المذهبیّه هو (أصاله إعانه البشریّه)، ثمّ یعقّب بذکر بعض الأسباب الّتی یشیر من خلالها إلی أنّ باستطاعه الإسلام إعداد الوسائل الممکنه لوصول إنسان العصر الرّاهن إلی هذا المبتغی.

الاستدلال الأوّل الّذی یذکره برنارد شاو لقابلیّه تعالیم الإسلام لأن تکون مقبوله من عامّه النّاس؛ هو أنّ الإسلام لا یتنکّر للتطوّرات النّاجمه عن (الفلسفه والعلم)، وأنّه أبقی طریق التّقدّم والتّطوّر مفتوحاً علی مصراعیه أمام البشریّه، وأنّ تعالیمه ذاتها تؤدّی إلی رواج الفلسفه والعلم. فمع أنّ الإسلام یحتضن وبانفتاح العلم ومکاسبه، ولکنّه فی ذات الوقت بقی محافظاً علی طهارته وخلوصه الدّائم وعلی قواعده وأسسه.

السّبب الآخر لأفضلیّه الإسلام (احترامه لحقوق الأفراد)، فالإنسان فی الإسلام یتمیز بالکرامه الذّاتیّه والحقوق الطّبیعیّه، ویتعامل مع القضایا المعنویّه والعلمیّه للأفراد باحترام بالغ، ویعدّ نظام المساواه والأخوّه فیه أساساً دینیّاً مهمّا.

«فمسأله (اللون والعنصر) فی عالمنا المتقدّم یُحکم علیها من خلال الأحاسیس الشّخصیّه ولکنّ الإسلام یحارب ویمنع التّمییز بکلّ أشکاله وألوانه».(۱)

فالمسیحیّون لا یمکنهم إنکار الحقائق المهمّه للعالم الإسلامیّ؛ الله من جهه والإنسان من جهه أخری، ودور الإسلام فی إقامه علاقه عقلانیّه ومنطقیّه فیما بین الله والإنسان.

فالمستقبل المادّیّ والمعنویّ للمسلمین یتوقّف علی شرطین:

۱. أنّ بعث الحیاه الإسلامیّه فی العصر الحاضر یؤدّی اجتماعیّاً إلی اکتساب المجتمعات الإسلامیّه قدره وحرکه وحیویّه جدیده.

۱- (۱) السّیّد هادی خسروشاهی، الإسلام؛ الدّین ومستقبل العالم. ویلفرد ول سمیث، الإسلام فی عالم الیوم.

٢. وينفض الغبار الّذى علق بإيمان المسلم واستعادته معرفته البنّاءه بالله وعدله الشّموليّ.

فإنّ الوهن الأساسيّ للحضاره الغربيّه فى المجالات الفكريّه والاجتماعيّه والثقافيّه يتمثّل فى عدم امتلاكها نظره متوازنه ومتكافئه لجميع النّاس باعتبارهم أفراداً يستحقّون الاحترام، وعدم إحساسها بأنّ لها التزامات متبادله مع الآخرين، كما هو عليه فى الإسلام.

أمّا على الصّعيد السّياسيّ والاقتصاديّ فلا تتقبّل إلّا على مضض بأنّ السّلام والتّطوّر العالميّ مرهون بالتّطوّر الفكريّ والتّفاهم البنّاء، ولذا فهى تجيز لنفسها استثمار المصادر الطّبيعيّه المشتركه وإن كانت فى أرض الغير بإيّ طريقه وكيفيّه كانت، وهذا ما يؤدّى إلى عدم إمكان الاستفاده العادله من الثّروات فى العالم.

ما الخطاب الّذى يريد الإسلام أن يوصله إلى العالم ؟

يمتلك الإسلام خطابات متعدّده يمكن أن يلفت انتباه العالم إليها، فبإمكانه طرح فكره العقلانيّ والأصيل الّذى لم يتأزّم مطلقاً كالفكر الفلسفيّ الغربيّ، أو أن يصل إلى طريق مسدود كما وصله. فبإمكانه طرحه على المستوى العالميّ والتّوفيق فيما بين نظرته الفلسفيّه والعلميّه. فثقافه الإسلام غنيّه بالتّعاليم والقيم الإنسانيّه والأخلاقيّه والمعنويّه الأصيله؛ المعروضه فى أجمل الحلل والقوالب الأدبيّه والفنيّه وأكثرها رونقاً وجاذبيّه. وكشف النّقاب عن أحاسيسه المملوءه بالمحبّه، الإخلاص، الوفاء، العفو والإيثار، المساواه والمواساه، خدمه الآخرين والالتزام بالأصول الإنسانيّه الراقيه؛ كى يروى غليل البشريّه المتعطّشه للمعنويّه والمحبّه.

وبإمكانه إراءه تعريف عقلانىّ وعرفانىّ وعلمىّ كامل للإنسان، بـدل التّعريف الّـذى تعرضه نزعه الفلسـفه الإنسانيّه الغربيّه والّذى يعـدّ من أكثر النّظرات خطراً وانحطاطاً للإنسان، وإخراج العلم المعرفىّ للغرب ومعرفته للإنسان والعالم من هـذا الانسداد الفكرىّ والفلسـفىّ الّذى وصله. فالمعرفه الذّاتيّه للإنسان الشّرقىّ تجعله أكثر لطافه ورحمه فى تعامله مع نفسه والعالم، ولكن نظره الإنسان الغربىّ القاسيه والجافّه لبنى جنسه وللطبيعه خلقت أزمات متعدّده كبّلت العالم والبشريّه بأغلالها.

ويتعرّض جان سبرزيتو فى كتابه «الإسلام صراط مستقيم» لتحليل موجز وجديد عن الإسلام من خلال تقصّيه فى مجالات ظهوره وانتشاره وتبلور المعتقدات والرؤى الإسـلاميّه على صـعيد (التقنين، الإلهيّات، الفلسـفه، العرفان والعلوم الأخرى)، وسعى فيه أيضاً إلى بيـان وكيفيّه ارتبـاط المسـلمين بأسـلوب الحيـاه الإسـلاميّه، ومن خلال طرحه لمشاكل المسـلمين على نطاق واسع يشـير إلى موضوع شموليّ ومهمّ؛ وهو هاجس الأديان الإبراهيميّه من شيوع العلمانيّه واضمحلال الإيمان والقيم الإنسانيّه.

ويشـير فى النهايه إلى الغليان الّذى تعيشه كثير من مناطق العالم الإسـلامىّ لوضع قدميها على جادّه الثّوره الإسلاميّه، ولكنّ أهمّيّه وانتشار مثل هذه الثّوره لا تنطلق من كونها قنبله تدميريّه أو عنفاً أو إرهاباً؛ وإنّما من كونها تطوّراً علميّاً يشمل كافّه جوانب الحياه وعوده إلى الهويّه الأصيله.

هل باستطاعه الإسلام قياده العالم فى العصر الرّاهن ؟

يمكن الإجـابه على هـذا السّؤال من خلال حـديث شـاو، الكـاتب والمحقّق الإيرلنـدى، المعروف بكتبه على المسـتوى العالمىّ، فيقول: «أنا على الدّوام منبهر ومندهش من دين محمّد لتميّزه بالحيويّه، وأكنّ له فائق الاحترام، وفى

رأیی أنّ الإسلام هو المذهب الوحید الّذی له قابلیّه الانسجام مع المتغیّرات الحیاتیّه فی القرون المختلفه، واعتقد وکما تتّضح آثار ذلک حالیاً بأنّه سیکون موضع ترحیب أوربا الغد»

ویقول فی موضع آخر: «فی عقیدتی أنّه لو کان مثل (محمّد) حاضراً فی عالم الیوم فإنّه سیوفّق فی حلّ مشاکل العالم وأزماته ویبسط السّلام والسّعاده الّتی تتأمّلها البشریّه».(۱)

لقد أسّس الإسلام البنی الاجتماعیّه اعتماداً علی العقل والأصول الدّینیّه، وقام بتقویه المؤسّسات المدنیّه والاجتماعیّه، وأسّس فی هذا المجال مؤسّسات رائعه؛ فالاجتماع الإسلامیّ لیس اجتماعاً طبقاتیاً، بل علی العکس من ذلک فهو یحارب الطّبقیّه والتّمییز بکافّه أشکاله وألوانه، فإنّ ملاک الحضاره الإسلامیّه هو الاعتراف بالحقوق والکرامه الذّاتیّه للإنسان وحقّ اختیاره وتقریر مصیره بنفسه، والسّعی لتنمیه وتفتّح مهارات الفرد والمجتمع.

وترتکز الحضاره الإسلامیّه علی أساس العلم والجدّ والعمل والتّقوی والهدفیّه والقیم الإنسانیّه والإسلامیّه (محوریّه التقوی، العقلنه، محوریّه العداله، خیر وصلاح المجتمع البشریّ) الّتی استلهمت جمیعها من الإسلام.

أمّا أسسها السّیاسیّه؛ فهی تؤکّد وبشدّه علی محاربه وإسقاط الحکومات الطّاغوتیّه والاستبدادیّه والحکومات غیر العادله (ذات الاتّجاه المعارض للإنسانیّه والمذهبیّه).

ویهیّء الإسلام الأرضیّه المناسبه لنمو وازدهار وارتقاء جمیع أفراد المجتمع ویعترف ویحترم حقوق الجمیع من کلّ جنس وصنف وقوم وقبیله ولون وعرِق.

۱- (۱) برنارد شاو، رساله التّوحید وأفکار الیوم، ص ۴۷-۴۸.

ویدین الظّلم والتّجاوز علی حقوق الآخرین بکلّ أشکاله ویعتبره أمراً مخالفاً للشّرع والقانون. والملاحظه الجدیره بالانتباه هنا؛ هی أنّ أغلب الحقوق فی الإسلام هی حقوق ذاتیّه وطبیعیّه ولیست عقدیّه أو علی سبیل المنحه أو التّوافق.

ویحول دون جمیع معوّقات التّنمیه والسعاده الفکریّه والثّقافیّه والسّیاسیّه والاقتصادیه للمجتمع ولأیّ فرد منه وبأیّ باعث کان، ویخطّط لآفاق النّمو والکمال والازدهار بأقصی درجاته ولجمیع أبناء البشریّه. ویعتبر حقّ الدّفاع عن الحقوق الفردیّه والاجتماعیّه حقّاً ذاتیاً ومشروعاً وواجباً.

آراء بعض العلماء بالإسلام

۱. یقول البروفسور والمستشرق الغربیّ ارلبری فی کتابه (العقل والوحی فی الإسلام): «فکما أنّ الإسلام یعدّ حرکه مذهبیّه فی جذوره وأصوله، فهو حرکه سیاسیّه کذلک، وبعباره أخری لا یوجد أیّ اختلاف بین مذهبه وسیاسته، وقد أقیم الاستدلال علی أنّ تعیین القیاده والقائد کان من أُولی الخطوات الأصیله والجذریّه فی تاریخ الإسلام».

۲. وتکتب مارغریت ماکوس فی کتابها (الشّرق الأوسط ومؤامره الشّرق أوسطیّون): «مع أنّ الحضاره الإسلامیّه تعیش الضّعف والانحطاط ویتعرّض المسلمین للقهر والغلبه من قبل الأیدیولوجیّات الأجنبیّه، ولکنّ الإسلام لازال یتمتّع بقوّه وحیویّه فی عالم الیوم، حتّی عُدّ المنافس الأوحد القویّ والمهیب للإلحاد والمادّیه فی هذا العصر».(۱) فمع أنّ المستشرقین الغربیّین عکسوا القیم والتّعالیم الإسلامیّه الوضّاءه بأسلوب غیر واقعیّ لحاجه فی نفس یعقوب، وعرّفوا الإسلام علی أنّه مذهب سیاسیّ حیناً، ومجرّد

۱- (۱) ماکوس، مارغریت: الشّرق الاوسط ومؤامره الشّرق أوسطیّون.

مـذهب معنویّ جـافّ ذی مناسـک وعبـادات شـاقّه عرفـانیّه وصوفیّه حینـاً آخر؛ و لکنّنـا نعلم بأنّ الإسـلام مـذهب شامل وکامل ومذهب اجتماعیّ فعّال وناشط ومذهب تحرّریّ وعقلانیّ وبنّاء.

۳. ویعتقد روجیه غارودی الفیلسوف الفرنسیّ الّذی أسلم حدیثاً:

«أنّ القـدره البرهانیّه والاسـتدلالیّه والحقائق الواضـحه للإسـلام والّتی تنسـجم مع الفطره؛ جعلت من منهجه منهجاً عالمیّا للبشـریّه جمعاء، وعلی الخصوص بعد اندحار وخیبه الأیدیولوجیّات الاشتراکیّه والرأسمالیّه وأمثالها الّتی کانت تدّعی قدرتها علی إیصال البشـریّه إلی سـعادتها المنشوده».(۱) ویشـیر إلی «أنّی عـثرت علی الاـشتراکیّه والمسـیحیّه فی الإسـلام» ویقـول: «تتمیّز القـوانین الإسلامیّه بشمولها کافّه وجوه الحیاه مع محافظتها علی القیم المعنویّه».(۲)

۴. ویقول أحـد المفکّرین البوسـنائیّین: «یعتقـد أغلب المحلّلین العالمیّین وبعض المفکّرین الغربیّین کـذلک؛ أنّ الحضاره الغربیّه تمرّ فی أزمه معنویّه کبری، وأنّ هـذه الأزمه فی حاله توسّع وانتشار حتی عصـفت بجمیع مؤسّسات وأعمـده النّظام الغربیّ وکذا بالحیاه الاجتماعیّه فیه».(۳)

۵. ویقول لوی کار استاذ فرع الحضاره الإسلامیّه فی جامعه باریس فی تحلیلٍ لحاجه الغرب إلی الإسلام:

«إنّ الفراغ النّاشـئ من فقـد الرّوح والمعنویّه فی العـالم المـادّیّ الغربیّ أدّی بالعالم المعاصـر إلی البحث عن ما یوازن بین المادیّه والمعنویّه، ویستطیع الإسلام القیام بهذا الدّور».(۴)

۱- (۱) منوجهر دبیر سیاقی، ماذا یجری فی الغرب، ص ۲۸۸، حوار صحفیّ.

۲- (۲) المصدر نفسه، ص ۲۳۷.

۳- (۳) میر أحمد رضا حاجتی، عصر الإمام الخمینیّ، ص ۲۲۰، «باللّغه الفارسیّه».

۴- (۴) نشره الرّساله الثّقافیّه، ربیع ۱۹۸۷، ص ۳۶.

«فی رأی مفکّری الغرب الواعین أنّ سرّ الأزمه الشّامله للحضاره الغربیّه والّتی لا یمکن إنکارها؛ لم یکن سوی إعراضها عن الوحی والمعنویّه، ولا یمکن علاج هذه الأزمه وهذا الدّاء إلّا بالعوده إلی الفکر المعنویّ والمنطقیّ للإسلام».(۱)

عوامل استعاده الهویّه الإسلامیّه (عوامل التحضّر الإسلامیّ)

۱. ینبغی العمل علی تقویه روحیّه الشّباب المسلم لیتکوّن لدیه إحساس بالقوّه والعزّه، ویعدّ التّعریف بالشّخصیّات الإسلامیّه العظیمه وبالنّوابغ والتّراث الثّقافیّ والإمکانات العلمیّه والتّاریخیّه والوطنیّه من أفضل السّبل فی هذا المجال.

۲. تحفیز الشّباب للسّعی نحو طلب العلم واکتساب العلوم والتّحقیق والتّعقّل والعنایه القصوی بما أکّد علیه الإسلام علی صعید التّعلّم والتّفکّر وقیمه العلم والعلماء؛ لیکتسب العلم صفه العموم علی مستوی الأفراد وعلی مستوی الفروع المعرفیّه.

۳. سعی عموم المسلمین للتّوحّد والتّضامن والتّفاهم والانسجام فیما بینهم، وبذل الجهد لمحو وإزاله جذور الخلاف وسوء الظّن والعصبیّه والالتفات إلی أنّ الوحده والأخوّه الصّادقه کانت من أعظم العوامل وأهمّ الأسباب الّتی ساعدت علی تقدّم المسلمین فی صدر الإسلام، وأنّ الاختلاف والفرقه من العوامل الأساسیّه فی انحطاطهم وأفول نجمهم.

۴. مبادره جمیع المسلمین وممثّلیهم وعلی الخصوص القاده الفکریّین والدّینیّین للتخطیط لتربیه الشّباب تربیه دینیّه وأخلاقیّه علی أساس الهویّه الإسلامیّه لیبقی عنصر الإیمان وهّاجاً فی قلوبهم ویکون فی ذلک بصیص أمل وقوّه للوصول إلی العزّه فی طریق التّقدّم والتّطوّر. وعدم تناسی أنّ التّخلّف والفقر وفقد الإحساس بالمسؤولیّه الاجتماعیّه والدّینیّه واللا إیمان والفساد

۱- (۱) میر أحمد رضا حاجتی، عصر الإمام الخمینیّ، ص ۲۲۰.

الأخلاقیّ کان من أهمّ العوامل الّتی أدّت إلی سقوط الحضاره الإسلامیّه وانهزام المسلمین أمام مخطّطات وضربات الصّلیبیّین فی الأندلس.

۵. وعلی المفکّرین والمحقّقین الإسلامیّین؛ بیان المعارف الدّینیّه والحقائق الإسلامیّه بأفضل وسائل الاستدلال وأوضح طرق البیان اتّباعاً لأسالیب الأنبیاء، وبعیداً عن الانحراف الفکریّ والعملیّ والتحریف والخرافه والسّطحیّه، وتنقیه الدّین ممّا علق به من الآفات والأضرار والّتهم.

إنّ الثّقافه الغربیّه المستورده تفقد فی کلّ یوم یمرّ علیها بعضاً من نفوذها فی مقابل الثّقافه الإسلامیّه الّتی ترتکز علی التّکامل المعنویّ والارتقاء الرّوحیّ. فمع کلّ هذا التّطوّر والتّقدّم الصّناعیّ والبحث العلمیّ الّذی شهده الغرب والعالم تبقی للثّقافه الإسلامیّه جذّابیّتها الخاصّه لدی قطّاعات الشّباب.

فلم تستطع تلک المظاهر الغربیّه أن تزعزع ارتباط المسلمین بمعنویّه الإسلام، بل نبّهتهم إلی ضروره تعزیز إیمانهم بالله والأمل بالمستقبل والتّعلّق بالتّجربه الإسلامیّه فی صدر الإسلام، ولکنّهم من جهه أخری؛ لابدّ أن یذعنوا بأنّ الإسلام إذا أراد أن یلعب الدّور المطلوب منه علی السّاحه العالمیّه فی مثل هذه الظّروف العالمیّه؛ أن یخطوا فی ساحه التّقدّم العلمیّ والتّقنیّ بموازاه ما یمتلکونه من إیمان مذهبیّ وقیم أخلاقیّه.

والإسلام قادر دون شکّ علی توظیف التّجارب والنّظریات السّیاسیّه والاقتصادیّه والعلمیّه للأمم الأخری. وعلی العالم الغربیّ أن یخطوا بدوره لمحاوله معرفه الإسلام بحقائقه وواقعیته الّتی لا یحجبها حجاب، وتقویم ما یمکن أن یضطلع به من دور، من خلال برامجه وتعالیمه الفعّاله والمتجدّده للتّخفیف من وطأه المشاکل الّتی یعیشها العالم وإیجاد الحلول المناسبه لها. فالکتّاب الغربیّون الّذی یعیشون قلقاً مستمرّاً فی کافّه شؤون حیاتهم جرّاء التّقدّم التّقنیّ؛ لم یحاولوا أن یفصحوا عن ذلک ولم یحاولوا فی هذا المجال

أن يستقرؤا الرّؤيه الإسلاميّه بشموليّتها الّتى ترى أنّ القضاء على هذا القلق والاضطراب من أولى مهامها وذلك من خلال تقويه روح الإيمان وبسط العداله الاجتماعيّه.

فالأمّه الإسلاميّه الّتى تفتّش عن نظام يعيد لها أصالتها الحياتيّه تأمل من الإسلام أن يقوم بهذا الدّور بثقافته الأصيله والحيويّه بعد أن ضلّت طريقها من خلال ركوبها موجه المظاهر المادّيّه للحضاره الغربيّه.

تحليل نظريّه تعارض الإسلام مع العولمه

يعتقد بعض المفكّرين والباحثين؛ بأنّ العولمه الفعليّه تتعارض والثّقافه الإسلاميّه والفكر الدّينىّ، ويستدلّون على مدّعاهم هذا بأنّ الثّقافات والمجتمعات ليست على قدم المساواه والقدره فى الحصول على التّقنيه أوّلاً، وعدم قيامها بدور مشترك فى عمليّه بلوره وتحقّق تلك التّقنيه ثانياً، أمّا ثالثاً؛ فإنّ ردود أفعال الثّقافات والاتّجاهات القوميّه والمحلّيّه تّجاه العولمه ونمو وتبلور الهويّات الجديده؛ تحكى عن تعارضها وعدم انسجامها مع عمليّه العولمه. ويؤيّد هذا الرأى ويؤكّد عليه ارنست غلنر فيقول: «يوجد نوع من عدم التّوافق بين الدّعوى الّتى تقول بأنّ التّعاليم الغربيّه تتحوّل إلى تعاليم عالميّه وشموليّه فى عمليه العولمه وبين التّعاليم الإسلاميّه، ويؤدّى عدم التّوافق هذا إلى محاوله الطّرفين للقضاء على أحدهما الآخر، فالأصوليّه الإسلاميّه تحاول إعاده بناء وتحديث نفسها لإحساسها بخطر محو هويّتها الإسلاميّه. ونحن نشاهد تقليد بعض المجتمعات الإسلاميّه للغرب تقليداً أعمى وغير مدروس وتبعيّتها ومحاكاتها لثقافته من جهه، ويقظه وصحوه تلك المجتمعات من جهه أخرى خشيه فقد هويّتها فى ظلّ تلك العمليّه. فكما أنّ نهضه إحياء الفكر الدّينىّ وإصلاح المجتمعات الإسلاميّه برزت كردّ فعل

على التّسلّط والنفوذ الاستعماریّ، فإنّ هذا التّقلید وهذه التّبعیّه لثقافه الغرب التّسلّطیّه یعدّ تهدیداً جدّیّاً لها».(۱)

فالمسلمون الیوم بحاجه أمسّ من أیّ وقت مضی إلی الاطّلاع علی التّقدّم والتّطوّر العلمیّ والثّقافیّ والحضاریّ العالمیّ. وتشمیر سواعدهم لنقده وتقییمه لاختیار ما هو إیجابیّ ومفید، وعدم الغفله عن قابلیّات وإمکانیّات الدّین الإسلامیّ، وطرح الخوف والهیبه من الغرب جانباً.

إنّ المجدّدین الدّینیّین یعتبرون الإسلام دیناً شاملاً ذا رساله عالمیّه تعمّ جمیع أفراد البشریّه. وأنّ الرساله الأساسیّه للإسلام - باعتباره آخر الأدیان التّوحیدیّه - هی هدایه الإنسان إلی عباده الله والخلاص من عباده النّاس والطّواغیت والانعتاق من الاستبداد والجهل والأمیّه. وتعدّ الکرامه الإنسانیّه والعداله الاجتماعیّه والحرّیّه الفکریّه وحرّیّه التعبیر والمشارکه فی تقریر المصیر الفردیّ والسیاسیّ والاجتماعیّ من الأهداف الرئیسیّه للدّین الإسلامیّ الحنیف.

وأنّ الرؤیه العالمیّه والشّامله للإسلام تؤیّد وتدعو إلی السّلام مع أتباع الأدیان الأخری واحترام جمیع الثّقافات. فالتّعالیم العدالتیّه للإسلام وسعیه للسّلام والتّفاهم والمساواه والأخوّه والعقلانیّه وتثمین العلم والعلماء، تعدّ أرضیّه مناسبه للقبول به عالمیّاً، وممّا یؤدّی إلی ضمان تجدّده ودیمومته، فلذا لا یمکن لهذه الثّقافه الغنیّه والشّمولیّه أن تبقی محصوره فی نطاق حدودها الجغرافیّه الضیّقه.

أمّا هل أنّ الإسلام ینسجم والمنهج التّقنی للعولمه أم أنّه یقف علی خط النّزاع والتّعارض معه؟ فجوابه لیس بتلک السّهوله المتصوّره، نظراً للآراء المختلفه الّتی نادت بها کلا مدرستیهما الفکریّتین. ولکن من الممکن القول وبصوره إجمالیّه؛ إنّ هناک اتّجاهات متعدّده تطرح علی هذا الصّعید:

۱- (۱) نیل مارفیلت، العولمه والعالم الثّالث، ص ۱۳۳، «التّرجمه الفارسیّه».

١. إنّ الإسلام ينسجم والبعد التّقنى للعولمه ولا ينكر عليه ذلك أبداً، ويعتقد بأنّ التّقنيه مكسب علميّ وجاءت نتيجه الإراده والإبداع والعقلانيّه لتحسين وتنظيم ظروف الحياه العالميّه، وإذا أخذنا بنظر الاعتبار القرائن والشّواهد الّتى يمكن قراءتها فى التّعاليم الدّينيّه؛ فإنّ أساس الإبداع والإنتاج العلميّ لا يتنافى وتعاليم الإسلام فحسب، وإنّما تعدّه أمراً معقولاً ومقبولاً ومرحب به.

٢. الاتّجاه الآخر يرتبط بكيفيّه الاستخدام والاستفاده من هذه التّقنيات والمكاسب العلميّه والّذى يتعلّق بالجوانب الإنسانيّه والأخلاقيّه والتّكليفيّه والحقوقيّه، ففى هذا المجال ينبغى القول؛ بأنّ الإسلام يتّفق وينسجم مع تعدّديّه العصرنه وعقلانيّه التّفاهم فيما بين البشر. وهو من حيث الأساس يؤيّد ويوافق على استخدام الآلات والأدوات فى طريق تحقيق الأهداف العقلائيّه المنشوده. فعلى هذا الأساس ينبغى النّظر فى أنّ الواقع هل هو كذلك أم لا؟.

إنّ مسلمى عالم اليوم فقدوا ولأسباب مختلفه القدره والأرضيّه للتّقدّم والتّخطيط للتّنميه، وغدوا فى أمسّ الحاجه إلى الآخرين على أصعده عدّه إلى درجه سُلبوا أبسط وسائل العيش. ففى العالم المتقدّم الّذى نعيشه وصلت التّقنيه إلى أوج تطوّرها حتى أنّ عقلاً ألكترونيّا بإمكانه استنتاج حلّ (٤٠٠ ألف) مسأله فى دقيقه واحده.، فهذه القدره العلميّه والإبداعيّه الخارقه تمخّضت عن العقل الإنسانىّ وتوظيفه فى مجاله الصّحيح، فتتوفّر اليوم أجهزه كامبيوتريّه مختلفه تستطيع تسجيل وتنظيم وخزن (ملايين) الكتب والموضوعات العلميّه، بينما نلاحظ أنّ هناك (مليارد) مسلم يمتلكون أفضل الإمكانات والمصادر العلميّه والفكريّه والثّروات الاقتصاديّه، يعيشون الفقر والتّبعيّه للمستعمرين والنّظام الإمبريالىّ وكأنّ التّخلّف ختم على جبينهم (لَقَدْ كانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ) ، فإنّ حكايه أهل الباطل وسيطرتهم على الأمّه

الإسلاميّه تعدّ عبره ما بعدها عبره. فالمسلمون الّذين أقاموا أعظم حضاره عرفها التّاريخ، ويمتلكون رصيداً علميّاً واقتصاديّاً وسياسيّاً ضخماً وأعظم المفكّرين الّذين ترعرعوا فى أحضانه، وبنفوسهم الّتى تتجاوز (المليارد) نسمه، وبقوانينهم الإسلاميّه الراقيه الّتى تعتمد على العقل والوحى؛ يزدادون ضعفاً وتخلّفا يوماً بعد يوم.

ولكن مع هذا كلّه؛ فإنّ هناك أطروحات جديده لأجل إعاده النّظر فى فهم الدّين، فالتّجديد الفكرىّ للتّنويريّين الإسلاميّين والباحثين الجدد استطاع توفير متطلّبات المراحل النّهائيّه لما يمكن أن يقوم به العالم الإسلامىّ من دور على الصّعيد العالمىّ، فبرزت اليوم ثلاثه اتّجاهات أساسيّه فى داخل العالم الإسلامىّ:

١. التّحديث والبحث الدّائب عن التّغيير على أمل الخلاص من الاستعمار السّياسىّ والاقتصادىّ للغرب.

٢. توظيف أرقى الأفكار والقابليّات فى مجال الكفاح السّياسىّ والتّحرّرىّ.

٣. الاهتمام بالعلم ومكاسبه الحديثه والاستفاده منها على طريق الوصول إلى الأهداف الإسلاميّه الراقيه.

فربّما يمكن من خلال ذلك تحقيق تحديث الإسلام فى إطار الاتّجاه نحو العلم العقلانىّ.

ولأجل توضيح العلاقه الدّقيقه فيما بين العلم والعولمه؛ ينبغى الالتفات إلى الاتّجاهات المختلفه فى هذا المجال:

١. اتّجاه يسعى لإعاده تقييم المسائل الأساسيّه للمذاهب الفكريّه والثّقافيه العالميّه المتنافسه والّتى تدّعى القيم والحقائق الشّموليّه، وذلك فى إطار نظام ثقافىّ عالمىّ، وبضمنها الإسلام.

٢. الاتّجاه الثّانى يربط فيما بين التّعدّديّه الثّقافيّه القائمه على أساس ما بعد الحداثه والاتّجاه الأصولىّ القائم على أساس القيم والعقائد الدّينيّه المنسجمه.

ففی رأی والرشتاین أنّ العالم یسیر فی نظام امبراطوریّ عریض وبزخم کبیر باتّجاه العولمه؛ یترابط أساسه الاقتصادیّ بواسطه الأنظمه السّیاسیّه المحلّیّه المستبدّه. فإذا عمّمنا هذا الاستدلال علی نسیج الأنظمه المذهبیّه العالمیّه، یبرز الإسلام والمسیحیّه کأدیان عالمیّه، وسنواجه فی هذه الحاله بشکل خاصّ مشکله إقامه العلاقه مع الأنظمه السّیاسیّه المحلّیّه. وسیساعد تطوّر وظهور وسائل اتّصال حدیثه علی ازدیاد تلک العلاقات وبشکل واسع وکبیر.

فالإسلام باعتباره دیناً عالمیّاً ذا أبعاد اجتماعیّه، فردیّه، سیاسیّه، اقتصادیّه، عقلانیّه وعرفانیّه؛ أوسع وأشمل من النّظریّات السّیاسیّه والعرفانیّه والقراءات الطّائفیّه والفئویّه الخاصّه؛ ویقوم علی دعائم الإیمان والتعلیم والتّربیه والإنسان والاجتماع والحکومه والعرفان والممارسات العبادیّه... الخ؛ یختلف والقراءات الرّائجه للفرق المختلفه الّتی ظهرت فی أدوار التّاریخ الإسلامیّ.

إنّ الإسلام هو الوحید من بین الأدیان الّذی لا یتنکّر لدور العقل والعلم، ویضع الإنسان بوجوده الواقعیّ والموضوعیّ فی مقام أسمی ممّا تضعه فیه المدارس الوضعیّه، ویرسم دوره علی أساس معرفه عمیقه وشامله وکامله لنظام الوجود وفلسفه خلافه الإنسان. فالإسلام الّذی یضفی علی الإنسان صفه (الخلیفه الإلهیّ) ویسمو به من خلال وضع الطّبیعه بجمیع أبعادها تحت تصرّفه وإرادته وعلمه، ویأخذ فی عین الاعتبار منزلته العقلیّه والمعنویّه الرفیعه، بحیث یخرجه وینأی به بعیداً عن خصائص الحیوانیّه والمیول الشّهوانیّه والمادّیّه، ولا یضع حدوداً بوجه نموّه وتطوّره وتکامله.

عولمه الإسلام

يعرض القرآن الكريم الإسلام على أنّه دين كامل ورفيع، وأنّه الدّين الّذى سيظهر على جميع الأديان والمدارس والثّقافات من خلال إراده الله وسنّته الحتميّه فى الهدايه والحيلوله دون تغلب الكفر والباطل على الحقّ، ويتحقّق بذلك الوعد الإلهىّ بغلبه دينه الحقّ (هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدى وَ دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) : «فبنظره مستقبليّه إلى التّقدّم الحاصل فى العلم والفكر ويسر الاتّصالات؛ يتّضح جليّاً كيف أنّ الحقائق ستبرز من خلف ستار الإعلام المضلّل والمنافق. وكيف أنّ المعوّقات الّتى وضعها أعداء الحقّ فى طريقه ستُنسف وتغدو هشيماً تذروه الرّياح؛ لينتشر الحقّ ويعمّ كافّه بقاع العالم؛ وذلك لكون جبهه الكفر والنّفاق تسير باتّجاه معاكس للسّنّه الإلهيّه الحتميّه وفلسفه الخلق».(۱)

وقد عرض بعض المفكّرين وعلماء الدّين وجوهاً لكيفيّه غلبه الإسلام على الأديان الأخرى؛ من جملتها الغلبه المنطقيّه والعقلانيّه والّتى تتمّ من خلال القبول بالفطره النّقيّه والعقل السّليم. البعض الآخر ومن خلال بيان موارد الضّعف والخلل والتّحريف الّتى ابتليت بها الأديان الأخرى؛ يثبتون بأنّ الإسلام يتميّز بميزات عقلانيّه متعدّده وأنّه دين خالص ينسجم والفطره ويؤمّن جميع الحاجات البشريّه ويتّفق والعقل والعلم والظّروف الزّمانيّه والمكانيّه لجميع المجتمعات.

وأمّا من خلال النّظره الدّينيّه الدّاخليّه؛ فإنّ كلّ مسلم وعلى أساس التّعاليم الإسلاميّه يعتقد بعالميّه وخلود الإسلام، ويعتبر ذلك من

۱- (۱) ناصر مكارم الشيرازى، التّفسير الأمثل، ج ۷، ص ۳۷۰.

المسلّمات الضّروريّه له، وممّا يؤيّد هذه الحقيقه الإجماع المتحقّق فيما بين المسلمين حولها، وكذا وجود البراهين العقليّه والنّقليّه والشّواهد التّاريخيّه فى هذا المجال.

ويؤكّد القرآن المجيد هذه السّمه العالميّه للإسلام فى آيات قرآنيّه صريحه وواضحه، والّتى يمكن الإشاره إلى بعض مواردها:

١. الآيات الّتى تصف القرآن بالهادى لجميع النّاس وفى جميع الأزمنه، كالآيه (١٨٥ من سوره البقره) والآيه (٢٧ من سوره التكوير).

٢. الآيات الّتى يتّسم خطابها بالشّمول والعموم لجميع النّاس، والّتى لا تقتصر دعوتها على قوم أو عِرق أو منطقه معيّنه.

٣. الآيات الّتى تبيّن أنّ رساله نبىّ الإسلام تشمل جميع النّاس وأنّ خطابه ورسالته عالميّه وأنّه نبىّ العالم أجمع، أمثال:

(وَ ما أَرْسَلْناكَ إِلاّ رَحْمَهً لِلْعالَمِينَ) .(١)

(وَ أُوحِىَ إِلَىَّ هذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَ مَنْ بَلَغَ) .(٢)

(وَ أَرْسَلْناكَ لِلنّاسِ رَسُولاً) .(٣)

(قُلْ يا أَيُّهَا النّاسُ إِنِّى رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً) .(٤)

(وَ ما أَرْسَلْناكَ إِلاّ كَافَّهً لِلنّاسِ بَشِيراً وَ نَذِيراً...) .(٥)

۴. مجموعه الآيات الّتى توضّح أنّ أحكام وقوانين الإسلام عامّه وشامله لجميع أبناء البشريّه من كلّ لون وعنصر ولغه، ولم تُحدَّد بجهه خاصّه.

١- (١) الأنبياء، ١٠٧.

٢- (٢) الأنعام، ١٩.

٣- (٣) النّساء، ١٥٣.

۴- (۴) الأعراف، ١٥٨.

۵- (۵) سبأ، ٢٨.

۵. الآیات الّتی تُلزم أهل الکتاب بقبول الإسلام والإیمان بدعوه نبیّه، کالآیه الّتی تقول: (وَ لَوْ آمَنَ أَهْلُ الْکِتابِ لَکانَ خَیْراً لَهُمْ) .(۱)

۶. الآیات الّتی وعدت بغلبه الإسلام علی کافّه الأدیان، وتشیر علی أنّه دین عالمیّ: (هُوَ الَّذِی أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدی وَ دِینِ الْحَقِّ لِیُظْهِرَهُ عَلَی الدِّینِ کُلِّهِ) .(۲)

۷. الآیات الّتی تبیّن التّعالیم العالمیّه للإسلام، فإنّ سنخیّتها العالمیّه وعدم اختصاصها بمنطقه محدّده تدلّل علی عالمیّه الإسلام؛ أمثال: التّعالیم الّتی تؤکّد علی حقیقه التّوحید والمعاد، والّتی تنفی الاتّجاهات الثّنویّه والتّثلیثیّه والاتّجاهات الإشراکیّه المشابهه:

(قُلْ یا أَهْلَ الْکِتابِ تَعالَوْا إِلی کَلِمَهٍ سَواءٍ بَیْنَنا وَ بَیْنَکُمْ أَلاّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ) .(۳)

ویعلن القرآن الکریم فی سوره الفتح عالمیّه الإسلام وعموم تعالیمه العالم أجمع، فبعض مفسّری الآیه المتقدّمه یرون بأنّ هذه القضیّه لابدّ وأن تتحقّق؛ لکونها وعداً إلهیّاً حتمیّاً، وأنّ سرعه تفشّی الإسلام ونفوذه المتعاظم فی جمیع المجتمعات یعدّ دلیلاً علی صبغته العالمیّه المتوخّاه. ولکن طبقاً للرّوایات الّتی أشارت إلی البرامج العالمیّه للإمام المهدیّ عجل الله تعالی فرجه الشریف تکشف عن أنّ العالمیّه المنتظره للإسلام لا تتحقّق إلّا بظهوره عجل الله تعالی فرجه الشریف. وینقل العلّامه الطّبرسیّ رحمه الله فی کتابه (مجمع البیان) حدیثاً بهذا المضمون عن الإمام الباقر علیه السلام «أنّ ذلک یکون عند خروج المهدیّ فلا یبقی أحد إلّا أقرّ بمحمّد صلی الله علیه و آله».

ویبدو أنّ أیّ جهد یبذل لجعل النّاس متماثلین سیمنی بفشل ذریع؛ ففی عقیده علماء النّفس والاجتماع وکذا القرآن؛ أنّ هناک فروقاً ذاتیّه عِرقیّه

۱- (۱) آل عمران، ۱۱۰.

۲- (۲) أصاله العقلانیّه و تعلّم الحکمه.

۳- (۳) أصاله العدل وطلب العداله: (اعدلوا هو أقرب للتقوی).

وذهنيّه وعاطفيّه وذوقيّه فيما بين النّاس. ويشير القرآن الكريم إلى أنّ هذه الفروق فروقاً تكوينيّه وجوهريّه ليس باستطاعه الإنسان تغييرها:

١. (إن فى اختلاف ألسنتكم و ألوانكم... لآيات لأولى الألباب).

٢. (وَ لَوْ شاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النّاسَ أُمَّةً واحِدَةً وَ لا يَزالُونَ مُخْتَلِفِينَ) .(١)

إنّ المظهر الأساسىّ للعولمه الغربيّه هو التّسلّط والسّيطره وممارسه الضّغوط على المظلومين لإخضاعهم وإجراء ما يطمحون إليه.

فى حال أنّ النّداء الخالد للإسلام يدعو إلى الحرّيّه وحقّ الاختيار العقلانىّ بعيداً عن أىّ نوع من الإكراه والإجبار.

(لا إِكْراهَ فِى الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَىِّ) .(٢)

ومن جهه أخرى فإنّ العولمه الّتى هى بحسب اعتراف الغرب مفروضه فرضاً وعلى أساس معايير الحضاره الغربيّه وتقول فى الوقت ذاته بأصاله حرّيّه واختيار الإنسان تتضمّن تناقضاً ظاهريّاً، كما هو واضح.

أدلّه شموليّه وعالميّه الإسلام

إنّ الإسلام دين عالمىّ وعامّ لا يختصّ بقوم وعِرق ولغه وبلد دون غيره، وهو عباره عن مذهب إنسانى عظيم جاء من أجل هدايه وسعاده ونجاه كافّه أفراد البشريّه. فعموم وعالميّه الإسلام حقيقه قاطعه وبديهيّه لا يشكّ أو يختلف عليها المسلمون، فكلّ المذاهب الإسلاميّه ومفكّريها يعتقدون بذلك ويعتبرونه من ضروريّات الإسلام ومن المحكَمات الأساسيّه للقرآن الكريم.

وسنحاول فى هذا البحث مطالعه الأدلّه النّظريّه فى كون الإسلام ديناً عالميّاً وحتميّه عولمته والّتى ستتحقّق على يد الإمام المهدىّ عجل الله تعالى فرجه الشريف، وكذا

١- (١) هود، ١١٨.

٢- (٢) البقره، ٢٥۶.

بیان ماهیّه العولمه الإسلامیّه وعلاقتها ومقارنتها بمسار العولمه الفعلیّه الّتی یمرّ بها العالم.

فإنّ کون الإسلام دیناً عالمیّاً یمکن إثباته من خلال ما جاء فی الإسلام من عالمیّه نبوّه نبیّه وخاتمیّه رسالته، وکذلک بناءً علی أسسه العقلیّه والعلمیّه وانسجامها وتوافقها مع الفطره الإنسانیّه.

فالأحکام والقوانین الإسلامیّه بإمکانها الإجابه عن أسئله العالم المعاصر فی إیجاد الحلول المناسبه للخلاص من أزماته المستعصیه والمتعدّده والعبور به إلی شاطئ الأمن والسّعاده؛ فإنّ أمماً کثیره تعایش حالیّاً تحوّلات لها عواقب سلبیّه وغیر محموده.

ویمکن الإشاره إلی عالمیّه الإسلام من خلال بعض النّصوص القرآنیّه الّتی تؤکّد وبصراحه هذه الحقیقه النّاصعه:

۱. عالمیّه رساله نبیّ الإسلام صلی الله علیه و آله: (قُلْ یا أَیُّهَا النّاسُ إِنِّی رَسُولُ اللّهِ إِلَیْکُمْ جَمِیعاً) .(۱)

۲. نزول القرآن لکافّه النّاس: (وَ ما هُوَ إِلاّ ذِکْرٌ لِلْعالَمِینَ) .(۲)

۳. (وَ مَنْ یَرْغَبُ عَنْ مِلَّهِ إِبْراهِیمَ إِلاّ مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ) ؛ وتبیّن هذه الآیه بأنّ تعالیم الإسلام السّماویّه والّذی هو دین التّوحید والفطره والعداله والنّجاه والکمال؛ تتمیّز فی رؤیه الإنسان الحرّ وذی العقل السّلیم بالجذّابیّه علی طول الزّمن.

۴. إنّ الإسلام یتضمّن قوانین منسجمه تتطابق والفطره البشریّه: (فِطْرَتَ اللّهِ الَّتِی فَطَرَ النّاسَ عَلَیْها لا تَبْدِیلَ لِخَلْقِ اللّهِ) .(۳)

۱- (۱) الأعراف، ۱۵۸.

۲- (۲) القلم، ۵۲.

۳- (۳) الروم، ۳۰.

۵. التّرغیب فی العلم وتفضیل العلماء: (هَلْ یَسْتَوِی الَّذِینَ یَعْلَمُونَ وَ الَّذِینَ لا یَعْلَمُونَ) .(۱)

۶. نظرته الشّامله والکامله لجمیع أبعاد عالم الوجود والحاجات البشریّه: (ما فَرَّطْنا فِی الْکِتابِ مِنْ شَیْءٍ) وقد وصفه الله تعالی بکونه (تِبْیاناً لِکُلِّ شَیْءٍ) .

۷. اهتمامه بالبعد المعنویّ للحیاه الإنسانیّه الّتی قام بتفصیل خطوطها بشکل معقول ومعتدل.

۸. تأکیده علی المساواه بین جمیع النّاس، ومعارضته للتّمییز فیما بینهم عِرقیّاً ومادّیّاً وقومیّاً ولغویّاً.

۹. معارضته للخضوع والعبودیّه لغیر الله (وَ لا یَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ دُونِ اللّهِ)۲ (وَ لَنْ یَجْعَلَ اللّهُ لِلْکافِرِینَ عَلَی الْمُؤْمِنِینَ سَبِیلاً) .(۲)

۱۰. دعوته إلی العدل والإنصاف: (کُونُوا قَوّامِینَ بِالْقِسْطِ شُهَداءَ لِلّهِ) .(۳)

۱۱. محاربته الظّلم والفساد بکافّه أشکالهِ وبواعثه: (وَ لا تُفْسِدُوا فِی الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِها) .(۴)

فنظراً لهذه المیّزات البارزه والعالمیّه للإسلام یتّضح بأنّ دائره شعاراته وبرامجه وأهدافه السّامیه تتّخذ بعداً عالمیّاً ولا تختصّ بقوم وشعب ومکان وزمان معیّن.

ویؤکّد القرآن الکریم فی مواطن أخری علی أنّ الدّین الوحید الّذی

۱- (۱) الزمر، ۹.

۲- (۳) النّساء، ۱۴۱.

۳- (۴) النّساء، ۱۳۵.

۴- (۵) الأعراف، ۵۶.

يتميّز بالشّمول والكمال والّذى يكون موضع ترحيب وقبول واسع هو الإسلام؛ كما فى الآيات التاليه:

١. (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللّهِ الْإِسْلامُ) .(١)

٢. (وَ مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَ هُوَ فِى الْآخِرَهِ مِنَ الْخاسِرِينَ) .(٢)

وقد جاء عن الإمام الصّادق عليه السلام فى تفسير الآيات الآنفه ما مضمونه:

«فوالله يا مفضّل ليرفع عن الملل والأديان الاختلاف، ويكون الدّين كلمه واحده، كما قال الله عزّ و جلّ: إنّ الدّين عند الله الإسلام».(٣)

٣. وتصرّح الآيه (٣٣ من سوره البقره) وبشكل حاسم بأنّ الإسلام هو دين الحقّ والهدايه وستدور دائرته على سائر الأديان. فهذه الآيه إضافه إلى دلالتها على حقّانيّه الإسلام تشير إلى عالميّته وحتميّه تحقّق الإراده الإلهيّه فى استيلائه وغلبته.

۴. ويأمر الله عزّ و جلّ نبىّ الإسلام بإبلاغ عالميّه دعوته ورسالته، فيقول:

(قُلْ يا أَيُّهَا النّاسُ إِنِّى رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً) .(۴)

ويقول الإمام الحسن عليه السلام فى خصوص تفسير وشأن نزول هذه الآيه الكريمه ما مضمونه: جاء بعض اليهود إلى النبىّ صلى الله عليه و آله وقالوا: يا محمّد! هل تقول بأنّك مرسل من قِبل الله، ويجيئك الوحى كموسى؟ فسكت النبىّ صلى الله عليه و آله قليلاً ثمّ قال: نعم، أنا سيّد ولد آدم ولا فخر، إنّما أنا خاتم النّبيّين وأسوه المتّقين ورسول ربّ العالمين. فسألوا (إلى مَن؟ إلى العرب أم العجم أم إلينا؟)؛ و هنا أوحى الله لنبيّه هذه الآيه.

١- (١) آل عمران، ١٩.

٢- (٢) آل عمران، ٨٥.

٣- (٣) ر. ك: ناصر مكارم الشيرازىّ، حكومه الإسلام العالميّه.

۴- (۴) الأعراف، ١٥٨.

ویتّفق جمیع المفسّرین علی أنّ لفظ (جمیعاً) فی الآیه الکریمه تؤکّد علی عموم وشمول رساله نبیّ الإسلام جمیع النّاس.

۵. وتوجد آیات أخری تؤکّد علی عالمیّه الإسلام، من جملتها الآیه (۹۰ من سوره الأنعام) الّتی تقول: (قُلْ لا أَسْئَلُکُمْ عَلَیْهِ أَجْراً إِنْ هُوَ إِلاّ ذِکْری لِلْعالَمِینَ) .

۶. والآیه (۱۰۷ من سوره الأنبیاء) تبیّن وبصراحه هذه المسأله: (وَ ما أَرْسَلْناکَ إِلاّ رَحْمَهً لِلْعالَمِینَ) .

۷. الآیه الأولی من سوره الفرقان والّتی تقول: (تَبارَکَ الَّذِی نَزَّلَ الْفُرْقانَ عَلی عَبْدِهِ لِیَکُونَ لِلْعالَمِینَ نَذِیراً) .

وتبیّن هذه الآیه أیضاً بأنّ الهدف النّهائی للقرآن هو إنذار کافّه أفراد البشریّه وتعلیمهم وهدایتهم فی کلّ زمان ومکان. وقد فسّر الشّیخ الطبرسیّ رحمه الله ذیل هذه الآیه الکریمه (لِلْعالَمِینَ) (جمیع المکلّفین من الإنس والجن).(۱)

۸. الآیه الأخری؛ الآیه (۲۸ من سوره سبأ) الّتی تقول: (وَ ما أَرْسَلْناکَ إِلاّ کَافَّهً لِلنّاسِ بَشِیراً وَ نَذِیراً وَ لکِنَّ أَکْثَرَ النّاسِ لا یَعْلَمُونَ) .

وینقل صاحب تفسیر (البرهان فی تفسیر ا لقرآن) حدیثاً فی ذیل هذه الآیه الکریمه یدلّ إضافه علی ثبوت عالمیّه رساله النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله علی عالمیّه الإمامه؛ یسأل فیه عبد الله بن بکر الإمام الصّادق علیه السلام: «جعلت فداک فهل یری الإمام ما بین المشرق والمغرب؟» فیقول الإمام الصّادق علیه السلام ضمن تأکیده علی عالمیّه إمامه أهل بیت العصمه علیهم السلام وشهاده کلّ إمام منهم علی الخلق ورؤیته جمیعهم وکونه حجّه وإمام علی البشریّه جمعاء، «والله یقول: (وَ ما أَرْسَلْناکَ إِلاّ کَافَّهً لِلنّاسِ) ؛ یعنی «مَن علی الأرض و الحجّه من بعد

۱- (۱) الطبرسیّ، مجمع البیان، ج ۴، ص ۱۶۰.

النبیّ صلی الله علیه و آله هو یقوم مقام النبیّ وهو الدّلیل علی ما تشاجرت فیه الأمّه والأخذ بحقوق النّاس».(۱)

وإضافه إلی الآیات المتقدّمه توجد آیات متعدّده أخری تدّل علی عالمیّه الإسلام وتَحقّق الأمر الإلهیّ علی هذا الصّعید. وأکّدت کذلک أحادیث کثیره علی هذه المسأله، ونطالع منها علی سبیل المثال الأحادیث التّالیه:

۱. ینقل عبد الله بن عباس عن النّبی صلی الله علیه و آله أنّه قال: «أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شریک له وأنّی محمّداً عبده ورسوله، أرسلنی برسالته إلی جمیع خلقه، لیهلک مَن هلک عن بیّنه ویحیی مَن حیَ عن بیّنه، واصطفانی علی جمیع العالمین من الأوّلین والآخرین».(۲)

۲. و یقول الإمام الرضا علیه السلام فی وصفه معجزه القرآن وخلوده: «إنّ الله تبارک وتعالی... لم یجعله لزمانٍ دون زمان و لا لناسٍ دون ناس، فهو فی کلّ زمان جدید وعند کلّ قومٍ غضّ إلی یوم القیامه».(۳)

۳. إنّ عولمه الإسلام ستتحقّق من خلال الثّوره العالمیّه للإمام المهدیّ عجل الله تعالی فرجه الشریف. وأنّ هذا الوعد الإلهیّ حتمیّ لا یقبل التّخلّف والتّغییر. وقد أورد الشّیخ الطّبرسیّ فی ذیل الآیه الکریمه: (وَعَدَ اللّهُ الَّذِینَ آمَنُوا مِنْکُمْ وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ لَیَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِی الْأَرْضِ) أنّ النّبی صلی الله علیه و آله قال فی تفسیرها: «لا یبقی علی الأرض بیت مدر ولا وبر إلّا أدخله الله تعالی کلمه الإسلام».(۴)

«أجل؛ فانتشار الإسلام فی کافّه أرجاء العالم حقیقه حتمیّه ستتحقّق فی عصر ظهور الإمام المهدیّ عجل الله تعالی فرجه الشریف والّذی سیثمر رقیّاً فکریّاً ومعنویّاً

۱- (۱) البحرانیّ، البرهان فی تفسیر القرآن، ج ۳، ص ۳۵۲.

۲- (۲) المجلسیّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج ۱۶، ص ۳۷۴.

۳- (۳) المصدر نفسه، ج ۲، ص ۲۸۰.

۴- (۴) الطبرسیّ، مجمع البیان، ج ۴، ص ۱۵۲.

لجميع النّاس، وتفشّياً للسّلام والعداله واندثار الاستعمار والأنظمه اللاديتيّه والاستغلال والفساد. وكما جاء فى الرّوايات والأدعيه: أنّ الإمام المهدىّ عجل الله تعالى فرجه الشريف سيقوم بطوى بشاط الجبّارين والكافرين والملحدين فى كافّه بقاع العالم. وستهبّ رياح المعنويّه والطهاره والعداله الخالصه والاطمئنان لتقتلع الظّلم والفساد إلى الأبد، ويتحقّق الدّعاء الوارد فى (دعاء العهد): «و أقصم به جبابره الكفر واقتل به الكفّار والمنافقين وجميع الملحدين، حيث كانوا من مشارق الأرض ومغاربها وبرّها وبحرها واملأ به الأرض عدلاً».

وسيستثمر ويستخدم الإمام المهدىّ عجل الله تعالى فرجه الشريف أبان ثورته العالميّه وسائل اتّصال وتقنيه معلومات متطوّره ومتقدّمه جدّاً، وقد لمّحت بعض أحاديث عصر الظّهور لهذه النّقطه، فجاء ما مضمونه: «عندما يقوم قائمنا يمدّ الله فى بصر وسمع شعيتنا فلا تكون بينهم وبينه واسطه. ففى أىّ مكان كانوا يسمعون خطابه ويرونه ويراهم».(۱)

وقد ورد حديث عن الإمام الصّادق عليه السلام ما مضمونه: «ويرى المؤمن فى زمن القائم وهو فى المشرق أخيه وهو فى المغرب وكذلك الّذى فى المغرب يرى أخيه الّذى فى المشرق».(۲)

فمن خلال الآفاق الّتى ترسمها أحاديث المعصومين عليهم السلام عن الحكومه العالميّه للإمام المهدىّ عجل الله تعالى فرجه الشريف يمكن الاستنتاج بأنّ عولمه الإسلام ووعد استخلاف المؤمنين الصّالحين على الأرض ووراثتهم لها وانتشار العدل وتجسّد الإسلام المحمّدىّ الأصيل بكافّه جوانبه؛ سيتحقّق فى زمن حكومه الإمام العالميّه وأنّ ذلك سيتمّ على يديه.

۱- (۱) الكافى، ج ۲، ص ۲۴۰.

۲- (۲) حكومه المهدىّ العالميّه، ص ۲۹۶، «باللّغه الفارسيّه».

ومن هنا؛ فإنّ هناك ارتباطاً كاملاً ووثيقاً فيما بين العولمه وتحقّق عالميّه الإسلام والثوره العالميّه للإمام المهدىّ عجل الله تعالى فرجه الشريف. وستتهيّء جميع ظروف وأدوات ووسائل عولمه الدّين فى هذه المرحله الحسّاسه والّتى أشارت إليها النّصوص الدّينيّه بشكل صريح لا يقبل التّأويل:

١. يقول الإمام الباقر عليه السلام فى تفسير الآيه الكريمه (لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ) : «إنّ ذلك يكون عند خروج المهدىّ عجل الله تعالى فرجه الشريف من آل محمّد صلى الله عليه و آله فلا يبقى أحد إلّا أقرّ بمحمّد».(١)

٢. ونُقل عن ابن عباس فى تفسير الآيه الكريمه (هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدى وَ دِينِ الْحَقِّ...) ما مضمونه: «لا يأتى تأويل هذه الآيه حتى يدخل جميع اليهود والنصارى وأتباع جميع الأديان الإسلام. ويعمّ عند ذاك الأمن والسّلام حتى تأمن الشّاه والذئب والأسد والنّاس والأفاعى بعضهم بعضاً»، «... و ذلك يكون عند قيام القائم».(٢)

٣. ويورد على بن إبراهيم حديثاً حول تفسير الآيه (٨ من سوره الصّف) (يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُا نُورَ اللّهِ بِأَفْواهِهِمْ وَ اللّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْكافِرُونَ) يقول فيه: «قال بالقائم من آل محمّد عليهم السلام، حتى إذا خرج يظهره على الدّين كلّه حتى لا يعبد غير الله».(٣)

وقد فصّل المفسّرون والمفكّرون الشّيعه آيات أخرى تشير إلى غيبه وظهور الإمام المهدىّ عجل الله تعالى فرجه الشريف: فالفيلسوف الشّهير مرتضى مطهّرى ذكر مميّزات هذا الفكر المقدّس وهذه العقيده القرآنيّه تحت عنوان (مميّزات الانتظار الكبير):

١- (١) الطبرسىّ، مجمع البيان، ج ٣، ص ٢٥، و أيضاً ج ٥، ص ١٢٧.

٢- (٢) الطبرسىّ، مجمع البيان، ج ۴، ص ۵۴۳.

٣- (٣) تفسير القمّىّ، ج ٢، ص ٣۶۵.

۱. التّفاؤل بمستقبل البشريّه؛ يعتقد البعض بأنّ الشّرّ والفساد والشّقاء من اللّوازم الحتميّه للحياه البشريّه، لذا؛ فإنّ أفضل ما يمكن القيام به هو إنهاء هذه الحياه الّتى لا قيمه لها.

۲. ويعتقد البعض الآخر بأنّ الحياه البشريّه بتراء من الأساس، فقد وصل الإنسان مرحله يحفر فيها قبره بنفسه إثر التّطوّر التّقنىّ المذهل وخزين أسلحه الدّمار المرعبه.

۳. وفى مقابل هاتين النّظريّتين؛ توجد نظريّه أخرى تعتقد: بأنّ الشّرّ والفساد ليسا من الأمور الطّبيعيه الملازمه للحياه البشريّه، وإنّما معلولاً ناشئاً عن الملكيّه الفرديّه، فما دامت جذور الشّرّ والفساد حاضره فإنّهما كذلك. وأنّ الملكيّه الفرديّه تنشأ فى الحقيقه من خلال تكامل وسائل الإنتاج. ولكن سيأتى اليوم الّذى يقوم التّكامل هذا باقتلاع تلك الجذور. إذن فالتّكامل الصّناعىّ هو الأساس والقاعده لبنيان السّعاده المرجوّه.

۴. النّظريّه الرّابعه تُرجع سبب الفساد والشرّ إلى الفقر الرّوحىّ والمعنوىّ للإنسان، فمازال الإنسان يعيش إلى الآن مرحله الشّباب وعدم النّضج والّتى يطغى عليه فيها الغضب والشّهوه على التّعقّل.

فالإنسان يسير فطريّاً باتّجاه التّكامل الفكرىّ والأخلاقىّ والمعنوىّ. فليس الشّرف والكمال من اللوازم الطّبيعيّه للإنسان، ولا الحتم الحضارىّ يستلزم الانتحار الجماعىّ للبشريّه.

«وإنّما ذلك المستقبل الوضّاء والسّعيد والإنسانىّ هو الّذى يقتلع الشرّ والفساد من جذوره، فالنّظريّه هذه بشاره وعدَ بها الدّين»:

۱. الانتصار النّهائى للصّلاح والتّقوى والسّلام والعداله والحرّيّه والإخلاص على الظّلم والاستكبار والاستعباد والدّجل والتّضليل.

۲. الحكومه العالميّه الواحده.

۳. عمران الأرض جميعاً.

۴. البلوغ العقلی الکامل للبشریّه واتّباعها الفکر والأیدیولوجیّه والحرّیّه دون العبودیّه للظّروف الطّبیعیّه والاجتماعیّه والغرائز الحیوانیّه.

۵. الاستثمار الأمثل والأقصی لثروات الأرض.

۶. التقسیم المتکافئ للثّروات فیما بین النّاس.

۷. الانعدام الکامل للمفاسد الأخلاقیّه کالرّبا والزّنا والسّرقه والقتل والخیانه، ونقاء الأذهان من العُقد والأحقاد.

۸. انعدام أسباب الحرب، وبسط السّلام والمحبّه والتّعاون والإخلاص فیما بین الشّعوب.

۹. الانسجام التّام فیما بین الإنسان والطّبیعه.(۱)

تمایز العولمه الفعلیّه وعالمیّه حکومه المهدیّ

ولاکتشاف ماهیّه العلاقه فیما بین العولمه والشّمولیّه العالمیّه لحکومه الإمام المهدیّ عجل الله تعالی فرجه الشریف؛ ینبغی أوّلاً مطالعه أسّس ومیّزات وأهداف کلّ من العملیّتین، والنّظر فی ما تشترکان فیه وما تفترقان وتتمایزان عنه. وماهی غایه کلّ منهما؟ وهل أنّ إحداهما هی امتداد للأخری؟

فهل من الممکن أن تکون العولمه مقدّمه للثّوره العالمیّه للإمام المهدیّ عجل الله تعالی فرجه الشریف وحکومته العالمیّه الواحده؟. فالإجابه علی هذه الأسئله ستتمخّض تلقائیاً عندما نستطیع معرفه عملیّه العولمه الفعلیّه وعولمه الإمام المهدیّ عجل الله تعالی فرجه الشریف بشکل دقیق وموزون.

وقبل کلّ شیء ینبغی النّظر فی أنّ التّعولم هل هو عملیّه حقیقیّه أم أنّ الموجود هو مجرد نماذج له؟ وهل أنّ التّعولم هو العولمه ذاتها أم أنّهما

۱- (۱) مرتضی مطهّری، الثّوره الإسلامیّه للمهدیّ، ص ۶۰-۶۱.

عمليّتان مختلفتان ومنفصلتان عن بعضهما البعض؟ وما هى النّماذج السّائده للتّعولم؟ وأىّ من نظريّات التّعولم تتّفق وتنسجم مع عولمه المهدىّ عجل الله تعالى فرجه الشريف.

مميّزات عولمه الإمام المهدىّ عجل الله تعالى فرجه الشريف

يتّسم الإسلام بمميّزات وخصائص لا ـ يمكن مقايستها ومقارنتها مع أىّ من الأنظمه السّائده، فعولمه الإسلام فى الحقيقه تعنى عولمه تلك العناصر والمميّزات، فالإسلام باعتباره ديناً كاملاً ونظاماً شاملاً يرتكز على أسس العقلانيّه والعلميّه، المعنويّه، الكرامه الإنسانيّه والعداله و المساواه، الأمن والحقوق البشريّه الفطريّه. وطبقاً للوعد الإلهىّ فستكون للإسلام الغلبه والاستيلاء على جميع الثّقافات والأديان.

فعولمه الإسلام تعنى عولمه العلم والعقلانيّه والعداله والأمن ووعى ورقى الإنسان حيثما حلّ وأينما عاش.

وقد عرفنا ما ابتنيت عليه العولمه الغربيّه من أسس وأصول فكريّه وفلسفيّه مستمدّه من الحضاره الغربيّه والّتى يمكن الإشاره إليها بإيجاز:

١. العقلانيّه والعلم الوضعيّين.

٢. النّزعه الإنسانيّه.(١)

٣. الليبراليّه.

۴. العلمانيّه.

وتقف فى مقابلها العولمه الإسلاميّه والّتى تتّسم بما يلى:

١. الفطريّه.

٢. تثمين دور العقل والعلم.

١- (١) فلسفه تقول بقيمه الإنسان وقدرته على تحقيق الذّات عن طريق العقل ورفض أيّه قوّه خارقه للطّبيعه، «المعرّب عن قاموس المحيط».

۳. الاعتقاد بوجود علقه بين عالم الوجود ومبدئه.

۴. غائيّه نظام الخلق، والإنسان منه على وجه التّحديد.

۵. الأصاله القانونيّه (أصاله التّشريع وأصاله الدّين).

۶. استمرار نظام الهدايه والقياده الإلهيّه.

۷. أصاله الكرامه الإلهيّه للإنسان.

۸. أصاله الحاكميّه الإلهيّه لعالم الوجود.

۹. أصاله الحرّيّه وحقّ العيش والاستفاده من مواهب الطّبيعه.

۱۰. أصاله العزّه والشّرف ونفى سلطه الآخرين.

۱۱. أصاله حقّ اختيار الاتّجاه وحق النّموّ والرّقى، الّذى يعدّ من مستلزمات أصاله التّكامل الفطرىّ.

فنموذج العولمه الإسلاميّه يتفاوت ويختلف عن نموذجها الغربىّ الّذى يرتكز على الليبراليّه القديمه منها والجديده:

۱. فصيغه العولمه الإسلاميّه ترتكز على القيم الإلهيّه والأخلاقيّه والمعايير الدّينيّه، ونوعيّه نظر الإنسان إلى العالم والإنسان.

۲. إنكار العولمه فى إطارها الإسلامىّ لأيّه سلطه واستعمار واستغلال ولاعداله ولامساواه وتمييز. فى حال أنّ الغربيّه تحاول السّيطره على العالم أجمع من خلال فرضها صيغتها وقيمها على باقى الثّقافات والمجتمعات. فالعولمه الإسلاميّه تعتمد الاتّجاهات الفكريّه الّتى تتلائم والعقلانيّه والمعايير والقيم الإنسانيّه والّتى تتّصف بالحرّيّه وحقّ الاختيار.(۱)

۳. و العولمه الغربيّه بطبيعتها لا تتمكّن من تحسين الوضع الحياتىّ وإقرار الأمن والعداله والمساواه والسّلام، أمّا فى العولمه الإسلاميّه وثقافتها فإنّ هذه المسأله تعدّ من الأهداف الغائيّه للعالم والسّير التّكاملىّ للتّاريخ البشرىّ. وتقع

۱- (۱) الشّموليّه العالميّه للإسلام والعولمه، ص ۳۱۶.

فی طریق إزاله کافّه موانع النّموّ والکمال البشریّ وتحقّق القیم الإنسانیّه العلیا، وإقرار الأمن والعداله والسّلام والمساواه والمحبّه، وإنهاء کافّه مظاهر الفساد والکفر والشّرک والظّلم.

۴. إنّ الأساس البارز للعولمه الغربیّه هو فرض طراز وصیغه معیّنه من الحیاه ترتکز علی الفکر العلمانیّ. فهذا النموذج من العولمه یعنی فرض سلطه شامله للغرب، وذلک بالإکراه والإجبار والّتی سیکون الاستضعاف والإلحاد والفساد الإخلاقیّ واللاعداله والفقر والتمییز والاستغلال؛ ثمارها النّهائیّه. فی حال أنّ العولمه الإسلامیّه وعلی خلاف ذلک تعتمد العقل والعلم والقیم الإنسانیّه الرّاقیه؛ لتصون حقوق الإنسان وکرامته وتوفّر الحرّیّه والمساواه والعداله والسّلام لجمیع أبناء البشریّه.

فالحضاره الإسلامیّه توظّف العلم والتقنیه والصّناعه والاقتصاد لخدمه البشریّه، وتعمل علی محو وإزاله أسباب الاستعمار والاستغلال والظّلم والتّمییز.

وبتعبیر أحد علماء الإسلام الغربیّین: «إنّ الطّریق الوحید لإیجاد الهدوء والاطمئنان والاستقرار للإنسان لا یمرّ إلّا عبر الصّیغ الدّینیّه والأخلاقیّه والمعنویّه. وعالمنا الیوم ینبغی أن یتّجه فقط وفقط صوب الدّین وأسس المساواه والأخوّه بین جمیع النّاس».(۱) وأمّا معاییر وأسس الثّقافه الغربیّه الّتی لا تعترف بالمعاییر الدّینیّه والأخلاقیّه والقیم الإنسانیّه؛ فإنّها تعجز عن توفیر حاجات الشّعوب من العداله والسّلام والمعنویّه.

۱- (۱) مارسل بوازر، الإسلام فی العالم المعاصر، ص ۲۵۲، «التّرجمه الفارسیّه».

المصادر

اشاره

آلبرو، مارتی، العصر العالمیّ، ترجمه: نادر سالار زاده أمیری، النّاشر: آزاد اندیشان، طهران.

آلستون، بیتر و یینغر میلتون ولنغهاوزن، الدّین والآفاق الجدیده، ترجمه: غلام حسین توکّلی، النّاشر: مرکز مطالعات وتحقیقات إسلامی، قم ۱۳۷۶.

استوری، جان، العولمه والثّقافه العامّه، ترجمه: حسن یابنده، مجلّه ارغنون، ع ۲۴، طهران ۱۳۸۳.

استین، والتر، الدّین والرؤیه الجدیده، ترجمه: أحمد رضا جلیلی، انتشارات حکمت، طهران ۱۳۷۷.

بوازار، مارسل، الإسلام فی عالم الیوم، ترجمه: د. م. ی، دفتر نشر فرهنگ إسلامی، طهران ۱۳۶۱.

هنتیغتون، روزاموند... وآخرین، الثّقافه والمجتمع، ترجمه: فریبا عزبدفتری، نشر قطره، طهران ۱۳۸۰.

بویر، مارتین، کسوف الله، ترجمه: عبّاس کاشف وابو تراب سهراب، نشر فروزان، طهران ۱۳۸۰.

بول تیلیخ، مستقبل الأدیان، ترجمه: أحمد رضا جلیلی، النّاشر: مرکز مطالعات وتحقیقات أدیان ومذاهب، قم ۱۳۷۸.

سمر امین، هاری مجدف، جیفانی اریک، العولمه؛ بأیّ هدف؟ ترجمه: ناصر زرافشان، نشر آگه، طهران ۱۳۷۷.

بول، سوئیزی، العولمه؛ بأیّ هدف؟ ترجمه: ناصر زرافشان، نشر آگه، طهران ۱۳۸۰.

بایکین، ریتشارد، الدّین، هنا، حالیّاً، ترجمه: مجید محمّدی، نشر قطره، طهران ۱۳۷۷.

بهلوان، جنکیز، علم الثّقافه وأحادیث حول الثّقافه والحضاره، انتشارات أمیر کبیر، طهران.

تافلر، الوين، الموجه الثّالثه، ترجمه: شهيندخت خوارزمی، نشر آسمان، طهران ۱۳۷۰.

تاميلسون، العولمه والثّقافه، ترجمه: محسن حكيمی، نشر بژوهشهای فرهنگی، طهران ۱۳۸۰.

ترنر، برايان، فضل العولمه علی الدّين فی العصر العالمیّ، ترجمه: هاله لاجوردی، مجله ارغنون، ع ۲۴۵.

طهرانيان، مجيد، العولمه؛ الأزمات واللا أمن، بإشراف أصغر افتخاری، بژوهشكده مطالعات راهبردی، طهران ۱۳۸۰.

جيمس، روزنا، عقد وتناقضات العولمه، مجلّه سياست خارجی، طهران ۱۳۷۸.

جهانبكلو، رامين، الموجه الرّابعه، ترجمه: منصور كودرزی، نشر نی، طهران ۱۳۸۱.

حاجتی، مير أحمد رضا، عصر الإمام الخمينیّ، مؤسّسه بوستان كتاب، قم ۱۳۸۲.

حكيمی، محمّد رضا، شمس المغرب، دفتر نشر فرهنگ إسلامی، طهران ۱۳۸۱.

روبتسون، رونالد، العولمه، ترجمه: كمال بولادی، نشر ثالث، طهران ۱۳۸۰.

ريمون، اغناسيو، هل تتّجه العولمه نحو الفوضی، ترجمه: بريجهر شاهسوند، مؤسّسه انتشاراتی عطا، طهران.

رجائی، فرهنگ، ظاهره العولمه، ترجمه: عبد الحسين آذرنک، نشر آگه، طهران ۱۳۸۰.

ريفكن، جرمی و تيد هوارد، العولمه؛ نحو الهاويه، ترجمه: محمّد بهزاد، نشر سروش، طهران ۱۳۷۴.

ساراب، مادن، ما بعد الأصوليّه ومابعد الحداثه، ترجمه: محمّد رضا طاجيک، نشر نی، طهران ۱۳۸۲.

شايكان، داريوش، تحت سماوات العالم، ترجمه: نازی عظيما، نشر فروزان، طهران ۱۳۷۶.

شجاعی زند، هذا المجتمع والعرفيّه، مقالات فی علم الاجتماع الدّينی، نشر مركز، طهران ۱۳۸۰.

عاملی، سعيد رضا، التّعامل التّماثلی للعولمه والدّين والمواطنه، نامه علو اجتماعی، ۱۳۸۰.

علمداری، كاظم، نقد حول نظريّه حوار الحضارات وصراع الحضارات، نشر توسعه، طهران ۱۳۸۱.

قطب، سيد محمّد، المسلمون و مسأله العولمه، ترجمه: زاهد ويسی، انتشارات أمير كبير، طهران ۱۳۸۲.

قوام، سيّد عبد العلیّ، العولمه والعالم الثّالث (مسار العولمه ومكانه المجتمعات النّاميه فی النّظام الدّوليّ)، النّاشر: دفتر مطالعات سياسی وزارت خارجه، ۱۳۸۲.

کاستلر، عمانوئیل، عصر المعلومات؛ المجتمع الشّبکیّ، ترجمه: أحمد علی قلیان وافشین خاکبار، ج ۱ و ۳، النّاشر: طرح نو، طهران ۱۳۸۰.

کاظمی، علی أصغر، عولمه الثّقافه والسّیاسه، نشر قدس، طهران ۱۳۷۹.

کندی، بول، فی استقبال القرن الواحد والعشرین، العالم حتّی عام ۲۰۲۵، ترجمه: عبّاس مخبر، طهران ۱۳۷۲.

کیت نش، عالِم الاجتماع السّیاسیّ المعاصر، ترجمه: محمّد تقی دلفروز، نشر کویر، طهران ۱۳۸۲.

کینغ، الکساندر وبراتراند، شنایدر، الثّوره العالمیّه الأولی، ترجمه: شهیندخت خوارزمی، النّاشر: احیاء کتاب، طهران ۱۳۷۴.

غریفن، دیفید ری، الله والدّین فی عالم ما بعد الحداثه، ترجمه: حمید رضا آیه اللّهی، النّاشر: آفتاب توسعه، طهران ۱۳۸۱.

غینز، انتونی، إفرازات العصرنه، ترجمه: محسن ثلاثی، النّاشر: نشر مرکز، طهران ۱۳۷۷.

غینز، هوبرماس، جیمس اف بونن و... آخرین، العصرنه والعصرانیّون، ترجمه: حسین علی نوذری، نشر نقش جهان، طهران ۱۳۷۸.

مالکوم، ووترز، العولمه، ترجمه: إسماعیل مرانی کیوی، سازمان مدیریت صنعتی، طهران.

مجموعه مقالات، العولمه والدّین؛ الفرص والإشکالات، النّاشر: دین بژوهان، قم ۱۳۸۲.

محمدی، مجید، الدّین ضدّ الإیمان، انتشارات کویر، طهران ۱۳۷۸.

مرقاتی، سیّد طه، الإسلام الشّمولیّ والعولمه، مجموعه مقالات مؤتمر الوحده الإسلامیّه السّادس عشر، مجمع تقریب مذاهب إسلامی، طهران ۱۳۸۲.

مطهّری، مرتضی، الإسلام ومقتضیات الزّمان، انتشارات قم ۱۳۶۸.

مکارم الشّیرازیّ، ناصر، حکومه المهدیّ العالمیّه، انتشارات هدف، قم.

نصر، سیّد حسن، الشّباب المسلم والعالم المتجدّد، طرح نو، طهران ۱۳۸۱.

نوذری، حسین علی، إعاده قراءه هوبرماس، نشر چشمه، طهران ۱۳۸۱.

هوبرماس، یورغن، العولمه ومستقبل الدّیمقراطیّه، ترجمه: کمال بولادی، نشر مرکز، طهران ۱۳۸۰.

هکسلی، الدّوس، عالم جدید مذهل، ترجمه: حشمت الله صباغی وحسین کامیار، انتشارات کارگاه هنر، طهران ۱۳۶۶.

هال، غیس و سام وب و مارشال و زیرغانوف، المراحل الأخیره للعولمه، ترجمه: أحمد جواهریان أحمد زاده، نشر بژوهنده، طهران ۱۳۸۱.

هنتغتون، صاموئيل، صراع الحضارات، ترجمه: مجتبی أميری، مجلّه اطلاعات سياسی - اقتصادی، ع ۶۹-۷۰، ۱۳۷۲.

الموجه الثّالثه للدّيمقراطيّه، ترجمه: أحمد شهسا، الناشر، روزنه، طهران ۱۳۷۳.

هولد، ديفيد و انتونی ماک غرو، العولمه و معارضوها، ترجمه: عرفان ثابتی، نشر ققنوس، طهران ۱۳۸۲.

ص:۲۹۳

هاملتون، ملكوم، علم الاجتماع الدينىّ، ترجمه: محسن ثلاثى، الناشر: مؤسسه فرهنگى انتشاراتى تبيان، طهران ۱۳۷۰.

هودشتيان، عطا، العصرنه و عولمه إيران، الناشر: چاب بخش، طهران ۱۳۸۰.

هوور، ستيوارت ام و نات لاندباى، الإعلام، الدّين والثّقافه، ترجمه: مسعود آريايى نيا، تصحيح محمّد مظاهرى، النّاشر: سروش، طهران ۱۳۸۲.

هيك، جان، البعد الخامس (بحث فى مجال الرّوحانىّ)، ترجمه: بهزاد سالكى، نشر قصيدهسرا، طهران ۱۳۸۲.

المجلّات

۱. معلومات سياسيّه واقتصاديّه، ع ۱۴۷-۱۴۸.

فكر الحوزه، ع ۴۱-۴۲، بيتر ا. هاف: نزاع الأصوليّه فى الحوار بين الأديان، ترجمه على خزاعى فر.

بحوث دينيّه، دوره ۳، ع ۲، آبان ۱۳۸۲ و ع ۴ و ۵، اسفند ۱۳۸۲.

رواق الفكر، ش ۲۶.

فصليّه ارغون، ع ۲۴، صيف ۸۳.

فصليّه الحوار العالمىّ، الأديان التّوحيديّه فى عصر عولمه فالك.

فصليّه مطالعات وطنيّه، السّنه الثّانيه، ع ۵ و ۶.

قبسات، ع ۲۹، معهد بحوث الثّقافه والفكر الإسلامىّ.

مجلّه كتاب نقد، ع ۲۴ و ۲۵.

مجلّه السيّاسه الخارجيّه، ع ۲، ۳، ۴ سنه ۸۱.

رساله العلوم الاجتماعيّه، ع ۱۸، شتاء ۸۰.

ملاحظه: جميع ما ذكر من المصادر هو باللّغه الفارسيّه.

الآيات

١. إنّ الدّين عند الله الإسلام، ٢۶۴

تبارک الّذی نزّل الفرقان علی عبده لیکون للعالمین نذیرا، ٢۶۶

تبیاناً لکلّ شیء، ٢۶٣

ذرهم فی خوضهم یلعبون، ٢٢٣

ذرهم یأکلوا و یتمتّعوا و یلههم الأمل فسوف یعلمون، ٢٢٣

فأقم وجهک للدّین حنیفاً فطره الله الّتی فطر النّاس علیها...، ١٩٩، ٢۶٣

قل لا أسألکم علیه أجراً إن هو إلا ذکری للعالمین، ٢۶۶

قل یا أهل الکتاب تعالوا إلی کلمه سواءٍ بیننا و بینکم ألّا نعبد إلّا الله، ٢۶١.

قل یا أیّها الناس إنّی رسول الله إلیکم جمیعا، ٢۶٠، ٢۶٣، ٢۶۵

کونوا قوّامین بالقسط شهداء لله، ٢۶۴

لا إکراه فی الدّین قد تبیّن الرشد من الغی، ٢۶٢

لقد کان فی قصصهم عبره، ٢۵٧

لیظهره علی الدّین کلّه، ٢۶٩

ما فرّطنا فی الکتاب من شیء، ٢۶٣

و أرسلناک للنّاس رسولا،

و أوحی إلی هذا القرآن لأنذرکم به و من بلغ

و جعلناکم شعوباً و قبائل لتعارفوا إنّ أکرمکم عند الله أتقاکم،

وعد الله الّذین آمنوا و عملوا الصّالحات لیستخلفنّهم فی الأرض،

و لا تفسدوا فی الأرض بعد إصلاحها،

و لا يتّخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله،

ص:۲۹۵

و لن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا،

و لو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم،

و لو شاء ربّك لجعل الناس أمّه واحدةً و لا يزالون مختلفين،

و ما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين،

و من يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه و هو فى الآخره من الخاسرين،

و من يرغب عن ملّه إبراهيم إلّا من سفه نفسه،

قل هل يستوى الّذين يعلمون و الّذين لا يعلمون،

هو الّذى أرسل رسوله بالهدى و دين الحقّ...،

يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم و الله متمّ نوره و لو كره الكافرون،

يعلمون ظاهراً من الحياه الدّنيا و هم عن الآخره هم غافلون.

ص:۲۹۶

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ۹

المقدمة:

تأسّس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ۱۴۲۶ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثرها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.

وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبيّ عليهم السلام

تحفيز الناس خصوصا الشباب على دراسة أدقّ في المسائل الدينية

تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب

الخدمة للباحثين والمحققين في الحوازت العلمية والجامعات

توسيع عام لفكرة المطالعة

تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات الكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية

إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة

الاجتنباب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة

العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فى نشر المعلومات

من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات فى مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما فى الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمية الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسک kiosk، الرسالة القصيرة ((sms

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

١.JAVA

٢.ANDROID

٣.EPUB

٤.CHM

٥.PDF

٦.HTML

٧.CHM

٨.GHB

إعداد ۴ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

١.ANDROID

٢.IOS

٣.WINDOWS PHONE

٤.WINDOWS

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة فی تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزی

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلی، الرقم ۱۲۹، الطبقة الأولی.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونی : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزی ۰۳۱۳۴۴۹۰۱۲۵

هاتف المكتب فی طهران ۸۸۳۱۸۷۲۲ ـ ۰۲۱

قسم البيع ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹شؤون المستخدمين ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹.

مركز القائمية للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبهان
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاءِ من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹